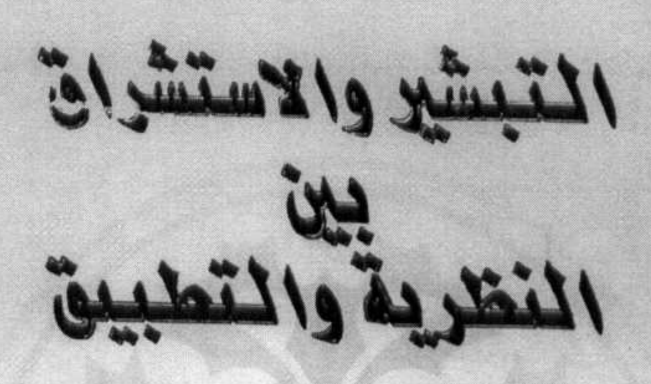
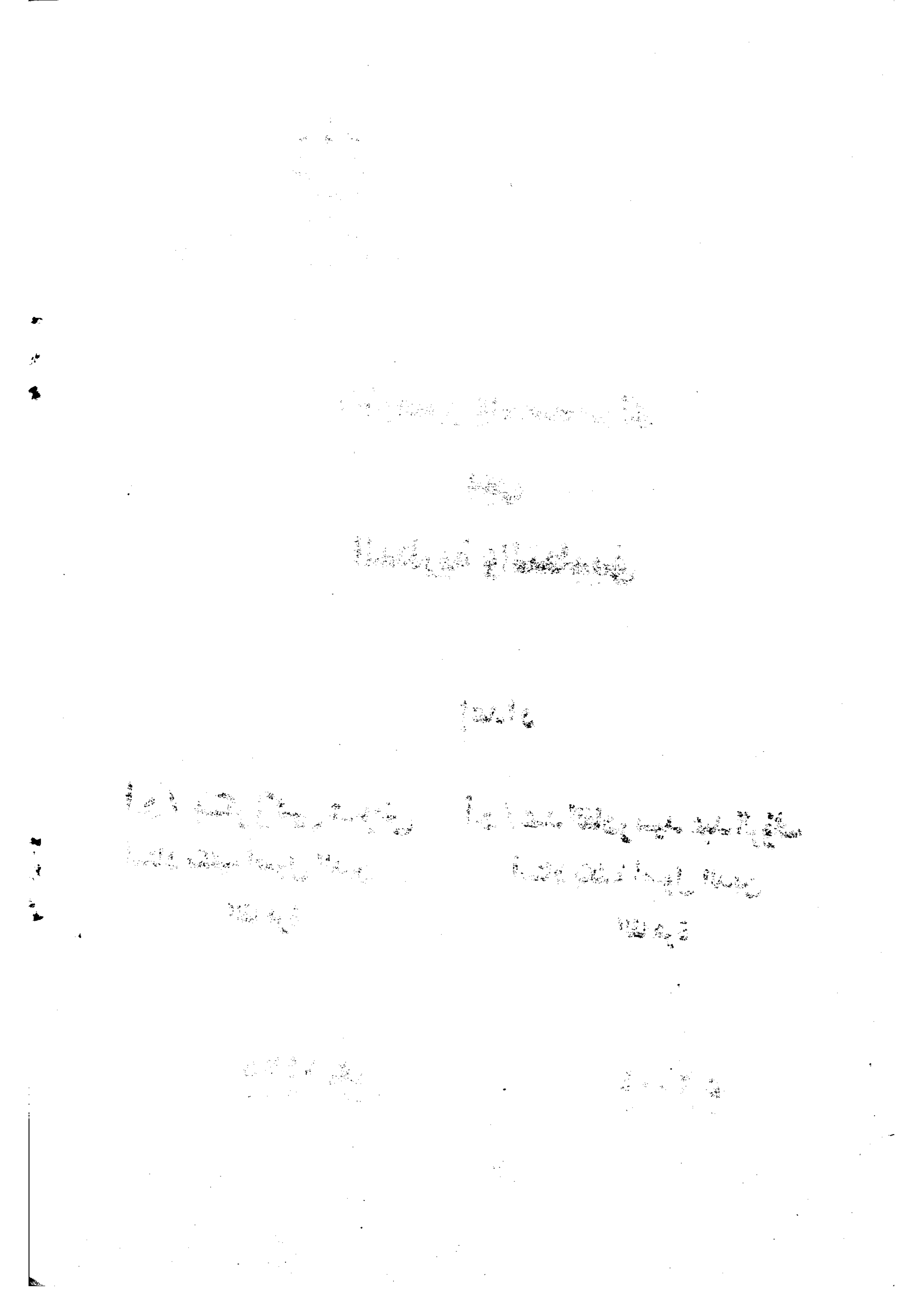
التبشير والاستشراق بين النظرية والتطبيق



دكتور
بكر زكي عوض
أستاذ بكلية أصول الدين القاهرة

دكتور
عبد القادر سيد عبد الرؤوف
أستاذ بكلية أصول الدين القاهرة



﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(١٣٥) سورة البقرة

تنويه

كتب مادة التبشــــــير أ.د / بكر زكي إبراهيم عوض

وكتب مادة الاستشراق أ.د/ عبد القادر سيد عبد الرؤف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد .

فإن الأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، (صدق رسول الله)

وقد شاءت إرادة الله أن يتصرف أتباع الأنبياء السابقين فيما ورثوا عن أنبيائهم ، تصرفاً أخرج الرسالات عما أتت به فى كثير من الأحيان إلى دائرة الكفر ، ولو لم يتصرف أتباع هؤلاء الأنبياء فيما ورثوا عن أنبيائهم ، ما وقع بيننا وبينهم خلاف فى الأصول (العقيدة – الشريعة – الأخلاق) لأن صريح نص القرآن أن العقيدة واحدة عبر التاريخ لتعلقها بالثوابت ، فالذات الإلهية وما يجب لها وما يجوز وما يستحيل عليها ، كل ذلك لا يقبل تغيراً لتعلقه بغير المتغير ، وكذلك الملائكة والرسل واليوم الآخر ... الخ .

وقد كثرت النصوص التى تشير إلى دعوة الرسل السابقين إلى التوحيد لدى الأمم السابقة ، سواء استجابت تلك الأمم أو اعترضت ، كما أن الأخلاق من الثوابت فالمحمود منها لا يتغير بتغير الزمن كالصدق والأمانة والإخلاص والكرم ... والمرذول منها مستقبح وإن تفاوت الزمن كالكذب والخيانة والسرقة والغش والنفاق ... الخ .

وأما الشريعة فالأصل فيها واحد فى الأصول ، وإن اختلف الكم والكيف ودليلنا أن العبادات قد فرضت أصولها على السابقين كما فرضت علينا دون أن يحدد القرآن الكريم الكم أو الكيف (كالصلاة – الصوم – الزكاة) .

وأما المعاملات والأنكحة فللعلماء فيها رأيان :

الرأى الأول : تغير التشريع بتغير الزمن وهو رأى الجمهور .

الرأى الثانى : عدم التغير وإن تفاوت الزمن – وهذا ما تميل إليه النفس – لأن ما أحلّ لنا وحرم على غيرنا ، كانت علة التحريم فيه واردة فى القرآن (البغى – الظلم) وكأن الحرمة ليست هى الأصل فى التشريع بل استثناءً منه .

قال تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١)

وقد ذكر القرآن بعض ما حرم في سورة الأنعام وقرن ذلك بعلة التحريم : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (٢)

وأما الحدود والجنايات فإشارات القرآن في سورة المائدة (٤٥) توضح أن العقوبات اتخذت لوناً من الإلزام " الحدود " لا يتأتى العدل عنه إلى غيره .

ومع ظهور الوحدة فى أصول الرسالات السماوية ، إلا أن أصابع التحريف اتصلت بأصول الرسالات السابقة حتى أصابتها فى مقتل - كما يقولون - فوجدنا الوحدانية مشوبة بشوائب الشرك كالتشبيه والتجسيم والوصف بالعجز والكسل والأنانية والجهل والتثليث والحلول والاتحاد ... الخ .

كما وجدنا الملائكة موصوفين بصفات البشر من حيث العجز وتناول الأطعمة والأشربة والأهواء ، ووصفهم من حيث التكوين بما لا يستحسن وكذلك من حيث لغة التخاطب والوظائف ...(٣)

وأما الرسل فقد وصفوا بشرب الخمر والسكر والكذب والكفر والزنا وقتل الأبرياء (٤).. الخ .

واليوم الآخر سقطت النصوص الدالة عليه فى الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم والحديث عنه فى باقى الأسفار متأثر فى الفكر بالثقافات التى سادت عصر التدوين .

---

(١) النساء : الآيتين ١٦٠ - ١٦١ .

(٢) الأنعام : الآية ١٤٦ .

(٣) راجع عقائد وتيارات فكرية معاصرة ، صـ ٢٥ ، د . بكر زكى وآخرين .

(٤) عصمة الأنبياء كما يصورها الكتاب المقدس ، د بكر زكى .

وقد غير السابقون كثيراً من أصول الشريعة كحل الربا وإباحة مال الغير، وإسقاط التكاليف في مقابل مادى ، والعنصرية فى الزواج وظلم المرأة فى شخصها وحقوقها حتى أصبحنا أمام رسالتين تنسبان إلى موسى وعيسى عليهما السلام ، وهما فى الأصح مزيج من الوحى والوضع وضغط السبى والألم والأمل النفسى لدى أتباعهما مع دعوى الوحى .

وقد شاءت إرادة الله أنه كلما درست رسالة أو محيت أصولها أن يبعث نبياً جديداً يصحح ما اعوجّ ويقوم ما حرّف ويجلى عن الوحي كل ما نسب إليه وهو منه براء ، كما أنه يدعو المعرضين عن الدين بالكلية أو المتدين بدين وضعى إلى العدول عنه إلى الصواب . لهذه الأسباب وجدنا الحق - سبحانه - يبعث محمداً ﷺ على فترة من الرسل ، يبلغ من لم تبلغه الرسالة قبل ، ويصحح معتقدات السابقين ، ويبرأ ساحة الأنبياء والمرسلين ، مما نسب إليهم وهم منه براء ، حتى تنتفى المعاذير ، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (١).

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢).

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٣).

---

(١) الجمعة : الآية ٢ .

(٢) المائدة : الآية ١٩ .

(٣) المائدة : الآيتين ١٥ - ١٦ .

فبدأ رسول الله ﷺ يبلغ رسالته إلى الناس أجمع ، وقد خص القرآن أهل الكتاب بكثير من النصوص ، وكان موقف القرآن منهم إيجابيًا ، بينما وقف الكثير منهم من القرآن موقفاً سلبيًا ، ويبدو موقف الإسلام من أهل الكتاب جليًا فى النقاط التالية :

١- أثنى القرآن على سائر الأنبياء وخص كثيرين من بنى إسرائيل بالذكر ، وجعل الإيمان بهم يعدل الإيمان بمحمد ﷺ والكفر بواحد منهم يعدل الكفر بمحمد ﷺ ، وقد نهى الرسول ﷺ عن أن نزدرى بواحد منهم أو بهم ، أو نصفه فوق ما وصف به فى القرآن ، وحسبنا كثرت النصوص التى أثنت على موسى - عليه السلام - من حيث الولادة - الرعاية - الاصطفاء - المعية - شد الأزر بهارون ... الخ وكذلك الثناء على هارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى .

ومثل ذلك الثناء على عيسى - عليه السلام - من حيث اختيار الأم ، الحمل ، الولادة ، النطق فى المهد ، خوارق العادات ، صفات الجمال الموصوف بها فى القرآن ، والتى عجز كتاب الأناجيل عن ذكر بعضها رغم غلوهم فى المسيح - عليه السلام -.

٢- ثناء القرآن على بنى إسرائيل بصيغة العموم وبصيغة الخصوص ، أما صيغة العموم ففى قول الحق سبحانه : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (١).

مع مراعاة أن الأفضلية باعتبار الزمن الماضى لا زمن التنزيل وهى من الأفضليات الزمانية أو المكانية أو هما معا ، دون العموم الزمانى والمكانى ، فالأول من الطلاب قد يكون على مدرسته أو مركزه أو محافظته أو دولته ، فكلٌ أولُ باعتبار المكان ، والأول قد يكون فى الابتدائية أو الإعدادية أو

---

(١) المائدة : الآية ١٥ .

الثانوية أو المرحلة الجامعية ، فهى أولية زمان وليس بلازم بقاء الأول على ما هو عليه مدى الحياة . ولا يسقط التغيير أوليته فى يوم من الأيام ... الخ .

وأما الثناء بصيغة الخصوص فقد تجلى فى صورتين :

الصورة الأولى : اثنى الله فيها على أنبياء بنى إسرائيل فى كثير من آى القرآن كما ورد فى سورة البقرة ، آل عمران ، النساء ، مريم ، الصافات ، ص ، وغيرهم من السور .

الصورة الثانية : الثناء على الصالحين من أبناء بنى إسرائيل ، باعتبارهم قدوة لغيرهم ، أو مظهراً من مظاهر الطاعة لله رب العالمين ، كثناء القرآن على امرأة عمران ، ومريم ، والخضر ولقمان وغيرهم .

٣- امتدح القرآن الكتابين اللذين أوحى بهما إلى موسى وعيسى عليهما السلام ، باعتبارهما كلام الله ، نزلا لهداية البشر ، لا الكتابين المنسوبين إلى الوحى الآن قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ .. ﴾ [(١)]، ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [(٢)].

وورد بصيغة العموم قول الحق : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴾ [(٣)].

كما أن الإيمان بهذين الكتابين مندرج فى الأوامر الصادرة إلى المسلمين، بالإيمان بسائر الكتب التى أنزلها الله ، مع إلزامنا بأن نعلن ذلك صراحة : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ .. ﴾ [(٤)]، ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ

---

(١) المائدة : من الآية ٤٤ .

(٢) المائدة : الآية ٤٦ .

(٣) آل عمران : الآيتين ٢- ٣ .

(٤) البقرة : من الآية ٢٨٥ .

وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [١].

وقد أمر الرسول أن يعلن صراحة : ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ . . ﴾ [٢].

٤- أشار القرآن إلى بقية من الحق فى كتب هؤلاء يمكن الرجوع إليهم فيها لإلزامهم بها ، لا للاهتداء عن طريقها ، فلقد أمر كل متشكك فى الرسالة أن يسأل أهل الكتاب عن أمر محمد ﷺ ورسالته ونبوته ، قال تعالى : ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [٣].

أى إن كنت أيها القارئ أو المستمع فى شك من أمر محمد ﷺ ونبوته ورسالته ودينه وكتابه ، أو إن كنت فى شك من أمر العقيدة – فى أصولها – فاسأل أهل الكتاب فإن لديهم علما بذلك عامة ومحمد عليه السلام بخاصة .

وقال تعالى لنبيه محمد عليه السلام : ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٤].

مع الإشارة إلى بقية من الحق عندهم .

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [٥]

---

(١) البقرة : الآية ١٣٦ .

(٢) آل عمران : من الاية ٨٤ .

(٣) يونس : الآيتين ٩٤ – ٩٥ .

(٤) المائدة : الآية ٤٣ .

(٥) البقرة : الآية ٢٤٨ .

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١).

ويلحق بذلك الصفات والبشارات المتعلقة بأمر محمد ﷺ وأمر رسالته وأمته

٥- نهانا الإسلام عن سبب هؤلاء ديانة حتى لا يؤدى ذلك إلى سب الإسلام ﴿ وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّواْ اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

وفى الحديث ورد النهى عن ظلمهم بمثل ما ورد فى القرآن النهى عن سبهم ﴿ من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة ﴾ وفى رواية (لم يرح رائحة الجنة ...) .

٦- كفل الإسلام لهم من الحقوق ما كفله لأهله - المسلمين - ما لم يؤذوا مسلماً أو يفتنوه فى دينه أو يكونوا عيناً عليه أو يمالئوا الأعداء عليهم ، ومن حقوقهم علينا ديانة - حق الحرية - حق الكرامة - حق العمل - حق التمليك- حق التعبد بلا فتنة ، بشرط أن يدفعوا الجزية فيجب علينا حق حمايتهم فإن اشتركوا فى الجيش سقطت عنهم الجزية ، فعل ذلك خالد بن الوليد وأقره عليه عمر بن الخطاب ، وفى حال عجزنا عن الدفاع عنهم نرد إليهم أموالهم ليتولوا هم أمر الدفاع عن أنفسهم .

وقد أباح الإسلام للمسلم أن يشاركهم فى الأفراح والأتراح - على خلاف بين الفقهاء - ولنا أن نتزوج منهم دون أن نزوجهم لإيماننا بأنبيائهم فلا نمنع الكتابية من عبادتها دون إيمانهم بنبينا فيفتنوا المسلمة فى دينها ، ولنا أن نأكل طعامهم - المراد الذبائح - وان نبيع لهم ونشترى منهم . مع وجوب الوفاء بالعهد والعدل فى القضاء بيننا وبينهم أخذا من صيغ العموم الواردة فى القرآن الكريم الآمر بذلك .

---

(١) المائدة : الآية ٤٧ .

(٢) الأنعام : الآية ١٠٨ .

ويجوز لنا أن نزورهم ويدخلوا ديارنا وأن نعطيهم من الصدقة والزكـاة – إلا زكاة الفطر – أخذاً من قول الحق سبحانه : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١).

٧– دعاهم الإسلام إلى الحوار الهادئ ، ودفعهم إلى البحث عن الحقيقة ، عن طريق الفكر المنزه عن الهوى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٢).

كما خاطبهم في كثير من المواطن بأسلوب هادئ يجمع بين خطاب العقل العاطفة ، حتى يهديهم إلى الصواب ، وقد كثرت أساليب النداء فـي القـرآن الصيغة المحببة إلى أنفسهم ﴿ .. يَا أَهْلَ الْكِتَابِ .. ﴾ ، ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ .. ﴾ ، كما ذكرهم بنعم الله عليهم التي لا تعد ولا تحصى علهم يشكرون المنعم عليها.

٨– أثنى القرآن على الطوائف من بني إسرائيل . قال تعالى :

﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (٣).

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (٤).

كما امتدح حواري المسيح في مواطن شتى ، منها : صدعهم بالحق فـي مواطن الشدة حين قال المسيح لأمته ﴿ .. مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ

---

(١) الممتحنة : الآيتين ٨ ، ٩ .

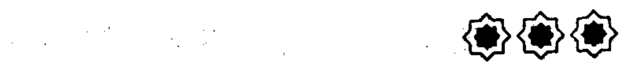
(٢) آل عمران : الآية ٦٤ .

(٣) الأعراف : الآية ١٥٩ .

(٤) السجدة : الآية ٢٤ .

أَنصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [١]. وقد أمر أتباع محمد - ﷺ أن يتأسوا بهؤلاء الأبرار . قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [٢].

هذه صور من موقف الإسلام من أهل الكتاب فما هو رد الفعل ؟



(١) آل عمران : الآية ٥٢ .

(٢) الصف : الآية ١٤ .

موقف أهل الكتاب من الدعوة الإسلامية

إن علم اليهود والنصارى برسول الله ﷺ ثابت عندهم ، وقد صرح بـذلك القرآن الكريم فى بعض سوره (البقرة ٨٩ ، الأعـراف ١٥٧ ، الفـتح ٢٩ ، الصف ٦) كما بقيت نصوص تبلغ حداً فى الكثرة ، تشير إلى بعث نبى مـن العرب تتضمن اسمه وصفته وصفة أمته وطريقته فى البلاغ ... وقـد ألفـت بعض الكتب فى ذلك مثل المنارات الساطعة فى ظلمات الليل الحالكة ، البشارة بنبي الإسلام فى التوراة والإنجيل ، بشائر النبوة الخاتمة ، كما أن الكتب التـى ألفت فى نقد عقائد النصارى تضمنت فى أبوابها الأخيرة جمعاً لهذه البشـارات مثل : الدين والدولة فى إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ لعلى بنّ ربّـن الطبـرى ، الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبـى ، بـين الإسـلام والمسيحية لأبى عبـيدة الخزرجى ، الأجوبة الفـاخرة للقرافـى ، الجـواب الصحيح لابن تيمية ، هداية الحيارى لابن القيم ، تخجيل من حـرف الإنجيـل للمسعودى ، تحفة الأريب لعبد الله الترجمان ، محمد فى الكتاب المقدس لعبـد الأحد داود ، إظهار الحق لرحمة الله الهندى ، وقد ذكر كتاب السير والتـاريخ أن اليهود كانوا يستفتحون كل معركة لهم مع العرب فى المدينة بهذا الـدعاء " اللهم انصرنا ببركة النبى المبعوث فى هذا الزمان " . وكانوا يقولون للعرب " سوف يبعث نبى من العرب نتبعه نقتلكم معه قتل عاد وإرم " إلى غير ذلك من الروايات ، التى لعبت دوراً كبيراً فى علم أهل يثرب بهذا النبى وصفته حتـى كان ذلك باعثاً على إسلامهم بينما حقد اليهود على العرب نعمة النبوة فكفـروا به وهذا ما صورته سورة البقرة قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [1].

---

(١) البقرة : الآية ٨٩ .

كما أن علم النصارى برسول الله ﷺ ثابت بنص القرآن ونصوص العهد الجديد وقد شهد بالنبوة المنصفون منهم زمن الوحى كورقة والنجاشي وقيصر كما دان بالإسلام سلمان وصهيب وبلال وكلهم من النصارى .

فهل استجاب أهل الكتاب لهذه الدعوة :

إن قلة قليلة هديت إلى الصواب فآمنت ، وبخاصة النصارى ، حتى إن القرآن قد أثنى عليهم في قول الحق : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١).

وقد ورد بالسنة الإشارة إلى إيمان بعض اليهود بالرسول ﷺ كحديث مخيريق خير يهود (٢) والأكثرية من أهل الكتاب عادت الإسلام منذ العهد المدنى – السنة الثامنة – بصورة مباشرة حتى وقتنا هذا وإلى قيام الساعة لأسباب سنبينها بعد .وقد اتخذ العداء سبيلين :

السبيل الأول :

العداء بالكلمة وذلك عن طريق الجدل والتشكيك والسب والافتراء وطرح الأسئلة والإيعاز بأسئلة إلى غيرهم وطلب خرق العادة والتحدى بصور شتى واستخدم الكلمة فى للوقيعة بين الأوس والخزرج والمهاجرين والأنصار ، كما عرفوا اللحن فى القول حتى نهى الله المسلمين عن استخدام بعض الألفاظ التى يستخدمها أهل الكتاب : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣).

ومن العداء بالكلمة توجيه الدعوة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه أن يعتنقوا اليهودية عندما كان الدعاة من اليهود ، وأن يعتنقوا النصرانية عندما كان

---

(١) المائدة : الآية ٨٢ .

(٢) بن سعد ١٨٣/١ دلائل النبوة ١٨/١ .

(٣) البقرة : الآية ١٠٤ .

الدعاة من النصارى . قال تعالى ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [(١)]، ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [(٢)].

وقد أشاعوا أن محمداً ﷺ ترك دين آبائه إبراهيم وإسماعيل ... الخ لأن إبراهيم كان على اليهودية وقالت النصارى إنه كان على النصرانية ، فنزل قول الحق سبحانه : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [(٣)].

وهذا الأسلوب هو ما يعرف بالتبشير في العصر الحديث .

السبيل الثاني :

العداء بالسيف . وقد وقع ذلك بين المسلمين واليهود منذ السنة الثانية للهجرة النبوة حتى السنة السابعة تقريباً ثم فتر عداء السيف بين اليهود والمسلمين فترة ليعود من جديد إلى أن تتحقق نبوءة رسول الله ﷺ تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم خلف الحجر فيقول يا عبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله[(٤)].

وأما صراع السيف بين النصرانية والإسلام فإنه لم يتوقف منذ السنة الثامنة لهجرة الرسول ﷺ حتى وقتنا هذا ، وما عرف التاريخ انقطاع الحرب بين المسلمين والنصارى إلا فى الأحوال التالية :

١- أن يكون بالمسيحين ضعف يحول بينهم وبين قتال المسلمين ويتأكد لهم أن الغلبة للمسلمين .

---

(١) البقرة : الآية ١٣٥ .

(٢) البقرة : الآية ١٢٠ .

(٣) آل عمران : الآية ٦٧ .

(٤) البخارى ٥١/٤ وبمثله فى ٢٣٩/٤ ومسلم ٨١ والترمذى ٢٢٣٦ .

٢- أن يشغل المسيحيون المسلمين ببعضهم ليكون بأسهم بينهم ، فتكون النتيجة لصالح النصارى ، وذلك معروف منذ الخلاف بين أمراء المسلمين فى بلاء الأندلس حتى كانت الفتنة بين إيران (المسلمة) والعراق (المسلمة) والعراق (المسلمة) والكويت (المسلمة) .

٣- أن يدرك النصارى أن نتيجة المعركة تجلب عليهم خسارة كبرى فى الأنفس لبعد المسافة أو لقلة الموارد ، لم للفرد من قيمة فى تلك الديار .

٤- توفر البديل عن الحرب الظاهرة كالفتن والدسائس ، والانقلابات ، والثورات والغزو والتحرير ، وحسبنا أن ناتج الأحداث على الأمة الإسلامية من قتل الأنفس وسلب الأموال وقطع الأرزاق والزج فى السجون أكثر من حيث العدد من كل ما فقدته الأمة الإسلامية فى حروبها ضد خصومها ، ولم تنته تلك الآثار بعد ،

ألا يصور الغرب الصليبى الحركات الإسلامية - المعتدلة فيها والمتطرفة- بصورة العداء للحكام والحكومات ولئن جاز قتل القاتل فى بعض الأحيان فلم قُتل الداعى وسُجن العالم وحُبس المفكر واغتصبت المتدينة وأدينت الكتب فى المكتبات فكانت السبيل لسجن مقتنيها ، وإذا أجزنا قتل القاتل المتعمد شرعاً فلم لا نقتل قتلة الأبرياء ديانة أو قانوناً لقد قضى على الحركة الكبرى فى العالم الإسلامى فى منتصف هذا القرن (حركة الإخوان المسلمين) وأخذ خيرة شباب العالم الإسلامى فى كافة مجالات المعرفة من المنتمين إلى تلك الحركة إلى السجن ثم القبر حتى خمد الفكر المعتدل وأذن بالبديل عن ذلك التيار فكانت الشيوعية ثم العلمانية .

واليوم يصدر التحذير تلو التحذير من التيار الإسلامى والصحوة الإسلامية لا لخوف الغرب على حكام الشرق بل لبقاء الشرق فى سباته ، فالحارس القوى إذا استيقظ فر اللص لا محالة لأنه إن أدركه قتله وهذا حال

الغرب مع الشرق فى ظل حراس يغضون الطرف عما بـدالهم لاعتبـارات خاصة .

٥- خوف الصليبيين من الحرب المباشرة ، باعتبارها عاملاً إيجابياً فـى بناء الشعوب الإسلامية ، ففى ظل الحرب السافرة بين الصليبيين والمسـلمين نجد :

أ- وحدة المسلمين فى سائر بقاع الأرض تجاه العدو وإن فترت العـزائم فى هذا الزمان وغابت الأرواح وبقيت الأشباح ، فكلمة وا إسلاماه سابقاً تعنى تحرك المسلمين من الصين شرقاً إلى المحيط الهـادى غربـاً ومـن البلقـان والقوقاز شمالاً إلى اليمن والحبشة جنوباً ، أسوتهم فى ذلـك نبـيهم ، حـين انتهكت حرمة امرأة مسلمة من قبل يهود بنى قينقاع فجرد إليهم جيشاً أدبهم به مراعاة لحرمة دم المرأة المسلمة ، فأين ذلك الآن ؟ لم لا : إنه قابل الوقوع - إن شاء الله - .

ب- جمع شمل أفراد البلد انواحد تجاه المعتدى فأصحاب العقائد وأرباب الأحزاب والعرقيات كلها تتلاشى عند الغزو ، وتعلو راية واحدة نصب عـين الجميع وهى راية التحرير .

ج- بعث الأمة الإسلامية على تكوين جيش أو عدة جيوش قوية ، لمواجهة خصومها وحسبنا أن مصر كأكبر دولة عربيـة وحاملـة رايـة الإسـلام الآن للبشرية ، ما عرف جيشها بعد الثورة إلا الترف والمجون والسـكر والعربـدة والديكتاتورية حتى كانت هزيمة ١٩٦٧ م فإذا به يتحول ثانيـة إلـى درع واق للأمة العربية جمعاء بعد تنقيته من الشوائب وبعثه من الثبات ، ولـولا تـدخل أمريكا السافر ما بقيت إسرائيل على ظهر الأرض وقد أفاض فى إيضاح ذلـك المشير محمد عبد الغنى الجسمى فى محاضرة له بدولة قطر الشقيقة ، كمـا أن دولاً شتى لم تكن لها جيوش أو كان لها جيوش صورية فإذا بها بعـد الحـرب تعيد ترتيب أوراقها وتجند أبناءها وتتعاقد مع آخرين لإيجاد جيش قـوى لهـا ،

حتى ظهرت مصانع للأسلحة فى بعض البلاد الإسلامية ، وحرصت بعض الدول على تصنيع الأسلحة الذرية وأخرى كيماوية ونووية ...الخ .

الصراع والعصر الحديث

تبين لنا مما سبق أن الصراع بين أهل الكتاب والإسلام بصورتيه (الكلمة – السيف) اشتد بظهور نور الإسلام فى المدينة المنورة ، وإن تفاوتت نسبة الظهور ، ففى زمن الخلفاء الراشدين كان السيف أشهر من الكلمة فى الصراع ، وفى زمن الأمويين تسل إلى بلاط الحكم بعض النصارى فبدأ فى التشكيك والتبشير كيوحنا الدمشقى وآخرين ، والسيف فاق الكلمة فى بلاد الأندلس فى الفترة الأخيرة من الوجود الإسلامى ، وفى الحروب الصليبية وفى عصرنا الحاضر استخدم السيف إلى الجوار الكلمة فى غزو العالم الاسلامى ، على قدم سواء ولا أمل فى درء عادية المعتدى إلا إذا تسلحنا بالإسلام ، فقهًا وبلاغًا وإخلاصاً لا تكلفًا وتجارة ورياءً ، وما لم نعد أنفسنا للمواجهة بالقدر المطلوب منا فى القرآن الكريم ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ..﴾ – ولا قوة تعدل قوة العلم فى العصر الحديث بكل ما تحتمل كلمة العلم من معنى – فإن الغلبة ستكون لمن يلتمس الأسباب وقد التمسوا هم الأسباب ، فوجدنا السيف يساند الكلمة فى بلاد الأندلس حتى خرج الإسلام منها ، واليوم يفرض ذلك على البلقان ، وقد أعدت العدة لتنصير أندونسيا ، الفلبين ، جنوب السودان ، لبنان ، الصومال ، أريتريا فهل نغض الطرف عن المواجهة مكتفين بالابتهال والدعاء أن ينصر الله المسلمين ويعلى راية هذا الدين ؟

إن الإسلام يدعو هؤلاء إلى نبذ السيف والتلاقى الفكرى ، بهدف الوصول إلى الحقيقة فهل يستجيب النصارى لذلك ؟

الحقيقة : لا . لماذا ؟ هذا ما نجيب عنه فى هذا الموضوع .

❁❁❁

التبشير : معناه . بواعثه

وردت مادة (بَشَّر) فى لغة العرب مراداً بها الإخبار بما يسّر ، وبهـذا المعنى نزلت آيات القرآن الكريم : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (١)، ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢)، ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ (٣).

كما تستعمل الكلمة فى الإخبار بما يسيئ ويضـر ، تهكمًا وسـخرية ، ﴿ .. فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٤)، ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ * فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٥) .

وفى الأثر ﴿ بشر الزاني بخراب بيته ولو بعد حين ﴾ .

<u>وأما اصطلاحا</u> : فقد كثرت التعاريف فيه لاختلاف حال المعرفين ، واخـتلاف ثقافتهم فمنهم من عرفه ناظراً إلى الوسيلة ، ومنهم من عرفه على أساس مـن الباعث ، ومنهم من عرفه على أساس من الغاية ، لذلك كثرت التعاريف .

والذى يبدو لى أن التبشير هو : بذل كل جهد ممكن واستخدام كل وسيلة من قبل بعض المسيحين لحمل الناس على المسيحية بكـل سـبيل ممكـن وبخاصـة المسلمين .

أو هو : التماس كافة السبل من قبل بعض النصارى أفـراداً وحكومـات لحمل الناس على النصرانية مع ردّ المطاعن عنها .

---

(١) آل عمران : الآية ٤٥ .

(٢) آل عمران : الآية ٣٩ .

(٣) هـــود : الآية ٧١ .

(٤) التوبـــة : من الآية ٣٤ .

(٥) الانشقاق : الآيات ٢٢- ٢٣ – ٢٤ .

بواعث التبشير :

إن بواعث التبشير تبلغ حداً فى الكثرة ويمكن إيجازها فى البواعث التالية :

١- الباعث الدينى .
٢- الباعث السياسى .
٣- الباعث الاقتصادى .
٤- رد فعل لانتشار الإسلام .

ويمكن تفصيل القول فى تلك البواعث فيما يلى :

أولاً الباعث الدينى :-

وهو من أقوى البواعث على التبشير وأشدها خطراً ، فالطبيب النصرانى والمهندس والعالم والخبير ...إلخ والمرأة فتاة كانت أو سيدة .. كل ذلك يترك أهله ووطنه وحضارته ويأتى إلى المجاهل فى وسط آسيا وأفر. وأماكن الأوبئة والحروب والمستنقعات ليبشر برسالة المسيح التى كلفو بتبليغها إلى العالم أجمع ، باعتبارها رسالة عالمية - هكذا يدينون - وما لم نتعامل مع النصارى على هذا الأساس فإن الغلبة ستكون لهم لا محالة ، والإيمان بعالمية المسيحية لدى النصارى ليس وليد العاطفة ولا من بنات الأفكار ، وإنما حرص مدونوا العهد الجيد على تثبيت فكرة العالمية ضمن نصوصه ، وحملوا أنفسهم واتباعهم على نشر ذلك الدين ، وهو ما يدفعنا إلى بيان النصوص التى اعتمد عليها النصارى فى عالمية دينهم ، بشئ من التفصيل وبخاصة أننى لم أجد فيما قرأت من كتب التبشير والاستشراق - وهو الشئ الكثير والحمد لله على نعمته علىّ - من فصّل الباعث الدينى بهذه الصورة ، أو تناول فكرة العالمية بهذه الصورة ، فأقول [1]:

---

(١) راجع الصراع الدينى على شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ، بواعثه ، أبعاده ، آثاره ، د/ بكر زكى عوض .

وردت نصوص عدة تصرح بعالمية المسيحية ، زمانا ومكاناً وإنساناً ، وقد تفاوتت الدلائل على ذلك ، فمنها ما ينسب إلى عمل المسيح عليه السلام ، ومنها ما ينسب إلى وصايا المسيح لتلاميذه ، ومنها ما يتعلق بعدم نسخ شريعة المسيح إلى قيام الساعة ومنها ما يتعلق بعودة المسيح إلى الأرض مرة ثانيـة ليحاسب كل من لم يؤمن به ... الخ .

ويمكن بيان ذلك من خلال نصوص العهد الجديد فيما يلى :

أولاً : عمل المسيح ودلالته على العالمية كما يعتقد النصارى :

كثرت النصوص التى تصرح بأن المسيح كان يتحرك فى أمكنة عـدة بهدف نشر المسيحية وإذا كان المؤرخون يقصرون حركة المسيح على منطقة فلسطين فإن النصوص قد وردت بصيغة العموم ومنها :

١-ما نسب إلى المسيح أنه كان " يطوف المدن كلهـا والقـرى يعلـم فـى مجامعها ويكرر فى بشارة الملكوت ..." [١] .

٢-" ولما أكمل يسوع أمره لتلاميذه الاثنى عشر انصرف من هنـاك لـيعلم ويكرز فى مدنهم ويكرز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة شـهادة لجميع الأمم ثم يأتى المنتهى " .[٢]

ثانياً :وصايا المسيح لتلاميذه بنشر الرسالة فى سائر أرجاء الأرض:

ويبدو أن فكرة عالمية المسيحية كانت تراود مدونى الأناجيل ومـؤلفى أعمال الرسل حتى إن الانسان ليلحظ كثرة النصوص الدالـة علـى العالميـة وتقاربها من حيث اللفظ والمعنى نذكر من هذه النصوص ما يلى :

(أ) وزد فى متى : أن المسيح كان يرسل رسلاً للـبلاغ ويرسـم لهـم المنهج ومن النصوص :" هؤلاء الاثنى عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قـائلاً : إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة السامرين لا تدخلوا . بل اذهبوا بـالحرى

---

(١) متى ٣٥/٩ .

(٢) متى ١١ / ١ .

إلى خراف بيت إسرائيل الضالة وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السموات وأى مدينة أو قرية دخلتموها فافحصوا من فيها مستحق ، وأقيموا هناك حتى تخرجوا وحين تدخلون البيت سلموا عليه . فإن كان البيت مستحقاً فليأت سلامكم عليه .. ومن لا يقبل ولا يسمع كلامكم فاخرجوا خارجاً من ذلك البيت أو من تلك المدينة وانفضوا غبار أرجلكم ..."(١).

ومتى طردوكم من هذه المدينة فاهربوا إلى أخرى فإنى الحقّ أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان ..." (٢)

- كما يدعى النصارى أن المسيح بعد قيامه من قبره قال لتلاميذه : رفع إلي كل سلطان فى السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس .

كما ينسب إليه أنه قال فى حق المرأة التى سكبت الطيب على رأسه " الحق أقول لكم حينما يكرز بهذا الانجيل فى العالم يخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها ..." (٣).

(ب) ورد في مرقس : ما يفيد العموم كذلك ومن النصوص : ما ينسب إلى المسيح بعد قيامه من قبره " ظهر الأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام . وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن .. ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله . وأمّا هم فخرجوا فكرزوا فى كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة .." (٤).

---

(١) متى ١٠/ ٥ – ١٥ .

(٢) متى ٢٨/ ١٨ ،١٩.

(٣) متى ٢٦ / ١٣ .

(٤) مرقس ١٤/١٦ – ٢٠ .

وينسب إلى المسيح أنه فى حال حياته " دعا الاثني عشر وابتدأ يرسلهم اثنين اثنين وأعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة .. فخرجوا وصاروا يكرزون أن يتوبوا وأخرجوا شياطين كثيرة ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم .. واجتمع الرسل إلى يسوع وأخبروه بكل شئ كا ما فعلوا وكل ما عملوا ..." [١].

" ثم صعد إلى الجبل ودعا الذين أرادهم فذهبوا إليه وأقام اثنى عشر ليكونوا معه وليرسلهم ليكرزوا ويكون لهم سلطان على شفاء الأمراض وإخراج الشياطين "[٢].

(ج) ورد فى لوقا : ودعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم قوة وسلطاناً على جميع الشياطين وشفاء أمراض وارسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى .. فلما خرجوا كانوا يجتازون فى كل قرية يبشرون ويشفون في كل موضع ولما رجع الرسل أخبروه بجميع ما فعلوا فأخذهم وانصرف منفرداً إلى موضع خلاء .. وبعد ذلك عين الرب سبعين آخرين أيضاً وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل مدينة وموضع حيث كان هو مزمعاً أن يأتى .. الذى يسمع منكم يسمع منى والذى يرذلكم يرذلنى . والذى يرذلنى يرذل الذى أرسلنى فرجع السبعون بفرح قائلين :" يارب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك ..." [٣]

كما نسب إليه أنه بعد قيامه من قبره رأى تلاميذه " وقال لهم هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغى أن المسيح يتالم ويقوم من الأموات فى اليوم الثالث . وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم وأنتم شهود لذلك . ها أنا أرسل إليكم موعد ابى . فأقيموا فى مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالى .." [٤].

---

(١) مرقس ٦/٧ ، ١٢ ،/ ٣٠ .

(٢) مرقس ٣/١٣ – ١٥ .

(٣) لوقا ١٠/١ ، ١٦ ، ١٧ .

(٤) لوقا ٢٤ / ٤٦ : ٤٩ .

" كما ورد أن المسيح بعد قيامته من قبره رأى تلاميذه " وقـال لهـم " هكذا هو مكتوب وهكذا ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات فـى اليـوم الثالث وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم وأنتم شهود لذلك وها أنا أرسل إليكم موعد أبى .. فأقيموا فى مدينة أورشـليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالى ".[١]

ثالثاً : عدم نسخ الشريعة كما يعتقد النصارى :

يرى النصارى أن المسيح أتى متمماً رسالة موسى عليه السلام دون أن يغير شيئاً فيها " ما جئت لأنقض بل لأكمل .." [٢] وأعلن عن رسالته بقولـه " السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول "[٣].

رابعاً : عقيدة رجعة المسيح وفكرة عالمية المسيحية :

وردت نصوص عدة فى العهد الجديد تصرح بعودة المسيح إلى الأرض مرة ثانية وهذه النصوص تجمع بين الاجمال والتفصيل . فبينما تصرح بعض النصوص أن المسيح سيأتى فى فترة زمنية وجيزة من صـلبه . كمـا يـزعم النصارى . وذلك قبل ان يموت بعض مشاهديه صرحت نصوص أخرى بأنـه سيأتى لكى يدين الأحياء والأموات لعدم إيمانهم به أو للتقصير فى نشر رسالته ويمكن ذكر بعض النصوص الدالة على ذلك فيما يلى :

١- **نصوص مجملة** : تبعث الأمل فى العودة والثبات علـى الرسـالة والاشتغال بالنشر ، ومنها :

" الحق أقول لكم إن من القيام ها هنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا فى ملكوته "[٤].

---

(١) لوقا ٢٤ / ٤٦ : ٤٩ .

(٢) متى ٢٧ / ٤٠ .

(٣) متى ٢٤ / ٣٥ ونفس النص للوقا ٢١ / ٢٣ .

(٤) متى ٢٨/١٦ .

- " فإنى الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان"[١].
- " وقال لهم الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوماً لا يذقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة ".[٢]
- عندما سأل بطرس المسيح عن منزلة سمعان (أحد الحواريين) وماذا أعد له . " قال له يسوع إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء فماذا لك اتبعني أنت. فزاع هذا القول بين الأخوة أن ذلك التلميذ لا يموت ولكن لم يقل له يسوع إنه لا يموت بل إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء فماذا لك.. "[٣].

٢- نصوص مفصلة تبين علة المجئ وحكمته ومنها :

- ينسب إلى المسيح قوله " فإن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب علمه . الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً فى ملكوته ..." [٤].
- " ومتي جاء ابن الإنسان فى مجده وجميع الملائكة القديسيين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء ... فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار ..." [٥].

ورد فى سفر أعمال الرسل أن المسيح ظل يظهر للتلاميذ أربعين يوماً ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله ، أما المجتمعون فسألوه قائلين يا رب هل فى هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل . فقال لهم ليس لكم أن تعرفوا

---

(١) متى ١٠/٢٣ .

(٢) مرقس ١/٩ .

(٣) يوحنا ٢٠ / ٢١ -٢٣ .

(٤) متى ١٦/ ٢٧ ، ٢٨ .

(٥) متى ٣١/٢٥ – ٣٣ .

الأزمنة والأوقات التى جعلها الأب فى سلطانه . لكنكم ستنالون قوة من حلول الروح القدس عليكم وتكونون لى شهوداً فى كل أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض »[1].

❁❁❁

أثر الإيمان بعالمية المسيحية على المسيحيين :

لقد كان للنصوص السابقة أثرها على أتباع المسيح عليه السلام ، ويبدو أن فكرة عودة المسيح قبل أن يموت بعض التلاميذ الذين عايشوه وقبل أن تكتمل مدن إسرائيل – تبشرياً – لأجل الدينونة كان لها دور فعال فى ان ينهض التلاميذ بالدعوة بعد الصلب والقيامة – كما يزعم النصارى – إلى المسيحية .

وقد ذكر مدونوا العهد الجديد أن التلاميذ قد جمعوا أنفسهم ورتبوا شئون الكنيسة فى فترة زمنية وجيزة للغاية بهدف التحرك بالمسيحية فى بلاد الشام بأثرها .

إلا أن دعوتهم قد اصطدمت مرة ثانية باليهود ،كما لاقت مقاومة فعالة من الروم الوثنيين الذين كانوا يخضعون منطقة الشام لنفوذهم فى ذلك الحين ، وقد خشى حكام الولايات التابعون للحاكم العام الوثنى (قيصر) من انتشار المسيحية . وحتى لا تؤدى إلى حركة تمرد على حق الحاكم (الوثنى) من قبل المسيحيين (الموحدين) كانت حركة الاضطهاد التى بدأت من منتصف القرن الأول للميلاد ولم ترتفع إلا مع مطلع القرن الرابع الميلادي .

ويدعى النصارى أن حركة الاضطهاد تلك كانت بعناية الرب ورعايته ، لأنها أكسبت المسيحيين قوة ولفتت نظر الآخرين إليهم وأعجب كثير من الوثنيين بصلابة اعتقاد النصارى وبخاصة إذا ما خيّروا بين الحرق أو التخلى عن الدعوة فكان الحرق أحب إليهم من الدعوة إلى الوثنية كما أن الإلقاء إلى السباع الجوعى وطلاء الأفراد بالقار وإيقاد النار فيهم فى الميادين

---

(١) أعمال ١/٦-٨ .

العامة ومشاهدة حكام الرومان – بالتتابع – لتلك المشاهد كان بمثابة الدعاية إلى المسيحية من طرف خفي .

إلا أنه أمام حركات الاضطهاد تلك قد استطاع بعض المسيحيين أن يُنَصِّر أفرادًا من خارج منطقى الشام فى ذلك الوقت . فكتاب العهد الجديد يذكرون أن أحد الرسل واسمه (فيلبس) قد ظهر ملاك الرب له " قائلاً قم واذهب نحو الجنوب على الطريق المنحدرة من أورشليم إلى غزة التى هى برية فقام وإذا رجل حبشى خصى وزير لكنداكة – ملكة الحبشة – كان على جميع خزائنها . فهذا كان قد جاء إلى أورشليم ليسجد . وكان راجعاً وجالساً على مركبته وهو يقرأ النبى أشعيا فقال الروح لفيلبس تقدم ورافق هذه المركبة .

فبادر إليه فيلبس ... وفيما هما سائران فى الطريق أقبلا على ماء . فقال الخصى هو ذا ماء ماذا يمنع أن أعتمد . فقال فيلبس إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز فأجاب وقال أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله . فأمر أن تقف المركبة فنزل كلاهما إلى الماء فيلبس والخصى فعمده ، ولما صعد من الماء خطف روح الرب فيلبس فلم يبصره الخصى أيضاً . وذهب فى طريقه فرحاً وأما فيلبس فوجد فى أشدود وبينما هو مجتاز كان يبشر جميع المدن حتى جاء إلى قيصرية " (١). وبذلك بذرت بذور المسيحية فى بلاط الحكم فى بلاد الحبشة .

كذلك هرب بعض المسيحيين الموحدين إلى الإسكندرية فنشروا المسيحية بها على أساس من التوحيد حتى إن آريوس الإسكندري كان له دور بارز فى مجمع نيقية سنة (٣٢٥ هـ) فى الدعوة إلى الإيمان بإله واحد هو الله وإلى الإيمان ببشرية المسيح ونبوته .. وقد غلبت الآراء المضادة لهذا الرأي .

ثانيا : الباعث السياسى :

ظهر الإسلام فى زمن تنازع العالم بأسره فيه قوتان :

---

(١) أعمال الرسل ٢٦/٨ : ٣٩ .

١- قوة الفرس وديانتها وثنية .

٢- قوة الروم وديانتها فى الأصل سماوية وقد شابتها الوثنية .

وقد تنازعت هاتان القوتان اقتسام العالم وبخاصة شبه الجزيرة العربية، ولم تر الأمبراطوريتان لشبه الجزيرة عامة ومكة والمدينة على وجه الخصوص خطراً يذكر ، بل هما كسائر سكان شبه الجزيرة ، حتى ظهر الإسلام فجأة ، فإذا به يؤسس دولة فى أقل من خمسة عشرة سنة ، وتظهر فى المدينة دولة قوية فتية يدعو إمامها وقائدها وهاديها محمد ﷺ قادة الفرس والروم ومواليهم إلى إتباع الدين الجديد (الإسلام) ويخيرهم بين ثلاث :

١- الإسلام .   ٢- الجزية .   ٣- القتال .

فاشتطات القوتان غضباً ، وتحرك الروم بدءاً لقتال المسلمين فكانت معركة مؤتة وفيها تحقق للنصارى بعض النصر ، فجمعوا جموعهم مرة ثانية لدهم المدينة المنور والقضاء على رسول الإسلام ، وأصحابه فى عقر دارهم .

وقد بلغ الخبر الرسول ﷺ فجمع الجموع لمواجهة الروم ، على الرغم من سوء الأحوال الاقتصادية والمناخية ، حتى سميت الغزوة بـ (غزوة العسرة) . وقد بلغ الخبر الروم ففرقوا جموعهم مرة ثانية وعاد الرسول بلا قتال وأخضع كثيراً من نصارى الشمال للإسلام .

وفى السنة العاشرة للهجرة أعد الرسول ﷺ جيشاً بقيادة أسامة بن زيد لتأمين حدود الدولة الإسلامية من الأطراف الشمالية ، إلا أن المرض قد حال بينه وبين بعث ذلك الجيش ، فإذا به يوصى أبا بكر والصحابة ببعث الجيش ، وقد فعل ذلك أبو بكر واستمرت قوافل الجيش الإسلامى تنساح فى الأرض ، حتى إنه لم يمض ثلاثون عاماً على وفاة الرسول ﷺ حتى فتح المسلمون من بلاد المسيحية الشام (سوريا - لبنان - الأردن - فلسطين) ومن شمال إفريقية مصر وبعض جزر البحر الأبيض المتوسط ، فاشتاط الروم غضباً لهذا الأمر ، وقد أرسلوا ذات مرة وافدهم يطلب علة نصر هؤلاء الذين لا عهد لهم

بالقتال ، فأتى المدينة ليسأل عن ملكها فقالوا ليس لنا ملك ... قالوا منا خليفة وهو نائم خارج المدينة فى ظل شجرة ، فأتاه حتى وقف عليه نائماً بلا حارس ولا حراس . فقال المقولة المشهورة حكمت فعدلت فآمنت فنمت يا عمر .

وقد توالت فتوحات المسلمين فى شمال أفريقيا ومنها إلى جنوب أوربا الآن فدانت بلاد الأندلس بالإسلام ، وامتد نوره حتى فرنسا ، إلا أن روما لم تكن قد فتحت بعد ، فظلت حامية النصرانية ، تساندها ما يعرف بفرنسا الآن ، كما أن البقية الباقية من الإمبراطورية الرومانية ظلت تبكى وتنعى على الديار التى فقدوها ودرة التاج التى تركوها ، وبخاصة أن موارد الرزق كانت تجمع من الشام ومصر وشمال أفريقيا وترسل إلى القيصرية فى روما لرفع مستوى العيش ، فإذا بهم يفيقون على ضياع خير البقاع من أيديهم . وعلى يد من ؟

على يد أناس لا حول لهم ولا طول ، وما عرف التاريخ لهم فى العسكرية وزناً ؟ وغاية قوتهم اعتداء قبيلة على أخرى . أو سرقة تاجر أو نهب سارى أو سلب رائح أو غادى ، أما الخروج فى صورة جيش يدافع فضلاً عن أن يقاتل وينتصر فهذا أبعد ما كان يتصوره الروم ، وليس أدل على هذا من أن الجيش المسيحى غزا اليمن ونصَّرها بلا مقاومة ، ثم تحرك أبرهة من اليمن إلى مكة لتنصير أهلها فلم يجد مقاومة ، وما قصة عبد المطلب بغائبة عن مسلم ، لأنه أدرك أن لا قبل لأهل مكة بمقاومة ذلك الجيش ، فكيف بأهل مكة يفتحون الجزيرة ثم ينتقلون إلى الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومانية ، ويعلنون أن دينهم إلى أهل الأرض أجمعين .

لقد حرص قادة الدولة المسيحية منذ ظهر نبى الإسلام – ولا يزالون – على خفت ضوء الإسلام ، فضلاً عن الرغبة فى طمس معالمه ، فتعذر عليهم ذلك ، فأرسلوا من يعرف ذلك الدين ليناوىء أهله بعد ذلك ، كما تبنوا أفراداً من كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية لنشر المسيحية فى ديار الإسلام ، وليس أدل على هذا من رعاية ما يعرف بفرنسا الآن للقساوسة لنشر

المسيحية فى بلاد الأندلس . ولدينا الكثير من الرسائل التى كتبت تمتدح المسيحية وتهاجم الإسلام ، ثم قامت تلك الدول بفرض المسيحية كرهاً ، وخيرت المسلمين بين أمرين .

١- إما المسيحية بالإضطرار .

٢ - وإما الموت حرقاً بالنار .

وقد أنشأوا لذلك محاكم تفتيش ، وكان دليلهم لإدانة هذا أو ذاك وجود كنيف فى المنزل ، باعتبار منزلة الطهارة فى الإسلام ، حتى خرج الإسلام من تلك الديار ، وأصبحت دار حرب بدلاً من كونها دار الإسلام ، ثم امتد سلطان الدول الصليبية إلى سائر بلاد العالم الإسلامى عدة مرات ، بهدف تحرير بيت المقدس - كما يزعمون - أو تنوير العالم الإسلامى كما يدعون ، وقد أثبتت البراهين الساطعة أن الغرب الصليبى أتى إلى الشرق الإسلامى لحمل أهله على المسيحية أو لتوهين شأن العقيدة الإسلامية فى صدور أهلها ، عن طريق الشبهات والشكوك وحسبنا أن حروباً استغرقت قرنين من الزمان خرجت من أروبا تحت راية الصليب وكان القساوسة يخطبون فى الجنود يبينون لهم الاستشهاد من أجل المسيح ، وقد أفاض فى ذلك مؤلف الكامل فى التاريخ ، والبداية والنهاية ، وتاريخ ابن خلدون ومع هذا جند الله للمسلمين من يجمعهم بعد شتات ، ويبعثهم بعد طول سبات ويقودهم من العثرات ، فتحقق النصر للإسلام والمسلمين ، وارتد الصليبيون على أعقابهم خاسرين ، ولا ينسى المسلمون معركة حطين ، ثم كان فتح الله المبين ففتحت القسطنطينية (بيزنطة سابقاً) على يد محمد الفاتح ، ثم صارت عاصمة الخلافة الإسلامية ، ترد عادية النصرانية عن الدول الإسلامية ، وتنشر الإسلام فى بلاد البلقان ، ويرفض الخليفة العثمانى إعطاء اليهود موضع قدم فى بلاد العرب والإسلام ، على الرغم من الوعود البراقة والإغراءات الفاتنة والعهود الموثقة ، وقد أدرك الغرب الصليبى من منظور سياسى ، قيمة الشرق الإسلامى ، فإذا به يرسل

جيوشه مرة ثانية إلى بلاد الشرق فى القرن التاسع عشر والقــرن العشــرين الميلادى مستعمراً بدعوى نشر الحرية والحضارة ...الخ وما مر عقدان مــن القرن العشرين إلا وبلاد المسلمين تحت سيف الصــليبين باســتثناء أندونســيا وأفغانستان والسعودية ، وإذا بالدول الصليبية تحرص على تحقيق مآربها فــى تلك الديار ، فإذا به يغرب اللغة العربية ويفرض اللغة الأجنبية وينشأ المحــاكم المختلطة والأجنبية ويرسم السياسة التعليميــة ، ويبعــث البعثــات ويمــنح الشهادات ، ويضيق على الدين وأهله فى المناصب والأرزاق ، ويبسط الجــاه لأهل الفساد والأخلاق ، ولا تزال تلك الدول تناصب الإسلام العداء وتعــادى أهله فى المحافل الدولية والمؤتمرات السرية ، وليس أدل على هذا من سياسة الغرب الصليبى تجاه البوسنة ، كشــمير ، بــنجلاديش ، أندونســيا ، جنــوب السودان بتهديد باكستان إن أنتجت القنبلة الذرية ، وكم قتــل هــؤلاء حكامــاً مخلصين ، كانوا غيورين على هذا الدين ، وكم أقصوا – من طرف خفــى – رواداً فى مجالات شتى ، لو كتب لهم البقاء لكان الحال غير الحال .

كما أن مصر وسوريا لم تهزمــا فــى حــرب ١٩٦٧ م إلا بالســلاح الأمريكى البريطانى المُهْدَى إلى إسرائيل ، ولولا الحيلولة بين مصر وســوريا وبين إتمام النصر فى حرب ١٩٧٣ م من قبل الغرب الصليبى عامة وأمريكــا بخاصة لكان الحال غير الحال .

إن الغرب ليخشى يقظة المسلمين ، لأن التاريخ ما عرفهم من قوتهم إلا فاتحين محررين ، ولولا أن بأس المسلمين بينهم الآن ، لكفى ما أنفقــوه فــى الحروب بينهم من تحرير العالم بأسره ، وإنعاش اقتصــاد العــالم الإســلامى بأسره ، ولكنها المكيدة التى خسر فيها الغالب والمغلوب من المسلمين ، سواء أكانت بين العراق وإيران أو كانت بين العراق والكويت ، وما كسب من تلــك الحروب إلا الدول الصليبية من بيع سلاح وازدياد نفوذ وتحصــيل قواعــد ، وضمان وجود وبقاء ، وإعادة عمران وتوقيع معاهدات وأحلاف وتمزيق شمل

العرب والمسلمين وما المسلمون إلا العرب أولاً وأخيراً – بلا تعصب – يؤازرهم إخوانهم من سائر بقاع الأرض ، فهزيمة الإسلام فى هزيمة العرب وقوة الإسلام فى قوتهم ولذلك توجه الصليبيون إلى القلب بعد تقليم الأطراف (تركيا – بلاد القوقاز – البلقان – بلاد الأندلس – وسط أفريقيا – تقسيم الهند – جنوب السودان – أريتريا – الحبشة – الصومال) .

والدليل على تأكيد الباعث السياسى فى الحركة التبشيرية ما يقوم به حكام أمريكا بعد اعتزالهم الحكم من دور تبشيرى وعلى رأس هؤلاء (جيمى كارتر) ودعمه للمسيحية فى مصر فترة حكمه وبعدها .

كما أن تلك الدولة قد بنت معاهد للتبشير إلى جوار معاهد الاستشراق ، وأنفقت عليها المليارات وبذلت من أجلها الكثير ، ليكون خريجوها خدماً للحركة السياسية الصليبية من بسط سلطان وفتح أراضى وتوحيد علاقات ... الخ .

وكم أن نشر المسيحية هو هدف المبشرين أفراداً كانوا أو دولاً ، فمما لا يخفى على أحد ما يتحدث به قادة الغرب الآن عن الخطر القادم والعدو الداهم لديارهم فى القريب ، ألا وهو الإسلام ، بعد ظهور ما يسمى بالصحوة الإسلامية ، حتى أقدمت بعض الحكومات على خلط الحابل بالنابل ، فضربت بيد من حديد على الاتجاهات الإسلامية حتى حيل بينها وبين مواقع الصدارة والنقابة ، وقيد عليها فى الحل والترحال ، وكم تدخلت الدول الصليبية لاقصاء حكومات إسلامية وأصولية – كما يقولون – تم اختيارها بمحض الرضى بالكلية من قبل شعبها ، لا لشئ إلا لخطر وجود بوابة إسلامية على الشواطئ الجنوبية لأوربا ، حتى لا يجود الزمان بطارق بن زياد أو عقبه .. بن نافع ، أو موسى بن نصير مرة ثانية .

إن الغرب الصليبى فى إطار الولاء السياسى الخفى ، ليمد يد العون إلى كنائس الشرق بكل ما أوتى من قوة ،وحسبنا أن المؤسسات المسيحية العالمية

مقرها فى البلدان الصليبية بل إن دولة باسم المسيحية قد قامت داخل دولة سياسية، ألا وهى الفاتيكان داخل إيطاليا ولها سفراء ووزراء ورسل لرعاية شئون المسيحية على وجه الأرض أجمع كما أنها تمارس تأثيراً على حكام أوربا وأمريكا .

ثالثاً : الباعث الاقتصادي

شاءت إرادة الله أن ينتشر الإسلام فى خير بقاع الأرض ، من الهند شرقاً حتى أطراف إفريقية غرباً ومن بلاد البلقان والقوقاز شمالاً حتى اليمن ووسط أفريقيا جنوباً ، وهذه البقعة من الكرة الأرضية تتميز بطيب التربة وعذوبة الماء ونقاء الهواء ووفرة الموارد الطبيعية .

والمنطقة العربية – عصب الأمة الإسلامية – على وجه الخصوص ، خير بقاع الأرض ظاهراً وباطناً فالأنهار تشقها فى بلاد الشام وشمال أفريقيا ، والبترول يغمرها فى جزيرة العرب والعراق وإيران ،والمعادن فى بلاد المغرب العربى ، ويشارك بلاد العرب فى هذه الهبة الإلهية الجمهوريات الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى .

لقد أيقن الغرب أن تلك الموارد ، إن حسن استخدامها ، تشكل خطرا لا محالة عليه بل إن أخشى ما يخشاه الغرب الصليبى الآن ، هى الموارد البشرية المتدفقة والزيادة السكانية الهائلة فى بلاد الإسلام ، فى مقابل الضمور الهائل فى الموارد البشرية فى بلاد الغرب ، ومن يقرأ أو يتذكر المقال الطيب الذى كتبه الأستاذ فهمى هويدى فى جريدة الأهرام تحت عنوان (المؤتمر السكانى بعيون أخرى) يدرك سرَّ ذلك المؤتمر وخشية الغرب من الزحف البشرى الإسلامى ... الخ .

لهذا حرص الاستعمار عن طريق المبشرين على أن تمتد يده إلى ديار الإسلام تحت مسميات شتى ، غير مظهرين الهدف الحقيقى من وجودهم فى تلك الديار ألا وهو تيسير السبل لاستغلال الموارد .

إن كثيرين من المستشارين لدى حكام ووزارات ومؤسسات الدول الإسلامية من المبشرين ، وهم يدركون أن المسلمين إلى العاطفة أقرب منهم إلى العقل ، لذلك لم يلبسوا ملابس الرهبان ولا المبشرين ، بل أتوا فى صور شتى كمستشارين سياسيين ،عسكريين ، تربويين ، ثقافيين ، إعلام ، والتبشير فى قرارة أنفسهم .

لقد أيقن هؤلاء البعد الاقتصادي لبلاد الإسلام ، فحرصوا على إيجاد روابط مشروعة بين الدول الإسلامية والدول الغربية الصليبية ، فكثرت المصانع وفشت المطابع وأرسل الخبراء وأسست الكنائس فى ديار إسلامية لم تعرف الكنائس قبل القرن العشرين ، وقد أفاض فى ذلك وأجاد مؤلف كتاب (التبشير فى منطقة الخليج العربى) وإذا كان البعد الاقتصادي أوضح هدف للدول الصليبية فى بلاد الإسلام فإننا لا ننسى أن المبشرين يجلبون عائداً مادياً من جراء العملية التبشيرية وذلك العائد فيما يلى :

١- الرواتب التى يتقاضونها من الدول المرسلة لهم .
٢- رعاية البابوية المادية لهؤلاء المبشرين .
٣- ما تأذن به العقيدة المسيحية من حقوق مادية لرجل الدين مثل دفع ١٠% لصالح الكنيسة من كل دخل يصل إلى جيب الإنسان المسيحي ، صكوك الغفران ، التكليل ، التعميد فى الصبا ، طقوس الدفن .
٤- دخولهم تحت ستائر مختلفة مع ضمان عقود عمل لهم ذات امتياز خاص ، إن الطبيب الأمريكى – مثلاً – لو تعاقد مع دولة عربية ، فإنه يتقاضى عشرة أمثال نظيره العربى المسلم المساوى له فى كل شئ ، ولا ينقص راتبه إلا لأنه عربى ، ومسلم كذلك الجندى الأوربي الصليبى إذا أتى بلاد العرب فإنه يتقاضى أضعاف أضعاف ما يتقاضاه الجندى العربى المسلم ، ولا ننسى للحظة أن

عقود هؤلاء مضمونة وترعاها السفارات وعند انهائهـا تتـدخل الحكومات ويتم التعيين مرة ثانية وثالثة ، مع استباحة الحرمات فى تلك الديار ، وبعض السفارات الأوربية فى بعض الـدول العربيـة تقوم ببيع الخمور ، بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

رابعاً : انتشار الإسلام فى ديار المسيحية

دعا رسول الله ﷺ النصارى إلى اعتناق الإسلام ، فأسلم من شاء الله له الإسلام ، وأعرض من حقت عليه الضلالة . وقد بلغ من جرأة هـؤلاء علـى الحق وتعصبهم للباطل ، أن أتوا إلى رسول الله ﷺ يجادلونه فى شأن المسـيح ورسالته ، ويدعونه إلى النصرانية ويجادلونه فى أمر المسيح وقد ذكرت سورة آل عمران والمائدة ومريم والمؤمنون والزخرف شيئاً من ذلك .

وحيث إن الإسلام قد سلم من التحريف ، لذلك كانت حجـة المسـلمين قوية حين الجدل ، لسلامة العقيدة من التحريف ووضوحها وبساطتها واتفاقهـا مع العقل ، وانتفاء التجارة به من قبل علمائه ، حيث لا سلطان لأحد على أحد فى الإسلام ، من الناحية الدينيـة ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ ، ﴿ .. وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ .. ﴾ ، ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ .. ﴾ . كما أن الداعى لا يملك حق المنح أو المنـع ولا تتوقـف صحة العقيدة على اعتماد هذا أو ذاك ، كما لا تتوقف المغفرة على الاعتراف ويقوم بعقد القران الطرفان مع إشهاد الشهود ويتولى الغسل والدفن من تـوفر لديه علم بذلك ، سواء أكان من عامة المسلمين أو خاصـتهم دون شـروط معينة ، أو مقابل مادى مجعول .

لهذه الخصائص – وغيرها كثير – استطاع علماء المسلمين أن يهزموا القساوسة فى كافة المناظرات ، وقد وصل إلينا منها الكثير من بلاد الأندلس ، ومصر ، والهند ، باكستان ، تونس ، وقد سجلت تلك فـى كتـب مشـهورة ، كالفاصل بين الحق والباطل ،والذى حققه ونشره الأستاذ الدكتور / محمد شامة

تحت عنوان (بين الإسلام والمسيحية) وكذلك كتاب (الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام) للقرطبى ، والرد على ابن باجة ، والأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة للقرافى ،الإسلام والنصرانية .. للإمام محمد عبده وإظهار الحق لرحمة الله الهندى وتحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب لعبد الله الترجمان وآخرين من أمثال أحمد ديدات .

وقد انتشر الإسلام فى عواصم مسيحية سابقة كالشام ومصر - كما سبق - واستطاع المسلمون أن ينشروا الإسلام تباعاً فى بعض ديار النصرانية ، وحسبنا اعتناق بعض النصارى للإسلام كل يوم ، ومن يقرأ كتاب (لماذا أسلمنا) يدرك ذلك .

فما كان من رجال الدين المسيحى إلا أن قاوموا الشىء بمثله ، فدرسوا المسيحية وفقهوا الإسلام ، وبدءُوا يشككون المسلمين فى دينهم ، ويوجهون إليهم الدعوة لاعتناق المسيحية سرًّا وعلانية ، كما توجهوا إلى البلدان الوثنية ينشرون فيها هذا الدين ، كوسط أفريقيا وآسيا واستراليا ومثل ذلك بلاد العالم العربى بأسره ، وقد ازداد العداء من جراء الهزائم التى منى بها المبشرون فى ديار الإسلام ، فالبرغم من الكثرة العددية للمبشرين ، وتوفر كافة الإمكانات المادية لهم ، وتلبية مطالبهم من قبل دولهم ، إلا أنهم فى إحدى المؤتمرات قد صرحوا بقولهم ، إنه لم يدن بالنصرانية إلا واحد من اثنين ولا ثالث لهما :

١- يتيم معدم يأخذه المبشرون لينصروه .

٢- فقير مدقع يرد عادية الموت بقوت النصرانية بمثل ما هو فى الصومال ، أريتريا ، جنوب السودان .

ويعلن المبشرون أن بعض القساوسة يدينون بالإسلام ، بل إنهم ليتحولون إلى جنود غيورين يدافعون عنه ، وما كتابات عبد الأحد داود ، أتينية دينيه ، زكى الدين الطهطاوى ، خليل إبراهيم أحمد ، عبد الترجمان ، بغائبة عن أحد من المتخصصين .

لقد تضافرت جهود المسلمين فى حالة دفاع بدلاً من الهجوم . وحسبنا ما سنذكره من وسائل التبشير فى بلاد العالم الإسلامى ، وما أسفرت عنه تلك الوسائل من آثار فى واقعنا المعاصر .

❁❁❁

وسائل المبشرين

يعرف الغرب عورات الشرق حق المعرفة ، ويدرك عوامل القوة والضعف ليستغلها . إنه يستغل مواطن الضعف لصالحه كى يأتى إلى الشرق من طريقها ، ويغتنم مواطن القوة لتدميرها .

كما أنه يعتمد على المبشرين فى تحقيق مآربه وقد تزرع هؤلاء بالحكمة لتحقيق ما يبغون فاستغلوا حاجة الدول وحاجة الأفراد لتحقيق ذلك ، لقد علموا أن بلاد المسلمين تعيش تخلفاً فى مجال العالم التجريبى ، وفى منهج البحث النظرى فى القرون الأخيرة ، كما أنه بحاجة إلى أطباء مهرة وفنيين وخبراء واليتامى بحاجة إلى دور إيواء ، والعامة يؤثر فيهم ما يسمع وما يرى ، ولم يفتهم أن يحملوا العمالة القادمة من ديارهم أمانة نشر المسيحية فى ديار الوافدين إليها . ومن هنا وجدناهم يسلكون السبل الآتية لنشر المسيحية فى بلاد العالم الإسلامى .

أولاً : التعليم .

ثانياً : الطب .

ثالثاً : الخدمات الاجتماعية ومنها :

أ – المعونات الاقتصادية .

ب– الرحلات والكشافة .

ج– دور الأيتام واللقطاء .

رابعاً : العمالة الأجنبية .

خامساً : الإعلام والإذاعة والصحافة .

سادساً : المراسلة الشخصية .

سابعاً : التضليل الإعلامى .

ثامناً : الإخاء الدينى ويمكن إيضاح ذلك على النحو التالى :

أولاً : التعليم :

حرص الغرب على زرع مستشارين فى كافة مراحل التعليم ، كما أنه ناهض التعليم الوطنى أو الحكومى أو التقليدى فى كافة مراحله ، فمد يده فى كل مرحلة ، وأنشأ فى نفس الوقت ما يضاد نفس المرحلة ، ويمكن تناول التعليم الأجنبى فى بلاد المسلمين فى المراحل التالية :

١- **مرحلة الطفولة** : وقد أنشأ الغرب آلاف المدارس الأجنبية فى بلاد العالم الإسلامى لتعليم الناشئة لغته وحضارته ، والعجب أن إنشاء تلك المدارس ليس قاصراً على دولة ما من الدول الغربية أو فى دولة واحدة من الدول الإسلامية ، بل إن تلك المدارس تتبع أمريكا ، فرنسا ، ألمانيا ، انجلترا وغيرها ، ولم تخل دولة عربية من مدارس تتبع تلك الدول التى تخضع فى اختيار الموقع والمدرسين والمناهج والوسائل التعليمية ووسائل النقل لرعاية الغرب ، كما أنها تخضع من طرف خفى لأشراف دينى مسيحى ، وأغلب المدرسين فيها من المبشرين ، ويكمن خطر هذه المدارس فى الجوانب التالية :

(١) الفصل بين التدرج الحضارى والثقافى للأمة الإسلامية .

(٢) الفصل بين الناشئة واللغة العربية باعتبارها مادة ثانية بعد الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية .

(٣) الفصل بين الناشئة والقرآن الكريم ، لأن المنهج المقرر محدد فى تلك المدارس للغاية .

(٤) القضاء على ظاهرة عامة كانت تسيطر على بلاد المسلمين بعامة والعالم الإسلامى بخاصة ، وهى السبق بين البيوت فى إلحاق الأولاد بمكاتب تحفيظ القرآن وتكون المباهاة بين الآباء وأشقائهم والأمهات وشقيقاتهن بنسبة

ما يحفظ الولد من القرآن ، فإذا بالحال يتبدل ، وإذا بأولياء الأمور يتباهون بالسبق فى اللغة ، وفى حفظ الولد لنشيد أجنبى أو أغنية غربية .

(٥) هذه الموارد التى يستنزفها الغرب من أيدى الشرق تلعب دورها فى خدمة التمويل التبشيرى ، فقد وصلت الرسوم فى بعض الأحيان آلاف الجنيهات فضلاً عن التبرعات التى يأخذها هؤلاء من أولياء الأمور .

(٦) يقوم المدرسون والمدرسات بإثارة الشكوك والشبهات لدى الطلاب من طرف خفى ، حدثنى أحد الأصدقاء أن مُدّرسة من المدارس الأجنبية لا تدين بالإسلام دعت الطلاب والطالبات إلى الصلاة – من المسلمين والمسيحيين – وأرسلت الطلاب والطالبات المسلمين إلى دورات المياه للوضوء ، ثم عادوا ثانية وقد تبللت الملابس وهدمت التسريحات ، ووقع منهم فى أماكن الوضوء من وقع ، ثم اجتمعوا للصلاة ، فقالت المُدَرِّسة للطلاب جميعاً ، انظروا إلى المسلمين حين الصلاة ، لابد من توسيخ الملابس ، وخلع الأحذية ، وعدم تصفيف الشعر ، وتوسيخ الأثاث ... الخ بينما الصلاة فى المسيحية لا تؤذى الملابس ، ولا تهدم التسريحة ولا تؤذى المكان ... فأيهما أسهل وأيسر .

(٧) يتربى لدى الناشئة وبين المدارس والثقافة الأجنبية شئ من الولاء ، وينمو الولاء بنمو الزمن ، وتلعب عوامل عدة دروها فى نجاح هذه المدارس . منها :

أ – احترام المواعيد والعمل على ذلك من قبل المسئولين فيها .

ب– المظهر الحسن من قبل الأساتذة والطلاب كعنصر إغراء .

ج– تقدم وسائل التعليم وتطورها بأحدث ما انتهى إليه العصر ، ففى تلك المدارس الفيديو منذ سنين عدداً ، وعندهم المسرح والسينما والآلات الحاسبة والكمبيوتر وجودة الملاعب ووسائلها ، وعندهم برامج للرحلات والتنزهات ، ينفقون عليها الكثير .

إن دخل العامل فى هذه المدارس وملبسه ، ليفوق دخل المدرس فى وظائف الحكومة وإنهم ليستغلون ذوى الوجاهة وميسورى الحال والمسئولين لاحتواء أولادهم فى تلك المدارس .

فهل آن الأوان ، أن نبنى مدارس على غرار تلك المدارس أو تفضلها ؟ وهل نستطيع أن نعد كوادر من هيئات التدريس تعدل أو تفوق هذة الكوادر ؟

إن بواكير ذلك بدأت ببعض المدارس الخاصة الإسلامية ، وبعض المعاهد الأزهرية النموذجية ، فهل نصل يوماً إلى مرحلة الاستغناء ؟ ويسألونك متى هو قل عسى أن يكون قريباً .

إن الإنسان ليؤلمه ما يقرأه ويسمعه ، من تعذر إنشاء مدارس عربية فى البلاد الأوروبية وإنما الاعتماد على الجهود الذاتية فى إنشاء تلك المدارس وفى أضيق الدوائر ، وكم توسطت الحكومات العربية والإسلامية لدى الدول الصليبية للسماح بمثل تلك المدارس دون جدوى ، بينما تبذل التسهيلات لإنشاء تلك المدارس فى ديارنا ، وأن نخضعها بالكلية لإشراف وزارتنا ، وهل نستطيع تغيير مسار السبق فيكون التكريم والاحترام على أساس من حفظ القرآن بين الناشئة ؟؟

٢- **مرحلة التعليم المتوسط** : وأعنى بها المرحلة الإعدادية والثانوية: وصلت أيادي المبشرين والمستشرقين إلى هذه المرحلة من طرق شتى ، كالمستشارين والخبراء والتربويين والمبعوثين الخ . وتجلت آثار هؤلاء فى هذه المرحلة من جوانب شتى نوجزها فيما يلى :

أ - جعل الوقت المتاح لمادة التربية الدينية محدداً للغاية ، فنسبته لأوقات المواد الأخرى لا تعدل ٥% ، بينما الدراسات الدينية فى الغرب تتجاوز نسبة ٢٠% فى بعض الدول من الوقت الدراسى للطلاب .

ب- جعل توقيت حصص الدين غير مناسب للأداء أو التلقى - غالباً - فكثيراً ما تكون الحصة فى آخر اليوم الدراسى بعد كلل وملل .

ج- أصبحت مادة الدين من الناحية الفعلية هامشية فى العملية التعليمية ، فهى مادة نجاح ورسوب فقط ، دون اعتبار لدرجاتها ، ومن له صلة بأساتذة اللغة العربي يعرف أنهم يكتبون درجة النجاح لكل طالب فى مادة الدين وإن لم يكتب شيئاً ، خشية أن يرسب بسبب هذه المادة فى الشهادة العامة ، والذى أدى إلى جعل هذه المادة هامشية هم النصارى أيضاً ، الذين كانوا يمنحون أبناءهم أعلى الدرجات فى مادة الدين لرفع التقدير العام فى الشهادتين (الإعدادية - الثانوية) ، فيكون لهم السبق فى الالتحاق بالثانوى العام أو الطب والصيدلة والهندسة ... الخ والأمر بحاجة إلي إعادة نظر .

د- تضمنت كتب هاتين المرحلتين كثيراً من النظريات التى تهدف إلى التشكيك فى العقيدة ، دون أن يقدم لهذه النظرية أو تلك ، أو يعقب عليها بالصحة أو البطلان ، وذلك كنظرية نشأة الكون ، نظرية النشوء والارتقاء ، ونظرية التحليل النفسى ، وعقدة أوديب والكترا ، وأثر المادة فى الوجود والعدم ... الخ . كما أن أمجاد المسلمين لم تطرح بالقدر المطلوب أو الصورة المحمودة حتى انقطعت صلة الطلاب بأمجادهم .

هـ - تبذل الجهود الآن لطرح الثقافة الجنسية لدى المراهقين ، ولا تخفي آثار تلك الثقافة على أحد ، ممن زار أو قرأ أو سمع عن البلاد الأوربية ، التي تدرس فى مدارسها تلك الثقافة .

و- أنشأ المبشرون فى ديار المسلمين وغيرها مدارس إعدادية وثانوية هى امتداد للمرحلة الأولى ولها نفس الأخطار والآثار التى أشرنا إليها سابقاً فى المرحلة الأولى .

قال المبشر هنرى جسب : إن التعليم فى مدارس الارساليات المسيحية إنما هو واسطة إلي غاية فقط ، هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحين وشعوباً مسيحية ولكن حينما يخطوا التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية فى نفسه ، وليخرج لنا خيرة علماء الفلك

وطبقات الأرض وعلماء النبات وخيرة الجراحين والأطباء ، فإننا لا نتردد حينئذ فى أن نقول إن رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيرى المسيحى إلى مدى علمانى محض إلى مدى علمانى دنيوى ، مثل هذا العمل يمكن أن تقوم به الجامعات هايد لبرج ، وكمبردج وهار فرد وشفيلد ، لا الجمعيات التبشيرية التى تسعى إلى أهداف روحية .(١)

وقال نبروز رئيس الجامعة الأمريكية ببيروت (٤٨- ١٩٥٤م) لقد برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التى استطاع المبشرون أن يلجأوا إليها فى سعيهم لتنصير سوريا ولبنان (٢).

ويتم التركيز على البنات بصفة خاصة . ومن أقول المبشرة أنا ميلجان " يوجد فى صفوف كلية البنات بالقاهرة بنات آباؤهن باشوات وباكوات وليس ثمة مكان اخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحى ؛ وليس ثمة طريق إلى دخض الاسم أقصر مسافة من هذه المدرسة (٣).

٣- **مرحلة التعليم العالى** : ويمكن تقسيمها إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى : مرحلة التعليم الجامعى .

المرحلة الثانية : الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) .

والمرحلة الأولى توجه إليها المبشرون والمستشرقون :

يؤازرهم الاستعمار الصليبى بهدف التأثير على أهلها قدر الاستطاعة ، لقد أنشأ الغرب جامعات تناهض الجامعات الدينية كالجامعة الأمريكية فى مصر وجامعة بيروت فى بلاد الشام وغيرهما من الجامعات فى بلاد العالم الإسلامى ، كما أتاحوا الفرصة لكثرين من ذوى الدرجات الهابطة فى الثانوية

---

(١) التبشير والاستعمار صـ ٦٦ نقلا عن حقيقة التبشير صـ .

(٢) المرجع السابق ٤٦ .

(٣) المرجع السابق ٨٧ نقلا عن حقيقة التبشير .

العامة ، لتحصيل الدرجات الجامعية من ديارهم على اختلاف ثقافاتهم ، وقد ربى هؤلاء الخريجين أو معظمهم على العلمانية . وضمن لهم العمل فى مواقع الصدارة وتتجلى خطورة هذه الجامعات من نواحى عدة أهمها :

أ – إتاحة الفرصة لذوى المجموع المنخفض لأن يحصل على شهادة جامعية ، ونسبة النجاح فى تلك الجامعات تفوق أى نسبة فى الجامعات الوطنية وخريج هذه الجامعات فى الغالب مستواهم محدود ، وأكثر هؤلاء من أبناء ذوى النفوذ والسلطان والجاه ، ويضمن لهم أولياء أمورهم الوظيفة والمنصب حين التخرج فيصيرون عقبة فى كل تنمية بعد ذلك ، بسبب تخلفهم العلمى .

ب– يدفع هؤلاء الطلاب مبالغ باهظة للتسجيل والرسوم وثمن الكتب ... وتلعب هذه المبالغ دورها فى تنمية الموارد لدى المبشرين والمستشرقين .

ج– تغرس هذه الجامعات فى خريجيها غريزة الاستعلاء والسيطرة ، وتدفع إلى الشعور بأنهم فوق غيرهم ، كما تلعب تلك الدراسة دوراً كبيراً فى ميل هؤلاء الشباب إلى الارتباط بالثقافة الغربية فتراهم لا يقرأون ولا يسمعون ولا يستعذبون إلا ما هو أجنبى فى المجلات والصحف والشرائط والملابس ... الخ .

د– تلعب تلك الجامعات دوراً تبشيرياً غير مرئى من طريق المحاضرات والندوات والنشرات فضلاً عن قيام أهلها بقياس الرأى العام لدى الدولة التى يقيمون بها .

هـ– يرى البعض أن الغرب قد أوعز إلى بلاد الشرق بضرورة تطوير نظم التعليم الجامعى كى يساير العصر ، وامتد ذلك إلى وجوب تطوير الأزهر ، فجمعت المناهج بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية ، وخففت المناهج عن الطلاب ، فانتهى الأمر بتخريج طلاب لا هم مثقفون فى العلوم الدينية بالقدر المطلوب ولا هم متخصصون فى العلوم الدنيوية بمثل غيرهم من خريجى الجامعات الأخرى – هكذا يرى كثيرون .

و- تم تقسيم التعليم الجامعى إلى دينى ومدنى وقدم التعليم المدنى على الدينى فى كل شئ من حيث الدراسة - الكتب - العمل - الصدارة - الريادة - القيادة ... الخ .

المرحلة الثانية : (الدراسات العليا : الماجستير والدكتوراه):

يحرص الغرب على إيجاد كوادر له فى بلاد العالم الإسلامى ، ينهجون نهجه ويسلكون سبيله ويبلغون من طرف خفى رسالته ، فتوجه إلى بلاد الشرق بأسلوب ظاهره فيه الرحمة وباطنه العذاب .

لقد حرص على الربط الثقافى بينه وبين أفراد من بلاد العالم الإسلامى ، عن طريق المنح والدراسات التى يقدمها بالمجان إلى بلاد العالم الإسلامى ، أو عن طريق الأفراد الذين يُبعثون من قبل دولهم إلى تلك الديار يدرسون على نفقاتهم الخاصة .

والمنح العلمية من تلك الدول تنقسم إلى قسمين :

- **منح فى مجال** الدراسات النظرية .
- **منح فى مجال** الدراسات التجريبية .

أما المنح فى مجال الدراسات النظرية فإنها تتجاوز ٧٠% من نسبة المنح المرسلة من تلك الديار ، نظراً لأن أصحاب الدراسات النظرية أقرب إلى العقول من أصحاب الدراسات العملية ، فما هو حظ الطبيب ، المهندس ، الكيميائى ، البيولوجى ... من المحاضرات العامة ، والتأثير فى الرأى العام ؟ بينما نجد الإعلامى ، الأديب ، الفلسفى أصحاب الدراسات الدينية ، ألصق بالمجتمع منهم فى مجال التأثير والتوجيه والعجب أن المنح النظرية ترسل إلى جامعة الأزهر ، كما ترسل إلى غيرها من الجامعات ، بهدف إيجاد كوادر فى جامعة الأزهر ، تتبع الغرب فى التفكير ، وقد أدركت الجامعة خطر ذلك التوجيه ، فمنعت الابتعاث فى المجالات النظرية فترة من الزمن ، ثم عادت ثانية تعاود الابتعاث من جديد .

إن الطلاب – من الجنسين – يوفدون ليحصلوا على أسمى المراتب العلمية في الدين الإسلامي ، على أيدى المبشرين والمستشرقين ومجالات التسجيل محدودة في قضايا تخدم الغرب أكثر مما تخدم الشرق ، فالحديث عن وضع معين في بلد معين بالأرقام والإحصاءات من الأمور المحمودة لدى الغرب ، ليكون رد الفعل من قبل الغرب لمقاومة ذلك ، أذكر أن أحد الزملاء أعد دراسة في دولة غربية للحصول على درجة الدكتوراة تتعلق بوضع الدعوة في بلده ، وقد كلف بإجراء حصر لكل نشاط ديني في تلك البلد ، من حيث عدد المساجد وموقعها ، الكتب وطريقة توزيعها ، طلاب الدراسات الدينية ، عددهم ، نوعهم ، مستواهم العلمي مستقبل الدعوة في تلك البلد وأدركت من حديثي معه ، أن المشرف على الرسالة يهدف إلى دراسة يعدّ لها اتجاهاً مضادًا للهدم أو إضعاف التأثير ، وحدثني أحد الأخوة الأردنيين – وكان مبتعثاً إلى أمريكا للحصول على درجة الدكتوراة – أنهم أعطوا مواضيع تتعلق بوضع المرأة المسلمة في كل بلد إسلامي ، وأعطوا الكثير من الأموال لإعداد هذه الموضوعات ، يقول – والمسئولية عليه أمام الله – أنهم بذلوا كل جهد لمعرفة سر ذلك العلم ، فقال لهم أمريكي – من أصل عربي – إن الهدف هو قياس الرأي لدى المرأة المسلمة تجاه المتغيرات التي تهدف إليها أمريكا ومدى تقبلها للثقافة العربية ومدى تحصنها بالإسلام ... الخ .

وحسبنا أن أغلب الرسائل التي أجيزت في الغرب لم تترجم أو يترجم أغلبها ولم تودع في مكتبات الكليات المرسلة ، وجمهور العائدين من هناك ، على أن التعصب يسود أساتذة تلك الجامعات ضد الإسلام وكم ترد الرسائل التي فيها دفاع عن الإسلام ، وكم تحمد الرسائل التي تخدم المبشرين والمستشرقين ، وأحيانا تسجل الرسائل في قضايا لا فائدة منها كالتراجم والسير ، وما قتله الزمن من قضايا تاريخية .

۞۞۞

وخريجوا تلك الدراسات تختلف أحوالهم ، فمنهم :

أ – من حفظه الله ، فهو نابه نابغ لم يتـأثر عقله – سلباً – ولم يتغير قلبه ، فهو ثابت على دينه . وقد زاده فسق الغرب وفجوره تمسكاً بالإسلام ، وإدراكاً لجماله وجلاله ، شأنه شأن من يقطف الورد من الشوك بلا أذى ، وهؤلاء قلة من المبتعثين .

ب– النابه النابغ ، الذى جنح به عقله ، وضل به فكره ، وزاغ قلبه ، فإذا به يَضلّ ويُضل ، وينكر الأديان بالكلية بعد أن شوه عليه ، وهكذا العقل إذا أعرض عن نور الوحى وسار على غير هدى ، فإنه يتخبط فى ظلمات الجهالة – وهو من أهداف المستشرقين الأولى – وقد رأينا من هؤلاء من ينكر وجود الله ويجاهر بالالحاد ومن ادعى النبوة ، ومن شكك فى الصحيحين جملة وتفصيلا ، ومن زعم وجوب تجديد الإسلام لتجدد العصر ... الخ .

ج– ومنهم مستور الحال ، فلا هو فى عداد المعتدلين ولا هو فى عداد الزائغين ، لا يعرف حاله إلا خالقه ، وكم عايشنا دارسين فى بلاد الغرب ، فما رأيناهم يوماً ذهبوا إلى مسجد فى صلاة الجمعة ولا جماعة ولا عيد ولا أدوا شعيرة الحج مع انتفاء المعاذير من خلال حديثهم معنا ، مع عدم تخلفهم عن الحفلات والسهرات ... الخ .

د– تأثرت طائفة من هؤلاء بفكر أساتذتهم فنقلوا عنهم دون النسبة إليهم ، وزعموا أن ما كتبوه من بنات أفكارهم ، حتى جند الله لتلك الأفكار من ينقضها ويكشف النقاب عن سرقات أهلها وينسبه إلى مختلقيه من المستشرقين كما جرى لبحوث ودراسات د/ طه حسين .

إن المبشرين ليركزون على الطلبة المبعوثين إلى البلاد المسيحية وهم يرون أن أولئك المبعوثين " يمثلون طائفة منغلقة ومعزولة لكنها فى النهاية سوف تتشتت وتؤثر تقريبا فى كل المهن ، فإذا أمكن الوصول إليهم ، فإنهم يستطيعون حمل الإنجيل إلى أعمق أعماق حياة بلادهم ... إن الاجتماعات

الطلابية التى ينظمها الطلبة ذاتيا فى مبانى الجامعات ، والتى ينصح لها أو يساعدها بطرق مختلفة ، هيئة متخصصة طوال الوقت لتبدو أكثر فاعلية من إرسال القسس إليهم ، أو تهيئة أماكن لضيافتهم بعيدا عن مبانى الجامعة إن مبانى الجامعة هى موطن الاقتراب الطبيعي للتجمعات البشرية حتى يتبنى الاتحاد العالمى للطلبة المسيحين (s.c.m) والزمالة الدولية للطلبة الانجيلكانبين (I . v . f) هذه الفكرة .

إن واحداً من أهم القطاعات الاستراتيجية للطلاب هم أولئك الذين يقفون على عتباتنا ، ذلك أن أعداداً كبيرة من كل بلاد العالم تدرس الآن فى أوربا وأمريكا الشمالية وأستراليا ، وإن الانطباع الذي يأخذه هؤلاء معهم إلى أوطانهم – وكثيرون منهم سوف يتولون وظائف هامه – ليتوقف إلى حد كبير على الترحيب والحب والصداقة التى يظهرها المسيحيون الذين يقابلونهم ... ويجب أن نتذكر جيداً أن الطالب الذى يعود ليعمل كمبشر بين شعبه من المحتمل أن يكون أفضل بكثير من أى أجنبى آخر .(١)

وأما المنح فى مجال الدراسات العلمية ، فإنها محدودة النسبة لجملة المنح وهناك مجالات لا يأذن الغرب فيها لمسلم بالتسجيل ، كالمراحل المتقدمة من بحوث الذرة ، والقضاء والطاقة النووية ... الخ . لأن الغرب يدرك خطر دراسة تلك العلوم من قبل الشرق ، بل إنه ليحرص على تدمير معظم هذه الطاقة إن قامت فى بلاد الإسلام .

والدراسون فى المجال العملى تتفاوت قدراتهم وخيالهم العلمى ، وعندما يدرك الغرب تفوقاً ملحوظاً فى شخص ما ، فإنه يقدم له من الإغراءات ما يحول بينه وبين العودة وذلك كتيسير سبل البحث له ، وتذليل كافة المطالب ، ورفع مستوى العيش ، والتنافس على شراء الأفكار والمخترعات التى يبتكرونها من قبل الشركات والدول فضلاً عن انتفاء البيروقراطية فى تلك

---

(١) نقلا عن حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر صـــ١٦٧ .

الديار ،واحترام الإنسان بصفة عامة والعلماء بصفة خاصة ، فإن استجاب المبتعث لتلك المغريات ، يسرت له كل سبل الإقامة ، كإعطاء الجنسية وتيسير السفر والعودة ، وقد لعبت تلك المغريات دورها ، فأصبحنا نقرأ ونسمع عن آلاف العرب والمسلمين الذين يعيشون فى تلك الديار ، وسمعتهم عالمية فى مجال الفضاء أو الطب والهندسة والصيدلة ... الخ .

ولبلاد العرب والإسلام كبير الأثر ، فى بقاء تلك الكفاءات فى هذه الديار فالتعقيدات التى يرونها حين عودتهم إلى ديارهم ، بدءاً من دخولهم المطار مروراً بالضرائب والإتاوات وتصاريح العمل وضريبة العاملين بالخارج وصناديق الزمالة والتأمين والمعاش ... كل ذلك من المؤلمات النفسية لعدم وجود ما يقابلها .

كما أن الفجوة في مستوى العيش واسعة ، فلا حق لإدخال سيارة فى بعض البلدان ، وإن دخلت فلا بد من دفع جزء من الدم – كما يقولون – كما تدفع مبالغ أخرى للتأمين والترخيص والسير على الطرقات ، كما أنها تصبح عبئاً ثقيلاً على مقتنيها بعد ، من حيث التكاليف الخاصة بها ، ولا جدوى عند الحوادث من التأمين المدفوع عند الترخيص .

كما أن الرعاية الصحية والطعام والشراب وسبل التعليم وتنمية الموارد الشخصية فى بلاد العالم الإسلامى ، من الأمور التى تصرف كثيرين عن الإقامة فى ديار الإسلام .

❁❁❁

النابغون فى العلوم التجريبية والرغبة فى العودة :

إذا ما حرص هؤلاء على العودة إلى ديارهم ، فإنهم لا يفلتون من يد الموساد الإسرائيلى أو الغرب الصليبى ، وكم عرف التاريخ عمالقة فى مجال البحوث العلمية قتلوا فى ديار الغرب وقيدت ضد مجهول .

وأما الفاشلون من هذا النوع ، فإن الغرب لا يخشى عليهم العودة إلى ديارهم لأنهم يصبحون ذا عبء ثقيل على تلك الديار ، وكم يوجه الغرب بعض الفاشلين فى مجال الدراسات العملية إلى الاشتغال بالدين ، ويدفعهم كأجراء إلى خدمة أغراضه ، فرأينا منهم من يدعى النبوة فى زماننا هذا ؟ ومن يدعى الإصلاح الدينى ويدعو إلى إعادة النظر فى مصادره ، والكثير من هؤلاء يقيمون الآن فى بلاد الغرب ،وتحت رعايته وعنايته .

الإشراف المشترك :

ولم يكتف الغرب – فى هذا المجال – بالمنح الدراسية ، بل حرص على التدخل فى البحوث الداخلية والإطلاع عليها ، وذلك عن طريق الإشراف المشترك بمعنى أن يشرف على الرسالة فرد من الداخل وآخر من الخارج – البلاد الأوربية – على أن يعرض ناتج العمل على الاثنين ، ليكون الإقرار فى النهاية مشتركاً وتكون المراقبة لعقولنا وقدراتنا مباشرة بلا واسطة .

جوانب الإيجاب لتلك الدراسة :

لا يفوتنا أن نذكر تلك الدراسة بشئ من الإنصاف – كما هو شأن الإسلام – من ناحية :

١- حمل الدارسين على إتقان لغة أخرى لا سبيل لأكثرهم باتقانها إلا من هذا الطريق .

٢- الإطلاع على مناهج بحث جديدة غير موجود بعضها فى ديار الإسلام

٣- الإطلاع على ثقافات أخرى بصورة مباشرة وليس من رأى كمن سمع

شواهد من أقوال المبشرين على استغلال التعليم للتبشير :

١- **المستر نبروز** ، يقول :

(لقد أدى البرهان ، إلى أن التعليم أثمن وسيلة ، استغلها المبشرون الأمريكيون فى سعيهم لتنصير سوريا ولبنان ...) .

٢- **دابى – مبشر مسيحى** ، يقول :

(أما رسالة المدارس المسيحية ، فهى أن تجعل الشعوب كلها في المستقبل تابعة للكنيسة).

٣- **جون موت** يقول عن تعليم الصغار :

(يجب أن نؤكد فى جميع ميادين التبشير جانب العمل بين الصغار ، وأن نجعله عمدة عملنا فى البلاد الإسلامية).

٤- **أنا ميلغيات** : مبشرة مسيحية تقول :

(... وليس ثمة مكان آخر – غير المدرسة – يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحى ، وليس ثمة طريق إلى حصن الإسلام ، أقصر مسافة من هذه المدرسة).

٥- **المبشر تكلى يقول :**

(يجب أن نشجع على الأخص التعليم الغربى ، إن كثيرين من المسلمات قد زعزع اعتقادهم ، حينما تعلموا اللغة الإنجليزية ...) .

٦- **دانيال بلس يقول :**

(إن كلية روبرت فى اسطنبول كلية مسيحية غير متسترة ، لا فى تعليمها ولا فى الجو الذى تهيئه لطلابها ، لأن الذى أنشأها مبشر ، ولا تزال إلى اليوم لا يتولى رئاستها إلا مبشر ...) .

٧- **رامون** : اقترح على البابا سلستين الخامس خطتين للتبشير بين المسلمين :

أولهما : أن ينصر المسلمون بالقوة إذا لم تنفع فيهم الجهود السلمية .

ثانيهما : أن تتخذ الكنيسة العلم والمدرسة وسيلة للتبشير .

ويبدوا أن خطة العلم والمدرسة لاقت قبولاً من جانب الفاتيكان ، فعمل على تنفيذها طبقاً للآتى :

١-شجع غريغورس السادس عشر ، بـاب رومـا منـذ سـنة ١٨٣١ م اليسوعيين على المجئ إلى سوريا للعمل بها .

٢-أعطى البابا ليون الثالث عشر فى عام ١٨٨١م اليسوعيين فى سـوريا حق منح الشهادات بأنواعها .

٣-لما ارتقى بيوس الحادى عشر عرش الفاتيكان سـنة ١٩٢٢ زاد مـن تشجيعه اساليب التبشير عن طريق التعليم حتى سمى بابا التبشير .(١)

لقد أكد الحاضرون فى مؤتمر القـاهرة التبشـيرى سـنة ١٩٠٦م دور التعليم الأولى فى العملية التبشيرية ، باعتباره ممهداً لمعرفة المسيحية " قالـت مبشرة – حضرت هذا المؤتمر – إن مدرسة البنات البروتسـتانية التـى فـى الخرطوم فيها من ٨٠ إلى ٩٠ تلميذة مسلمة ، ولأهلهن الحرية فى السماح لهن بقراءة العهد الجديد (الأنجيل وذيوله) أو فـى مـنعهن مـن ذلـك ، إلا أن المدرسة فى هذه السنة لم يرد عليها طلب استثناء واحد باعفاء التلميذات مـن قراءة الإنجيل(٢).

وفى مدارس المبشرين فى القطر المصرى ٣٠٠٠ طالب مسلم خمـس هؤلاء من البنات المسلمات ، وكانت نتيجة هذه المجهودات منذ بداية التبشـير إلى أيامنا هذه أن تنصر مائة وخمسون مسلما ، وأهم ما وقع من ذلـك سـنة ١٩٠٣ ، ١٩٠٤ فقد تنصر فى الأولى ١٤ شخصا وفى الثانية ١٢ شخصا (٣).

هذه شواهد ذكرتها من أقوال المبشرين لتكون ألزم ، إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

إن الإسلام لا يحيل بيننا وبين تحصيل العلوم والمعارف – المفيـدة – على اختلاف أنواعها ولكنه يحرص على أن لا يفتن أهله ، وعلى الغـرب أن

---

(١) راجع التفاصيل فى التبشير والاستشراق – أحقاد وحملات ١٠ ، صـ ١١ – ٢١ .

(٢) الغارة على العالم الأسلامى صـ٢٤ .

(٣) المرجع السابق صـ ٣٠ .

لا يجعل من التعليم سبيلاً لحمل الطلاب على النصرانية ، أو تشكيكهم في الإسلام .

فهل آن الأوان أن نعيد النظر في سياسة التعليم الأجنبي في الداخل والخارج من جديد ؟.

ثانيا : الطب :

تخلف المسلمين في مجال الطب واضح ، وبخاصة في القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، وإذا كنا في القرن العشرين ، نعاني من قصور في مجال البحوث والقدرات الطبية في مصر ، وهي رائدة العالم العربي في هذا الميدان ، فما بالنا بغيرها من بلاد المسلمين ، الذين يعتمدون في هذا المجال على الكفاءات المستوردة من كافة بلاد العالم ، سواء أكان في مجال التطبيب أم في مجال الأدوية أو في مجالات التمريض .. ؟

لقد أدرك المبشرون عوز المسلمين لهذا الأمر ، وشأن الغرب الصليبي أن يستغل كل سبيل متاح له في بلاد الشرق التحقيق مآربه ، وبخاصة أنه يحرص على :

- إيجاد توازن نسبي بين عدد المسلمين وعدد المسيحين في الشرق .
- إيجاد توازن نسبي بين عدد المسلمين وعدد اليهود في فلسطين .
- إيجاد توازن نسبي بين عدد المسلمين وعدد السكان في أوربا .

ولذلك رأيناه يستغل الطب لتحقيق تلك المآرب عن طريق :

١- إرسال أطباء وطبيبات إلى بلاد العالم الإسلامي .

٢- إرسال كافة الوسائل المانعة للحمل إلى بلاد العالم الإسلامي .

٣- إقناع بعض المسئولين في بلاد العالم الإسلامي بأن لا تقدم اقتصادي مع زيادة النسل .

٤- الدعوة إلى إيجاد بدائل للزواج الشرعي في بلاد العالم الإسلامي .

ويمكن بسط القول في تلك العناصر على النحو التالي :

أولاً: بالنسبة لإرسال أطباء وطبيبات إلى بلاد العالم الإسلامي :

لقد أعد الغرب أطباء على مستوى عال من المهارة الطبية ، وأقنعهم بباعث من الدين والسياسة والاقتصاد ...الخ ، وأنه لابد من نشر رسالة المسيح ، بين الأميين ، فأتى هؤلاء مقتنعين بتلك البواعث إلى ديار الإسلام لنشر رسالة المسيح ، وتحقيق أهداف الصليبية ، وقد حرص الغرب على إنشاء مستشفيات تتبعه ، إدارة وأطباء وأدوية ، في البلدان الإسلامية ، وبخاصة عواصمها ، ولا يخفى على أحد كثرة المستشفيات الأجنبية ، في معظم العواصم الإسلامية ، ولم ينس هؤلاء أنهم ما أتوا إلا للتبشير قبل التطبيب " تقول إيد هاريس في نصحها للأطباء :

يجب على الطبيب أن ينتهز الفرص ، ليصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم ، فعليك أيها الطبيب أن تكرز لهم بالإنجيل ، إياك أن تضيع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات فإنه أثمن تلك الفرص على الإطلاق ، ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك : إن واجبك التطبيب فقط لا التبشير ، فلا تسمع منه .

ويقول بول هاريسون – طبيب أمريكي ألف كتابه (الطبيب في بلاد العرب) : إن المبشر يرضى عن إنشاء مستشفى ،ولو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة عمان بأسرها ، لقد وجدنا نحن في بلاد العرب . لنجعل رجالها ونساءها نصارى ".

إن أكثر الأطباء البروتستانت ، الذين جاءوا إلى بلاد العرب والشرق الإسلامي ، لم يأتوا لأداء رسالتهم الإنسانية في معالجة المرضى ، بل جاءوا حباً في التبشير بالمسيحية ومن أمثال هؤلاء الأطباء ، آن أساودج ، فورست ، كارنيليوس فانديك ، دروج بوست ، تشارلس كالهون ، ماري أوى ، الدكتور طوسون ، كانوا لا يبدأون بعلاج المرضى إلا بعد أن يكرزوا عليهم ، ولا يثنيهم عن عزمهم في هذه العملية أي شيء ، حتى ولو توفي المريض قبل أداء الكرازة أو خلالها ، يستمرون في أداء

وظائفهم الدينية . ولم يفت المبشرين أهمية دور المرأة المسلمة ، لذلك أرسلو إلى نساء امسلمين فى بيوتهم وقراهم ومدنهم ، طبيبات مبشرات للاتصال بهن ، كما يذهبون إليهم فى مستشفيات النساء وفى المستوصفات . فضلاً عن تشغيل الراهبات فى مهنة الطب . (١)

لقد أدرك الحاضرون فى مؤتمر القاهرة ١٩٠٦ م قيمة الطب وبينوا أثره فى عملية التبشير ، فقد تحدث المستر " هاربر " وأبان عن وجوب الإكثار من الإرساليات الطبية لأن رجالها يحتكون دائما بالجمهور ، ويكون لهم تأثير على المسلمين أكثر مما للمبشرين الآخرين ، وذكر حكاية طفلة مسلمة عنى المبشرون بتمريضها فى مستشفى مصر القديمة ثم ألحقت بمدرسة البنات البروتستانية فى باب اللوق ، وكانت نهاية أمرها أن عرفت كيف تعتقد بالمسيح بالمعنى المعروف عند النصارى ، وذكر أيضا أمر رجل مسلم كان يحضر محاضرات المبشرين لإثارة الجلبة والضوضاء ، واتفق أنه مرض فدخل مستشفى المبشرين ، وبعد أن لبث فيه مدة شفى وخرج منه ، فصار يحضر المحاضرات فى هذه المرة ولكن بخشوع زائد وبعد ذلك بقليل تعمد وأصبح نصرانيا على مذهب البروتستانت . وتحدث الدكتور " أرهاس " طبيب تبشيرى فى الشام عن مهمته فقال :

إن ٦٨ % من زبائنه مسلمون ، ونصف هؤلاء من النساء ، وفى أول سنة لمجيئه كان العدد ١٧٥ وفى آخر سنة [illegible] ٢٥٠٠ ثم ختم كلامه قائلا : يجب على طبيب إرساليات التبشير أن لا ينسى ولو للحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شىء ثم هو طبيب بعد ذلك .

ثم خطبت المس "أنا وستون " فتكلمت عن إرسالية التبشير الطبية فى مدينة طنطا قائلة إن ٣٠ % من الذين يعالجون فى مستشفى هذه الإرسالية هم من الفلاحين المسلمين وأكثرهم من النساء ، أما طريقة التبشير فى هذه

---

(١) التبشير والاستشراق ، أحقا د وحملات ، ص ٩، ١٠ .

المستشفى فهى أن يذكر الإنجيل للمرضى بأسلوب بسيط لا يدعو إلى التطرف فى المناقشة ....[1] .

منهج الأطباء فى التبشير بين المرضى :

يحرص الأطباء المبشرين من أجل التنصير على :

١- جمع أكبر عدد ممكن من المرضى فى المصحات والعيادات التى أعدت لذلك .

٢- إلقاء دروس فى الأخلاق والمواعظ على جموع المرضى بصورة مباشرة أو غير مباشرة كالصحف على المناضد ، وأجزاء من الكتاب المقدس ، والسير الذاتية لبعض الرهبان ...الخ.

٣- زيارة بعض المرضى فى بيوتهم باعتبارها سبيلاً للالتقاء بأكبر عدد ممكن من البشر . ثم يكون اغتنام الفرصة للتبشير .

٤- استخدام النص القرآنى كشاهد على ألوهية المسيح ، فحين العلاج يقنع الطبيب المريض أنه بحاجة إلى الإيمان بقدرة المسيح على شفائه ، أخذاً من النص القرآنى ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى﴾[2] دون ذكرهم لجملة (بإذن الله) ، فإذا وقع الشفاء أقنعه بأنها مشيئة الرب يسوع ...

ثانياً : بالنسبة لوسائل منع الحمل فى بلاد المسلمين :

عرف التاريخ بعض الوسائل ، واستخدمها المسلمون الأولون لتنزيه أولادهم عن الرق ، وهو ما عرف بالعزل فى الإسلام فى إحدى الغزوات ، إن الولد يتبع أباه فى الأصل والنسب ويتبع أمه فى الرق والحرية ، وعندما حملت سبية من السبايا ، وشكى صاحبها أمرها إلى الرسول- ﷺ- فقال له الرسول: "إنه سيأتيها ما قدر لها "بمعنى أن ما سبق به علم الله ، من حيث الزواج وعدم

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى ص٢٣ /٢٤ .

(٢) آل عمران ٤٩ .

الزواج والإنجاب وعدم الإنجاب ، والكم والكيف ...الخ كل ذلك مرده إلى ما قدره الله فى الأزل ، فما أوجد الله روحاً فى الأزل ، وقدر لها جسداً فى زمان ما إلا وهما مجتمعان وإن اجتمعت الدنيا لمنع ذلك ، وفى الآونة الأخيرة ، رأينا نقصاً ظاهراً فى أدوية السكر والقلب والربو والكبد ...
حتى صار الحصول على بعض تلك الأدوية يحتاج إلى واسطة وإلى عملة صعبة وخضعت للحظر أحياناً وأحياناً أخرى للغش .

وعلى النقيض من هذا ، وجدنا الشركات الأجنبية تتبارى فى تقديم كافة الوسائل المانعة للحمل ، ولم تفتر لحظة عن إنتاج ما يتعلق بالنساء منها ، ومنها ما يتعلق بالرجال ، وتفاوتت فى النوع كالحبوب والحقن والعازل ... بثمن رمزى للغاية .

كما أنفقت تلك الدول على مراكز تحديد النسل وتنظيم الأسرة فى بعض بلاد المسلمين المليارات ، واستعانت بأهل الديار فى تحقيق الأمل المنشود ، مستعينين فى ذلك بالمال ، فالمحاضرة الدينية فى هذه المراكز أعلى سعراً من غيرها ، وإن مكافأتها لتعدل سبع محاضرات بالجامعة تقريباً وخمس خطب من خطب الجمعة ، كما أن المحاضرة التى لا يخصم من مكافأتها ضرائب ، وتصرف نقداً من المشرف عليها ... بينما المحاضرة الدينية التى تتبع وزارة الثقافة الجماهيرية ، يسافر لها الإنسان إلى أقصى محافظات مصر ، بدءاً من الفجر ليصل العشاء ، فيؤدى المحاضرة ويبيت ليلته ليؤدى محاضرة فى اليوم الثانى بعد العشاء ويعود فى اليوم الثالث ، فتصرف له مكافأة ٣٠جنيهاً يتم خصم الضرائب منها ، وتصرف بعد فترة من الزمن .

لقد كان الحديث عن وسائل منع الحمل عيباً فى العقد الخامس والسادس من هذا القرن ، فإذا بنا نجد الإعلانات عن تلك الوسائل تملأ الصحف وتتصدر المجلات وتظهر على الشاشة الصغيرة ، ويدعو إليها بعض رجال الدين ، حتى صارت أمراً مألوفاً ، وصار نقضها شذوذاً فى الثقافة السائدة لدى بعض المجتمعات الآن ، وقد لعبت تلك الوسائل دورها فى نمو الفساد الخلقى

، ببعض ما هو فى الغرب ، ففشت الرذيلة فى بعض الأوساط ، ومـن يقـرأ الصحف القومية والحزبية يعى ما أقول .

ثالثاً : إقناع المسؤلين فى بعض بلاد العالم الإسلامى بأن لا تقدم اقتصـادى مع زيادة النسل :

ليست الأزمة الحقيقية فى الزيادة السكانية ، بل فى سوء استخدام تلـك الزيادة إن الإنسان أغلى الموارد ، وهو المورد الوحيد الذى لا يتأتى تصـنيعه أو تخليقه بعيداً عن أسبابه الإلهية (حيوان منوى أو تخصيب بالطرق الحديثة + بويضة) وكل الموارد قد تكون سبيلاً للنهوض أو الهلاك بحسـب الاسـتخدام الحسن والسيئ.

إن النسبة السكانية فى بلاد العـالم العربـى والإسـلامى ، إذا قيسـت بمساحته ،تعد مثالية بالنسبة لغيرها من سكان الصين ، الهند ، وغيرهما . مع أن تلك البلاد لم تشك من أزمة اقتصـادية – وبخاصـة الصـين – لإيمانهـا بوجوب تحقيق الاكتفاء الذاتى وإن كانت تلك الدول قد سلكت سـبيل الإكـراه على تحديد النسل فى الآونة الأخيرة بباعث مـن الشـيوعية فـى الأولـى ، والعلمانية فى الثانية .

إن لدينا بلاداً عربية تعانى من نقص السكان ، ولدينا أراضـى عربيـة تشكو – مع خصوبتها – من الإهمال ، ولدينا صـحارى وأوديـة تـئن مـن الهجران ، والعطاء من الأرض لمن يلتمس الأسباب .

إن الغرب ليهدف إلى إيجاد توازن بين النصارى والمسلمين في ديـار الاسلام على المدى البعيد حتى إذا تحقق التقارب انقلبت الأمور رأسـاً علـى عقب ، وما لبنان والفلبين والصومال ، بغائبات عن أحد من المسلمين .

رابعاً : الدعوة إلى إيجاد بدائل للزواج المشروع فى بلاد العالم الإسلامى :

قلت : إن تقليل عدد المسلمين نصب عين الأوربيين ، ومن يقرأ المقال الطيب الذى كتبه الأستاذ فهمى هويدى (المؤتمر بعيـون أخـرى) بمناسـبة انعقاد المؤتمر العالمى للسكان ، ونشرته جريدة الأهرام المصرية ، يـدرك أن

كثيرين من المسئولين فى أروبا ، قد حذروا أممهم من الزيادة السكانية فى بلاد المسلمين ، وأشاروا إلى أنها ستدفع طوعاً أو كرهاً إلى غزو الغرب ، بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، ولذلك لابد من القضاء على النمو السكانى المتدفق فى الشرق ، مع الدعوة إلى زيادة النمو السكانى فى الغرب ، وبخاصة أن عوامل عدة تؤدى إلى انخفاضه بمضى الزمن ، عكس المتوقع فى قانون السكان ، فالشذوذ الجنسى بصوره المتعددة ، ووسائل منع الحمل ، بيوت الدعارة ، الصدقات الشخصية حتى أرقى المستويات السياسية والاجتماعية (بريطانيا الآن) ...الخ كل ذلك يحول دون الإنجاب .

لقد حرص الغرب على تصدير بعض هذه العوامل إلى بلاد الشرق ، كبديل عن الزواج المشروع للحد من الإنجاب ، وقد تضمنت المقترحات المطروحة فى المؤتمر العالمى للسكان الدعوة إلى " إيجاد بدائل أخرى للزواج" ومنها الدعوة إلى إباحة الشذوذ الجنسى ، مع إباحة الإجهاض بلا قيد ولا شرط ، كسبيل للحد من النسل ، إلا أن الدول الإسلامية لم تقبل مثل تلك العبادات ، مراعاة لقيم المجتمعات الإسلامية .

وبهذا يتبين لنا مدى انحراف المبشرين والصليبيين بالطب عن الهدف الإنسانى المتعلق به ، ويتأكد ذلك الانحراف بجعل بلاد العالم الإسلامى ، ودول أفريقيا محل تجارب فى الأدوية ، بعد الفئران والقرود والقطط ، إن الأدوية الطبية يتم تجريبها على هذه النوعيات من الحيوانات ، ثم تجرب بعد ذلك فى فقراء أفريقيا وآسيا ، فإذا ثبت نجاح التجربة نسبياً تم نقلها إلى الأوروبيين ، وكم اكتشف الغرب الصليبى فساد أدوية ما ، فحرمها فى دياره ثم استمرت تلك الشركات فى الإنتاج لتقوم ببيع ما تنتج فى بلاد العرب والمسلمين ، حتى إن بعض الأدوية والأصباغ والأحماض المحرمة دولياً ، لتنتج وتباع فى ديارنا ، فهل هذا هو الجانب الإنسانى فى الطب والتطبيب وهل هذه هى أهدافه والغاية من تصنيع الدواء ، ألا ساء ما يعملون .

ثالثاً : الخدمات الاجتماعية :

يتميز المبشرون بالدهاء والحنكة والواقعية ، حين يمارسون نشاطهم الدينى وهم يدركون الأبواب الموصلة إلى القلوب فى ديارنا ، فيدخلون من تلك الأبواب ، ليكون الترحيب بهم فى بعض الأحيان ، فيؤدون أدواراً فى ديارنا ، لا ينكرها إلا بصير بعواقب الأمور ، فمن ينكر – من حيث الظاهر – التبرع ببناء مدرسة ، مستشفى ، دار للمسنين ، المعونات الاقتصادية ... الخ .

من هنا حرص المبشرون (أفراداً ودولاً) على استغلال الخدمات الاجتماعية ، لتحقيق مآربهم ومن هذه الخدمات ما يلى :

أ – المعونات الاقتصادية (المادية والعينية) :

يقوم المبشرون بتقديم المعونات الاقتصادية ، كما تقوم بها الدول ، وتبدو فى مظاهر شتى منها :

- تقديم دعم مادى مباشر للأفراد ، ذكر أحد أساتذة جامعات مصر ، أن بعض الطلاب المسلمين ، قدمت لهم مبالغ مادية من الكنيسة ، وزاد عدد المنتفعين بمضى الزمن ، وأدرك المسئولون الأمر ، فاستدعوا بعض الطلاب ، وسألوهم عن الحقيقة فقالوا الفاقة دفعتنا إلى تقبل الدعم المادى ، لا شئ أكثر من الزيارة للكنيسة الفلانية ، فتم صرف معونة من قبل الجامعة لهؤلاء الطلاب ، مع التنبيه عليهم بعدم فعل ذلك ثانية .
- تبدو المعونات الفردية كذلك فى تعيين المسلمين فى خدمة الكنيسة ، ومن زار دير الآباء الدومينيكان بالدرّاسة ، يرى بعض الأسر المسلمة التى تقيم داخل الدير وتشرف على شئون الخدمة فيه .
- ومن مظاهرها كذلك – وضع الطعام والكساء والدواء فى الكنيسة ، مع الإعلان عن وقت للتوزيع ، فيذهب الفقراء ، ويكون المكث فترة من الزمن ، يتم فيها الكرازة ويعقد فى الموعظة – المقارنة بين الكنيسة

والمسجد ، وبلاد الصليب وبلاد القرآن ليكون التنفير من الولاء للمسلمين ، وتوجيه القلوب إلى الصليبيين .

- كما توجد جمعيات خيرية مسيحية فى بلاد المسلمين ، لمد يد العون إلى فقراء المسلمين وقد صرح المبشرون ، بأنه لا قدرة لهم على تنصير مسلم ، إلا من طريق الدعم المادى وبخاصة فقراء المسلمين .

" تستغل البعثات التبشيرية في أفريقيا ، حالة البؤس التى تعيشها الأسر الفقيرة المسلمة ، فتوقع معها عقوداً – كما حدث فى السنغال – تقدم بموجبها تلك البعثات التبشيرية إلى الأسر السنغالية مساعدات عينية كالأرز مثلا فى كل شهر، على أن يكون لها الحق فى اختيار طفل من أطفال الأسرة وتربيته على حسابها .

ويتضمن العقد مادة تنص على أن الأسرة مجبرة على ردّ ثمن المساعدات وعلى دفع نفقات ابنها ونفقات تعليمه ، إذا هى خالفت شروط العقد (بطلب استرداد ابنها) وتختار البعثة التبشيرية من أطفال تلك الأسر صبيا دون الخامسة من العمر ثم ترسله إلى المدرسة وينقطع الصبى عن أهله وينشأ تنشئة مسيحية ثم يرسل إلى فرنسا لإتمام تعليمه العالى ، بعدئذ يعاد إلى السنغال ليستخدم فى الأغراض التى توافق هوى فرنسا [١].

وفى أعقاب الانقلاب الشيوعى فى أندونسيا سنة ١٩٦٥م ، تم القبض على عشرات الآلاف ممن ثبت تورطهم فى الانقلاب وأودعوا المعتقلات " ولقد سمحت الحكومة للهيئات الدينية أن تقدم خدماتها الإرشادية إلى المعتقلين رجاء إمكان إصلاحهم وإعادتهم إلى حظيرة الإيمان والعقيدة ، فهرع المبشرون من مختلف الطوائف يباشرون نشاطهم ...

وكان المبشرون يبدون للمسجونين استعدادهم لإعالة ذويهم وكفالة أسرهم بشرط أن يوقعوا على صك الاعتراف بانضمامهم إلى الكنيسة التى يبشرون بها ... لذلك سارعوا للاعتراف ، واثقين أن فى عملهم هذا سلامة لأسرهم من غوائل الجوع .. [٢].

---

(١) التبشير والاستعمار صـ ٣ نقلا عن حقيقة التبشير صـ ١٨٦ .

(٢) غارة تبشيرية جديدة على أندونسيا صـ ١١٩ نقلا عن حقيقة : التبشير صـ ١٨٦ .

إن المبشرين لا يعانون من قصور مادى فى حركة التبشير ، فالموارد المتاحة لهم خيالة ، والحفلات التى تقام فى الغرب لجمع أمـوال لـدعم ذلـك النشاط تبلغ حدًا فى الكثرة ، وتنفق الدول الصليبية على المبشرين كثيراً مـن الخيرات ، كما تقوم البابوية بتمويل تلك الجهود الفردية حتى لا تتوقف .

هذا عن المعونات التى تقدم للأفراد والأسر . وأما المعونات التى تقـدم للدول فإنها تبدو فى مظاهر شتى منها :

١- مد يد العون إلى الدول المنكوبة بعد الفيضانات والحـروب والـزلازل والكوارث .

٢- قيام جهاز تموله الأمم المتحدة وموارده من بلاد العالم أجمع ، ومع ذلك يحمل اسماً تبشيرياً (الصليب الأحمر الدولى) .

٣- تقديم معونات عينية للدول الفقيرة كالدقيق – السمن – السـكر – الأرز – الزيت – البترول .

٤- تقديم قروض طويلة الأجل أو قصيرة الأجل لتنميـة مشـروعات فـى البلدان المقترضة .

٥- تقديم الميكنة والآلة الحربية والآلة الطبية ووسـيلة المواصـلات إلـى بعض المسئولين بدون مقابل .

٦- تقديم معونات مادية لا ترد أو إسقاط الديون أو جـدولتها ، أو إسـقاط الفوائد وتبدو هذه المواقف محمودة للغاية ، إلا أن الآثار المترتبة عليها لا يدركها إلا الخاصة ، لأن الحكومات لا تظهر إلا الجانب الإيجـابى لتلك العلاقات أما الجوانب السلبية ، فإن الطرف يغض عنها إلى حين ، وقد اتضح من خلال التتبع أن الآثار المترتبة على المعونات الاقتصادية تتجلى فى الآتى :

١- بعض البلدان الإسلامية تقدم تسهيلات عسكرية لتلك الـدول ، كالقواعـد الجوية وإتاحة استغلال المياه الإقليمية ، والمطارات العسكرية .

٢- إحجام بعض الدول عن معارضة الدول المقرضة فى قراراتها التعسفية ، ولو كان القرار ضد شقيقاتها فى الجوار أو الدين ، ومن يتابع قضايا التصويت فى مجلس الأمن يدرك مدى إحجام الدول العربية عن المعارضة .

٣- تلعب المعونات الاقتصادية دوراً كبيراً لإيقاع البلدان الإسلامية فى دائرة الحرج وأحياناً تدفع بعض الدول إلى السقوط فى براثن لا ترحم ، وكم توافق بعض الدول على مد يد العون إلى الدول الإسلامية – الفقيرة – حتى إذا بدأت تلك الدول مشروعاتها ، وأقدمت على وضع الأسس ، مُنعت تلك المعونة بالكلية ، بدعوى إعادة النظر فى الشروط السابقة ، فعلى سبيل المثال ، عندما أرادت مصر بناء السد العالى شجعتها أمريكا على ذلك ، ووعدتها بمد يد العون ، ثم امتنعت بعد ذلك عن التمويل ، بدعوى تعذر السداد ، أو اشتراط رهن القناة ... الخ . وهنا تدخل الاتحاد السوفيتى ليقوم بعملية التمويل ، واتسعت الصلة وتوطدت العلاقة . فتحولت البلاد إلى الاشتراكية ، وبذرت بذور الشيوعية فى مصر ، من جراء ذلك العمل بالدرجة الأولى .

٤- تعد المعونات الاقتصادية من السبل الممهدة لدخول الجاسوسية إلى بلاد المسلمين فكم يرسلون فى صورة خبراء مع المعونة الاقتصادية للإشراف على عمل ما ، وبمضى الزمن يتبين أن هؤلاء عملاء لبلادهم ، وأحياناً تشترط الدولة المانحة أن يكون الإشراف الكلى لمهندسيها . لتكون على بصيرة بما يدور فى ديار الإسلام ، لقد كتبت بعض الصحف أن الدول الصليبية التى اغتنمت خطيئة ديكتاتور العراق ، لتدمير ذلك البلد العربى المسلم (الكويت) قد اعتمدت فى بعض خططها على الخبراء الأجانب الذين عملوا فى بناء القواعد العسكرية العراقية واحتفظوا بصور حية لتلك القواعد أو اعتماداً على المعلومة الذهنية .

٥- تدفع المعونات الاقتصادية إلى نظام التحالف فى بعض الأحيان ، وتسبب فتنة بين الدول الإسلامية ، وتحمل القلوب على الضغينة ضد بعضها ، وتقرن بالتبشير الدولى أحياناً أخرى ، وما نظم المعسكرات الشرقية والغربية بغائبة عن أحد .

٦- تلعب المعونات الاقتصادية التبشيرية دورها فى التأثير على اتخاذ القرار فى الدول الممنوحة ، فالحكومات تهدد بسياسة التجويع أحياناً ، والإغراق فى الديون أحياناً ثانية ، ومنع المعونة أحياناً أخرى ، إذا أقدمت على فعل هذا أو تركه ، مما يتعارض مع إرادة الدول المانحة ، لقد أدركنا تصفية جماعات وحل جمعيات وإقالة حكومات ، وفض شركات ، واعتقال كفاءات ... الخ لأن بقاءها يهدد مصالح الدول المانحة .

لقد أدرك الصليبيون أن للمال دوره ، فاستغلوا هذه الدور بصورة محمودة وغير محمودة ولو صدق المبشرون والصليبيون النية فى الدعم المادى ، لتركوا ثروات المسلمين لهم ، وما حالوا بينهم وبين استثمارها .

إن الله جعل ببلاد المسلمين ما يزيد عن حاجتهم ، فكفروا بنعمة ربهم ، فضاعت منهم تلك النعمة ، حالهم كحال طفل يحرس مأدبة عليها ما لذ وطاب تفى بحاجته وحاجة إخوته ، فأتت الكلاب فانتزعت منه ما أمامه ، وبقيت بقية من الفتات تناولها ومن رافقه من شدة جوعهم وقسوة عوزهم .

ب- دور الأيتام واللقطاء :

كانت الحرب ولا تزال ذات اثر بالغ على الناشئة ، فهى من كبرى الدوافع إلى اليتم والترمل ، وقد لعبت الحرب العالمية (الأولى والثانية) دوراً كبيراً فى ذلك ، وما الحرب القائمة فى البوسنة والهرسك الآن بغائبة عن أحد من البشر ، يحمل على إثرها أطفال المسلمين ليفرقوا فى مشارق الأرض ومغاربها ، وبخاصة فرنسا ، ألمانيا ، بريطانيا ، وغيرها من الدول الصليبية ، التى تجعل من التقاط الأيتام سبيلاً إلى التبشير أو التنصير .

لقد أنشأ الغرب دوراً للأيتام فى بلاد المسلمين ، فى مطلع هذا القـــرن ، يجمع إليها اللقطاء واليتامى ، يربون تربية مسيحية ، ويحملــون فـــى بعـــض الأحيان إلى ديار الغرب ليربوا فى تلك الديار ، مع إخبارهم بأصلهم وحـــالهم ، ليكون العداء لأهل تلك الديار التي نشأوا فيها وبخاصة إذا كانوا من بلاد الإسلام

(كتب المردوفلاس مقالاً عنوانه " كيف نضم إلينا أطفال المسلمين فـــى الجزائر " ، ذكر فيه أن هناك ملاجئ قد أقيمت فى عدد من أقطـــار الجزائـــر وشمال أفريقيا لإطعام الأطفال الفقراء وكسائهم وإيوائهم أحياناً ، لكن هذه الســبل لا تجعل الأطفال المسلمين نصارى ، لكنها لا تبقيهم مسلمين كآبائهم) [١].

وعقب إرسال جمعية لندن التبشيرية إلى بلاد الهند – التـــى قـــام بهـــا "كارى" ثم تبعتها الإرساليات الأمريكية والاسكوتلندية والهولندية والنرويجيـــة وغيرها ، وكلها تؤدى وظيفتها بنشاط وتقوم بأعمالها بكل دقة ..

كان كل هؤلاء فى بادئ الأمر قد وقعوا فى الحيرة لأنهم لم يعلموا بمن يبدأون فى التبشير ، وهل يسهل بث النصرانية فى البرهمي أو المسلم المتنور أو الهندى العامى ؟

ثم اهتدوا إلى التقاط الأطفال الذين يعضهم ناب الفقـــر فيحنـــون إلـــيهم ويستجلبونهم نحوهم [٢].

وقد أدركت بعض الدول الإسلامية خطورة هذا الأمر ، فأقامت ملاجئ للأيتام وأشرفت عليها الوزارات الاجتماعية للحيلولة بين الناشئة والتبشير .

ج- الرحلات والكشافة :

ظهرت فى الآونة الأخيرة ، الدعوة إلى التبادل الثقافى ، والتلاقى مـــن طريق الزيارات المتبادلة ، وبدأت الوزارات التعليمية والثقافيـــة ، فـــى عقـــد اتفاقيات ثنائية لتبادل الرحلات والإقامة لفترة من الزمن ، وفى هذه الـــرحلات

---

(١) التبشير والاستشراق ٢٤ .

(٢) الغارة على العالم الإسلامى صـــ١٧ .

تقدم التذاكر وتعد البرامج ويحمل الطلاب إلى تلك الديار من الجنسين ، بلا قيد ولا شرط خلقي ويلاحظ على تلك البرامج ما يلي :

١- خلوها من الجانب الديني إن لم يكن الحرص على الترك هو المطلوب.

٢- إظهار الحضارة المادية الغربية بصورة مشرفة ، مع إقناع هؤلاء الناشئة بسمو العقل الأوربي على العقل العربي المسلم ، والواقع الحضاري لتلك البلاد يبهر عقول الناشئة مع الدعوى : إن أوربا ما ارتقت إلى ما هي عليه الآن إلا بعد الفصل بين الدين والعلم ، ولا إمكانية للرقي إلا بإقصاء سلطان الدين عن الحياة العامة ، وتصرد خلقي الحياة الخاصة .

٣- حفلات الترفيه غاية في الفساد في تلك البلاد ، وبخاصة أن الطلاب يكونون في مرحلة المراهقة ، وقد زار بعض طلاب وطالبات إحدى الجامعات المصرية تلك البلاد ورجع أكثرهم يسب ويلعن الجمود والتزمت ويبكي على ما ضاع من العمر في ذلك الجمود ... إلخ .

٤- ظهر اتجاه جديد ، هو الاستضافة المنزلية ، وتقع بين الأثرياء غالباً ، وذلك بتيسير سبيل استقدام فرد من الخارج للإقامة في ديار إسلامية مع أصدقائه من أهلها ، ثم يعود بعض الأفراد للإقامة في بيوت وديار الغرب ، وتكون الصداقة التي ترجح كفة التبشير فيها على كفة التعريف بالإسلام فضلاً عن الدعوة إليه .

د – علاج المرضى كنسياً :

ليس لمسيحي برهان على ما يدعو إليه ، وغاية ما يتغنى به المسيحيون ، الأخلاق الحسنة – كما يزعمون – والتي لا يتأتى تطبيقها على ظاهرها ، وإلا لانتشر الفساد في الأرض وقضى على الخير ، وتغلب الباطل ، وجلبت الذلة والمهانة على من اتبع ذلك " سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن . وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك

الأيمن فحول له الآخر أيضاً . ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً ، ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين ... وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم " متى ٣٨/٥ : ٤٥ .

كما أن معتقدات النصارى تقوم على الوراثة أكثر منها على الإقناع ، ولا يتأتى عرض الجانب العقدى على عاقل ، موضوعي البحث والمناقشة ، كيف يتأتى الدعوى إلى الإيمان بأن الثلاثة تساوى واحداً ، وأن الواحد يساوى ثلاثة وأن الأب خلق الابن ، وأن الابن كان مع الأب فى الأزل ، وأن الأب ظهر متواضعاً فى صورة الإنسان فاستهزأ به خلقه ، فأخذوه وصلبوه ، فرجع ثانية إلى عليائه ... الخ .

كيف يقبل العقل أن تكون الواسطة بين الأب والابن تعدلهما فى المنزلة والمكانة لها ما لهما ، عليها ما عليهما ...

من هنا نقول : إن فقدان الأدلة العقلية ، التى يتأتى من خلالها الدعوة إلى المسيحية وإقناع الناس بها ، قد دفع النصارى عبر التاريخ إلى الاعتماد على خوارق العادات لنشر ذلك الدين .

ينسب النصارى إلى المسيح أنه أرسل تلاميذه لتبليغ رسالته ، وأعطاهم قدرة على خرق العادة ، كقتل الحيات والعقارب ، وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم [١] .

كما أنه دعاهم إلى قوله " اشفوا مرضى ، طهروا برصا ، أقيموا موتى ، أخرجوا شياطين " [٢].

وقد اعتمد المنصرون عبر التاريخ على خرق العادة حين البلاغ ، ومن يقرأ كيف دخلت المسيحية إلى نجران [٣]. ومنها إلى جنوب الجزيرة ، على يد

---

(١) مرقس ١٣/٣ : ١٥ ، ٧/٦ ، ١٢ ، ٣٠ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ١١٩/٢ .

فيلون الراهب ، يدرك ذلك ، كذلك دخول المسيحية إلى الحبشة على يد فيلبس[١]. واعتمادوه على خرق العادة .

وقد أشار إلى ذلك الباحثون فى الدراسات المقارنة ، ومن يقرأ ما كتبه أبو عبيدة الخزرجى – أندلسى – فى كتابه (الفاصل بين الحق والباطل) وما كتبه القرافى – مصرى – فى كتابه " الأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة " يدرك ذلك .

وفى أيامنا هذه ، يستغل النصارى الآلام ، والآمال المتوفرة عند بعض الناس أحسن استغلال لربطهم بالكنيسة ، وقد أبرزت بعض الصحف القومية ، دور بعض الكنائس المصرية – الآن – فى إجراء العجائب ونصت على اسمها ومكانها ونشاطها .

ونشاط الكنيسة – فى مجال الخدمات الاجتماعية كما يزعمون – يتجلى فى زيارة بعض المرضى النفسيين للقساوسة فى أوقات محددة من الأسبوع ، وتقديم بعض الهدايا للمذابح وصناديق التبرعات ، بهدف حلّ السحر عنهم ، وفك العمل وحل المربوط وطرد الأرواح الشريرة من الجسد ، وإصلاح وتحبيب الرجل تجاه زوجته وكل صور السحر أو الآلام النفسية الأخرى .

وقد تلعب الأقدار دورها ، فتحمل المرأة العاقر بعد زيارتها الكنيسة ، أو يبرأ المريض النفسى أو ينشط الكسول فيصبح سبيلاً من سبل الدعاية إلى النشاط الكنسى بعد ذلك ، وقد كتبت سير ذاتية لبعض رجال الدين المسيحى ، تبين عجايبهم ، كمارى مينا ، ومارى جرجس وآخرين .

رابعاً : العمالة الأجنبية :

تعد منطقة الخليج العربى ، أولى المناطق فى العالم جذباً للعمالة ، وقد أعد الصليبيون أنفسهم إعداداً حسناً لغزو تلك الديار " ولقد عقد فى بيروت سنة ١٩٧٩م مؤتمر نظمته إحدى الهيئات التبشيرية عن أوضاع منطقة الخليج

---

(١) أعمال الرسل ٨/٢٦ : ٣٩ .

ودور العمالة المهاجرة إليها ، ولاحظت هذه الهيئة أن ٨٠% من سكان هــذه المنطقة ، هم فى الأساس من العمالة المهاجرة وأن أوضاع هذه العمالة تــدعو إلى القلق والاهتــمام بها ، وبدورها الإيجابى فــى تغييــر الشــكل الســكانى للمنطقة ، وترتب على هذا الموقف أن أعدت هذه الهيئة دراسة للشكل السكانى ومحاولة التعرف على نسبة العمالة المهاجرة ، وديانتها ، وقام القسس بتنظــيم زيارات عدة لــدول المنطقة ، والعمل على تــأمين العمــل لــبعض القســس والمربين المسيحين ، الذين يتكلمون اللغة العربية ، لقيادة العمالــة المســيحية المهاجرة إلى المنطقة .

وقــدرت هــذه الهيئة أن عدد العمــال المســيحيين المهــاجرين إلــى المنطقة - رجالاً وإناثاً - فى جميع مستويات العمالة ، يتراوح بــين ٢,٥ - ٣ مليون مسيحى ، معظمهم من دول آسيا وأفريقيا ولقد أعدت هيئة الأمانة العامة للهجرة فى مؤتمر الكنائس العالمى وثائق حول هؤلاء المهــاجرين لدراســتها والعمل على أساسها ، وكان المؤتمر العام للكنائس والذى عقد سنة ١٩٧٥م قد قرر : أنه يجب على الكنائس المختلفة خاصة التى لها فروع فى بلاد الخلــيج العربى ، أن تدافع عن حقوق العمالة المسيحية المهاجرة إلى المنطقة والعمـ.. على تحسين أحوالهم .

ولقد صدر حديثا كتاب عن منظمة عالمية مسيحية تعمل فى باكســتان عنوانه " صلِّ يومياً " لنشر المسيحية فى منطقة الخليج ولتقوية الكنســية بــين العمال المهاجرين وخاصة القادمين من باكستان ، ومن بين الصلوات المطلوبة أن يصلوا من أجل فتح مركز للدارسين للإنجيل بالمراسلة من باكستان والهنــد فى الخليج ولتنمية برامج الإذاعة .

ومما سهل للمبشرين عملهم فى منطقة الخليج ، أنهم يعتمدون فى تنفيــذ برامجهم على هذا العدد الضخم من العمالة غير المسلمة ، بالإضافة إلــى .. آخر إحصائية لعدد المبشرين فى الشرق الأوســط قــد بلــغ ١٣٠٠ و..

الإنجيليون أن عدد المبشرين فى منطقة الخيلج حوالى ٨٠ مبشراً بروتستانياً ، معظمهم يعمل فى المراكز الطبية .

كما أن هناك عدداً كبيراً منهم يعملون فى المجالات الفنية والصناعية ، دون أن يعلنوا عن هويتهم ، وليس من السهل التعرف على طبيعة نشاطهم (١).

خامساً : وسائل الإعلام :

تبلغ وسائل الإعلام حدا فى الكثرة ، ويمكن تقسيمها إلى :

١- وسائل مسموعة فقط كالراديو والكاسيت .

٢- مرئية فقط : كالكتاب والصحيفة والمجلة .

٣- مسموعة ومرئية كالسينما والمسرح والتليفزيون وشرائط الفيديو .

ويمكن الإشارة إلى استغلال تلك الوسائل على عجل فيما يلى :

الوسائل المسموعة فقط :

عرف المبشرون الإذاعة الموجهة وأدركوا تأثيرها على عقل وقلب المستمع ، ولذلك حرضوا الغرب على إنشاء إذاعات موجهة إلى بلاد العالم الإسلامى ، كى تقوم بالآتى :

١- التعريف بالمسيحية كديانة فى جوانبها الثلاثة العقيدة والشريعة والأخلاق .

٢- توجيه الطعن إلى الإسلام من ناحية المصدر (القرآن - السنة) أو الأركان .

٣- إثارة القلاقل بين الشعوب الإسلامية بهدف الفتنة والقضاء على كل صورة من صور الوحدة .

" يوجد أكثر من خمسين محطة إذاعة تبشيرية فى أنحاء العالم منها . محطة (كويتو) فى الإكوادور بأمريكا الجنوبية ، وأخرى فى (منردفيان فى ليبريا ، وهناك اتحاد الإذاعات فى وسط أفريقيا والشرق الأقصى وشمال أفريقيا ، وتذيع بخمس عشرة لغة إفريقية عدا الإنجليزية والفرنسية والعربية ،

---

(١) نقلا عن " عقائد وتيارات فكرية ، صـ ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

وهناك إذاعة عبر العالم ومركــزها (مونت كارلو) ولها فرع فــي البحــر الكاريبــي ، وهناك محطات تبشــيرية فى كل من (قبرص) و (سويسرا) و(سرى لانكا) و (مانيلا) " [١].

(وفى عهد الإمبراطور هيلا سلاسى ، صارت إذاعة أديس أبابــا تحــت تصرف المبشرين فى كل وقت بالإضافة إلى أن إذاعة " أديــس أبابــا قــد تحولت إلى أقوى إذاعة فى أفريقية ، وبمساعدة تجهيزات المخابرات الأمريكية ، تقوم ببث رسائل الإنجيل كل يوم وطول النهار إلى كل أفريقيــة ، وباللغــة الإنجليزية والفرنسية والعربية والسواحيلية .. بالإضافة إلى عــدد آخــر مــن اللغات الإفريقية دون السماح بدقيقة واحدة لإذاعة القرآن الكــريم) [٢]. كمــا يعمل بعض المبشرين على تسجيل الإنجيل على أشرطة كاسيت ليسهل تداولــه بين الجماهير الأفريقية التى تتجاوز نسبة الأمية فيهــا حــدود الــــ (٧٥%) وسوف توزع الأشرطة على أجهزة تعمل بالطاقة الشمسية .

الوسائل المرئية : الكتاب – الصحيفة – المجلة :

الكتاب :

أنشأ المبشرون بعض المطابع فى بلاد الشرق لخدمة غرضهم التبشــيرى، وقد استطاعوا إصدار ملايين الكتب والصحف والمجلات بكافة اللغات ، لرفع الحواجز بين الكتاب والقــارئ ، كمــا أصــدروا مــع المستشــرقين بعــض الموسوعات

وإذا كنا بصدد الحديث عن الكتاب أولاً : فحسبنا ما صدر مــن طبعــات تتعلق بالكتاب المقدس عامة والعهد الجديد بخاصة ، والتفــاوت البــين بــين الطبعات من حيث الكم والكيف : (ذكر التركى " ضياء أويغر " ما ترجمته : لقد تجاوز مجموع ترجمات الكتاب المقدس خــلال المائــة والخمســين ســنة

---

(١) أخطار التبشير فى ديار المسلمين ص ٢١، نقلاً عن : التبشير في العالم الإسلامى ، ص١٢٩.

(٢) أحقاد وأطماع التبشير فى أفريقيا ، صـــ ٥٩ ، نقلا عن التبشير فى العالم الإسلامى ، صـــ ١٣٠ .

المنصرمة أكثر من (١٣٠) ترجمة وبما يقارب الألف لغة ، وبلـغ مجمـوع نسخ الكتاب المقدس أكثر من مليار نسخة ، ولم يقتصر نشاط المبشرين علـى نشر الكتاب المقدس فقط ، بل تعدى ذلك إلى نشر الكثير من المجلات والكتب والنشرات التى تجاوز تعدادها المليارات ، فإذا أحصينا تكاليف طبـع مليـار نسخة من الكتاب المقدس لرأينا عظم التضـحية الماديـة التـى يقـوم بهـا المسيحيون)[١].

ويدهش المرء حين يتبين له أن (الكنيسة قد سخرت كل إمكانية لتنصـير أفريقيا وفى اجتماع عقد منذ وقت قريب بـ " نيروبى " لكبار المسئولين عـن اتحاد جمعيات الإنجيل ، كشف النقاب عن جانب من توظيف تلك الإمكانات ، فقد تبين أن الإنجيل الذى ترجم حتى الآن إلى " ١٨٠٨ " لغة ولهجة محلية فى مختلف أنحاء العالم ، قد ترجم أيضاً إلى " ٤٩٨ " لغة ولهجة محلية أفريقية ، وأن العمل يجرى حالياً لترجمته إلى " ٢٠٠ " لغة ولهجة أخرى ، وأن اتحـاد جمعيات الإنجيل سوف ينفذ مشروعاً يكلف ملايـين الـدولارات ، لترجمـة الإنجيل إلى " ١٥٠٠ " لغة ولهجة أفريقية فى غضون " ٧ " إلى " ٨ " سنوات ...)[٢].

الصحف والمجلات :

للمبشرين صحف تبلغ حداً فى الكثرة ، تصدر بكافـة اللغـات ، حـرص المبشرون من خلالها على إزالة الحواجز ، بين الكاتـب والقـارئ ، وذلـك بإصدارها بلغة القارئ وهذه الصحف ذات اتجاهين :

الاتجاه الأول : تبشيرى بصورة سافرة ، فهى تعرف بالنصرانية وتشـكك فى الإسلام ، وقد أتى إلىّ بعض الطلاب السودانيين والصوماليين ببعض هـذه

---

(١) جذور واطماع ، ضياء أويغور ، ترجمة إبراهيم الداقوقى ، صـ ٣٣ ، نقـلاً عـن التبشير فى العالم الإسلامى صـ ١٣١ .

(٢) مجلة الأمة من مقال : مستقبل الإسلام فى أفريقية ، عدد ٦٥ ، صـ ٦٣ .

الصحف والمجلات مثل (لا : دين المسيح لم ينسخ) ، (الحياة) وهى توزع بالمجان .

ومن المجلات التى تصدر فى مصر مجلة : رسالة النور . أسسها القس صموئيل حبيب سنة ١٩٥٦م ، ومجلة أجنحة النور ، مجلة شهرية ، ومجلة الصلاح ومجلة الكرازة ، جريدة وطنى ، الرسالة الكنسية فى خدمة الريف [١].

ومن يزر معرض الكتاب الدولى يدرك مدى انتشار تلك المجلات ، ولم يعد الأمر بخاف على أحد الآن من رؤيته لكثير من المجلات والصحف منتشرة فى الأكشاك وعلى الأرصفة للبلاغ .

الاتجاه الثانى : تبشيرى ضمنى ، وحسبنا أن معظم الصحف التى صدرت فى بلاد العالم الإسلامى أسسها نصارى ، وأنها تغنت بمجد أوربا ونعت تخلف الشرق وكم نقرأ بعض المقالات السافرة ، ونسمع عن حجب بعض المقالات المدافعة وقد ذكر أحد الباحثين أن بعض الصحف التى صدرت فى مصر هدفها تبشيرى بالدرجة الأولى مثل : المقتطف ، والمقطم ، ودار الهلال ، اللطائف للآداب ، المقطم للسياسة ..[٢] بل إن الأهرام أنشئت أولاً لخدمة السياسة الفرنسية فى مصر .

الوسائل المسموعة والمرئية :

وهى من أخطر وسائل الإعلام ، لأنها تملك على الإنسان حواسه وقد أحسن المبشرون والمستشرقون استخدام هذه الوسائل ، وحسبنا أن مؤسسيها فى البدء من اليهود والنصارى ، ولم ير المبشرون وجوب العرض السافر لرسالتهم ، ولكنهم حققوا الغاية المرجوة من استخدام تلك الأجهزة .

إذا كان توهين العقيدة الإسلامية فى النفوس هدفاً أساسياً لدى المبشرين فإن المستشارين الثقافيين ، والإعلاميين المأجورين ، وعملاء المستشرقين فى

---

(١) راجع التفاصيل فى " التبشير فى بلاد العالم الاسلامى ١٤٧ ، ١٤٨ " .

(٢) التبشير فى بلاد العالم الإسلامى ..

مجال الإعلام ، كل هؤلاء يحققون آمال المبشرين بما يقدم من صورة مهزوزة لرجل الدين الإسلامي وحسبنا أنه لا يظهر في الأعمال الفنية إلا في صورة صاحب طرفة ، أو محب ولهان ، أو هائم سكران ، أو متسول معتوه ، وكم يظهرون في صورة مراهقين ، أو متخلفين جامدين ولم نسمع عن ذكرى فلان من العمالقة كالشيخ شلتوت ، والشيخ الأودن ، الشيخ الشرقاوي والإمام الفيلسوف محمد البهي ، ود. عبد الحليم محمود ، بينما تطرح القنوات عدة ساعات تتعلق بهذه الغانية أو ذلك في ذكرى مولده وذكرى وفاته ... الخ .

وحسبنا دليلاً على أن للمبشرين نفوذا في السياسة الإعلامية ، من صورة الإعلام في بلاد الإسلام لصورة رجل الدين المسيحي ، فلم يظهر قسيس واحد بصورة منفردة أو قبيحة ، ولم يشر إليهم بشئ من السوء من قريب أو بعيد ، فبدأت الأعياد المسيحية تنقل على شاشات التليفزيون ، والصلوات على بعض القنوات الإذاعية ، فهل هذا خبط عشواء ؟

وإذا كانت الموسيقى والرياضة من سبل الإلهاء إذا تجاوزتا الحد ، فحسبنا ما يبث من ملايين الساعات في هذين الأمرين بلا طائل من ورائه إلا تنشأة جيل خاو من الثقافة النافعة ، فاقد للهدف ، ضال القدوة ، اللهم إلا صاحب القدم الذهبية أو الرأس الصاروخية ... الخ .

سادساً : التبشير بالمراسلة :

أنشأت مدرسة اسمها مدرسة الإذاعة الكتابية بفرنسا – مرسيليا – ص.ب (٤) تقوم بإعداد برنامج يقدم من إذاعة حول العالم (مونت كارلو) يسمى ببرنامج (نور على نور) من الساعة التاسعة مساءً توجه دعوتها إلى طلاب الوطن العربي ، ومصر بخاصة ، وتعلن عن رغبتها في الصداقة والتعاون العلمي وتبادل المعلومات وإرسال الكتب والهدايا ، وقد سلكت هذه المدرسة السبل التالية :

السبيل الأول :

إلقاء دروس تعليمية : حيث تعلن عن الرغبة في الاتصال ، فيرسل الشاب خطاباً إليها فيبدأ الرد على التو بخطاب مباشر فيه قسيمة طلب الدروس معلنين لطالبها وعدهم بإرسال الكتب اللازمة في المستقبل ، قائلين له : وبناء على

تقدمك فى الدروس سوف نرسل لك كتباً أخرى ، ولا تنسى بأن نذكرك بأن دروسنا هذه مجانية ، ويرفق بذلك ورقة مكتوب عليها " توجيهات عامة " يطلب من المرسل إليه الاحتفاظ بهذه الورقة ، ثم تبدأ المدرسة فى إرسال كتيب صغير فيه عدة إصحاحات من الإنجيل ، ويرفق بذلك خطاب يطلب فيه ما يلى:

١- أرسلت لك كتيباً بعنوان (........) اقرأه كاملاً على الأقل مرة واحدة قبل أن تباشر دراسة هذه السلسلة .

٢- اقرأ بتمعن الإصحاح المعين فى بداية كل درس ، هذه القراءة تساعدك على فهم الدروس وإعطاء الجواب عن كل سؤال .

٣- يتألف كل درس من خمسة أقسام ، بيانها بالنسبة للطالب فى خطاب كما يلى :

أ – صلاة يقولون عنها : هذه الصلاة ليست صيغة جامدة (تورية بصلاة المسلمين) بل مثال يمكنك أن تستوحى به لتتر قلبك إلى الله بثقة وإيمان .

ب- آية للحفظ الجيد فى الصدر : تتعلق بألوهية المسيح – كما يعتقدون - .

ج- إكمال النص الوارد ، وذلك بذكر نص سبق طلب حفظه ، ثم إعادته ثانية لاستكمال الكلمات المحذوفة .

د- دراسة شخصية : المطلوب منك فى هذا القسم أن لا تنقل الآيات بأكملها بل أن تختار الكلمات التى تجيب بوضوح عن السؤال .

هـ- خلاصة الدرس : وهو تضمين الورقة المرسلة خلاصة ما فيه من أفكار ثم تنتهى الورقة بهذا المقطع " حين تنهى الدرس أرسله إلينا فنقوم بتصحيحه وإعادته لك مع الدرس التالى " .

ويلاحظ على منهج التبشير بالمراسلة ، الهدوء ، البساطة ، محاولة الإقناع بألوهية المسيح عن طريق النص المرسل واتباع سياسة الربط بين الطالب والمدرسة حيث الإجابة وإعادة الإجابة مصححة واقترانها بمكافأة فى بعض الأحيان .

دروس تبشيرية لطلاب الأزهر :

ومن الوثائق الموجودة بين يدىّ ، وجدت الدرس الأول وعنوانه (حياة يسوع المسيحى) وهو من الدروس المرسلة على أحد طـــلاب كليـــة التربيـــة جامعة الأزهر ، وكذلك بعض طلاب كلية أصول الدين المنصورة ، وقد أجاب الطالب على أسئلة الدرس ، وأرسل الإجابة ، فأتته مصححة ، وأعطـــى ٠,٩ بتقدير (جيد جداً) هكذا كتبوا له التقدير ، ثم أنهوا التصحيح قائلين له ، وإلى .. إلى الإمام يا أخونا ... الرب ينير قلبك لتفهم كلمته ، وتعرف من هو المســـيح لتنال الحياة الأبدية ، ولم يســـتخدم المصححون أسلوب التنفيـــر بـــل أســـلوب التبشير ، فلقد أخطأ ومع ذلك أعطى ما سبق ، كما أن المرسل إليه يسجل لـــه رقم ويكتب فى نهاية الدرس لا تَنس أن رقم تسجيلك فى مدرستنا هو ....

السبيل الثانى :

إرسال وريقات تتضمن دروساً فى الأخلاق يفهم منها ما يلى :

أ – التشكيك فى حب المال أو طلبه كما في النص المرســـل " فمحبـــة المال تجعل الإنسان كاذباً وخادعاً وحسوداً وسارقاً وقاتلاً ولصاً .... فهل تملك مالك أو تعبد كنوزك ... " ناسين أنه لولا الإمكانات المادية المتاحة لهـــم مـــا استطاعوا التبشير على وجه الإطلاق .

ب- يعتمد الأسلوب على قصص من نسج الخيال ، لا يهدف كله إلا إلـــى الإيمان بالمسيح كالخالق الرازق المخلص المحرر من الذنوب راعى المؤمنين به

ج- تضمن المراسلات الحث على الاتصال الدائم بجهة المراسلة ، وكم تنتهى الرسالة بهذه الفقرة " أيها الأخ إن أردت تبريرك فى دينونة الله نرســـل إليك الإنجيل الشريف الذى يقويك إلى الحياة الأبدية " وفى رسالة أخـــرى " إن اشتقت للثبات والصدق والحق فنحن على استعداد لنرسل إليك ســـفر أعمـــال الرسل مجاناً إن طلبته ، وهذا السفر يوضح لك بصورة شيقة المنـــاطق التـــى عمل فيها رسل المسيح ، ودعوا الناس ليطرحوا الكذب " وفى رســـالة ثالثـــة ختموها فى النهاية بقولهم " إن أردت أن تسمع أكثر عن فرح الرب وفعلته فى

حياتنا فنحن مستعدون أن نرسل لك إنجيل متى .. وإن كان عندك أسئلة حول الإيمان والخلاص وكتبتها إلينا يجاوبك القس إسكندر جديد بكل صراحة وإخلاص " ، وفى رسالة رابعة ختمت بـ " إذا أردت حول هذه المواضيع مزيداً من الإيضاح فبادر بالمكاتبة إلى العنوان التالى . وقد نصوا على العنوان

السبيل الثالث :

إرسال أوراق برواز مزينة بنقوش فيها طابع الفن الإسلامى ، مدون فى وسط البرواز (بسم الله الرحمن الرحيم) وعلى اليمين عشر وصايا من كتاب العهد القديم وعلى الشمال عشرة من كتاب العهد الجديد ، وقد زين ظهر الورقة برسوم ، ودون عليها أدعية تتضمن فقرات من المزمور المنسوب إلى داود .

السبيل الرابع :

إرسال مجلات إلى هؤلاء الشباب تحت يدى منها الآن ثلاثة أعداد من مجلة المعرفة ، وهى ورقة كبيرة مقسمة إلى أربع صفحات من القطع الكبير ، تدور مادتها العلمية حول أسئلة وأجوبة ودعوة إلى المسيحية والمسيح وتذكير بالآخرة مع دراسات علمية دينية تعلى منزلة المؤمنين بالمسيح ، مع إعلانها عن المدرسة الصادر عنها المجلة ودعوتها إلى سماع البرنامج التبشيرى من مونت كارلو ، وهو بعنوان (نور على نور) [(١)].

سابعاً : التضليل الإعلامى :

أوتى اليهود والنصارى من الحول والطول فى مجال الإعلام فى زماننا هذا ما لم يؤت المسلمون ، وقد أحسنوا استخدام تلك الوسائل لصالحهم ، فأصدروا ما يُعَرِّف بالمسيحية ويحبب فيها وينفر من غيرها ، ... الخ .

وفى نفس الوقت يصدرون مجلات ، ويكتبون مقالات ، ويذيعون عبر القنوات عن اعتناق مئات الغربيين للإسلام ، وعندها يستبشر المسلمون ،

---

(١) اقرأ المقال مفصلاً فى جريدة النور الإسلامية الصادرة بتاريخ ٨ ذو القعدة ١٤٠٨هـ د/ بكر زكى .

فيهللون ويكبرون ، ولو كانت الإحصائيات التى تنشر صحيحة بالكلية لـدان نصف أوربا بالإسلام الآن .

إننا لا ننكر زيادة عدد المسلمين فى ديار الغرب ، ولكننا نرى الباعث غير ما يراه الآخرون فالكبت وضيق العيش وشظف الحياة يدفع كثيرين إلى الهجرة لتلك الديار ، كما أن البعثات التعليمية تتزايد بمضى الزمن ، إلا أن كثيرين منهم مسلمون على الورق ، أو هم شيكات بلا رصيد .

وبينما يكثر المبشرون والمستشرقون من تحذير الغرب من هذه الزيادة، يغضون الطرف عمن يدين بالنصرانية ، وحسبنا – فى إطار الموضوعية فى البحث – أن نقول :

إن النصرانية فى السنوات الأخيرة قد اكتسبت أتباعاً لها أكثر مما اكتسب الإسلام إن لدينا دولاً نصرت ، ودولاً على وشك أن تتنصر ، ولدينا أجزاءً من دول نصرت وقد اتجهت أوربا إلى أقصاء الإسلام عن ديارها وبخاصة عن البلقان . لقد أعلن المسئولون فى بريطانيا وفرنسا وغيرهما ، أنهم لا يقبلون بوجود دولة مسلمة فى هذه القارة ، ويذبح المسلمون ويطردون ويشرد النساء والأطفال على مرأى ومسمع من العالم بأسره ويحول سكرتير عام الأمم المتحدة (د/ بطرس غالى) دون استخدام القوة ضد الشيوعيين الصرب ويرفض فى نفس الوقت مد المسلمين بالسلاح للدفاع عن أنفسهم بدعوى : إن ذلك سيؤدى إلى اشتعال النار فى الفتيل أو سكب الزيت على النار .

إن سياسة التضليل من قبل الإعلام الصليبى يكمن وراءها الشئ الكثير ومن ذلك :

١- إشاعة الطمأنينة بين الجبهات والأفراد المسلمين ، لأن الإسلام ينتشر بذاته وأنه قد هزم النصرانية فى عقر دارها ، وفى مجال المواجهة (أفريقية) .

٢- تأجيج نار الحقد فى صدر الصليبيين فى الغرب ، للتحرك لمواجهة الإسلام بقوة عن ذى قبل ، ولعلنا نلمح الآن الكتابات الحديثة عن

الحرب الباردة القادمة وقيامها على أساس دينى بين الشمال الصليبى والجنوب الإسلامى .

وحتى لا يغضب من يقرأ هذا الكلام أو يتهمنا بأننا غير موضوعيين نذكر له هذه الإشارة كدليل على صحة ما نقول " وأمام هذه الإمكانات والجدّية فى توظيفها لابد أن نعترف بأن الكنيسة – خاصة الكاثوليكية – استطاعت أن تحقق نجاحاً كبيراً فى أفريقيا ، كما لا بد من الاعتراف والاعتبار أيضاً بأن الكاثوليك الأفارقة ، الذين لم يكن عددهم سنة ١٩٠١م يتجاوز (١,١) مليون نسمة (١% من تعداد السكان) يقدر اليوم بـ (٦٥) مليوناً وبنسبة تزيد عن (١٦%) من مجموع سكان القارة " [١].

ثامناً : الإخاء الدينى :

وجه الإسلام دعوته إلى اليهود والنصارى ، للالتقاء على الحق وترك الباطل ، ومن نداءاته إليهم قول الحق سبحانه : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [٢]. فلم يستجب أهل الكتاب لتلك الدعوة مع إيماننا ببقائها قائمة ما بقى القرآن .

وقد ناقش القرآن النصارى فى شأن المسيح ، فبين حقيقته ومعجزاته ورسالته ونهايته ، ثم أمر الرسول ﷺ بقوله ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [٣].

وقد بين الإسلام موقف الذين كفروا من أهل الكتاب من الدعوة الإسلامية فى مواطن ومواقف شتى نذكر منها :

---

(١) من مقال د/ الطيب زين العابدين ومستقبل الإسلام فى أفريقية ، مجلة الأمة عدد ٦٥ / ١٩٨٦

(٢) آل عمرن : الآية ٦٤ .

(٣) آل عمران : الآية ٦١ .

١- إظهار الإيمان أول النهار وإعلان الكفر آخره ، قائلين : عرضنا ما جاء به محمد ﷺ على التوراة والإنجيل ، فلم نجده صحيحاً ، وكان هدفهم تشكيك حديثي العهد بالإسلام ، قال تعالى ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١).

٢- توجيه الدعوة إلى المسلمين لاتباع اليهودية أو النصرانية طلباً للهداية ، ذكر القرآن ذلك وأبطله ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢).

٣- بينَ القرآن موقفهم مناً عقدياً ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٣).

موقفَ القرآن مِنْ ضلالات أهل الكتاب :

لقد أذن القرآن بمجادلتهم ، بشرط أن يكون المجادل على مستوى يمكنه من هزيمتهم ليحقق نصراً للإسلام ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٤)، ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٥).

كما صرح القرآن ببعض أركان الاعتقاد عند النصارى ، وبين جوانب الخطأ فيها ، بصورة لا يتأتى معها تقارب ، وحيث إنه لا مهادنة فى مجال

---

(١) آل عمران الآية ٧٢ .

(٢) البقرة : الآية ١٣٥ .

(٣) البقرة : الآية ١٢٠ .

(٤) العنكبوت : الآية ٤٦ .

(٥) النحل : الآية ١٢٥ .

الاعتقاد ، ذ ت الأحكام الصريحة القطعية قال تعالى فى أمـر النبـوة ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١)، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا . .﴾ (٢)، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (٣)، ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٤)، ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٥).

وأما عن عقيدة التثليث فقد وردت الأحكام صـريحة ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٦).

من هذه النصوص ندرك بعد المسافة بين النصـارى والمسلمين فـى مجال العقيدة ، وازدادت كما عرف التاريخ استمرار الجدل بين أتباع الـدينين منذ ظهر الإسلام ، حتى منتصف القرن العشرين ، فألفـت الكتـب ونشـرت

---

(١) المائدة : الآيتين ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) المائدة : من الآية ١٧

(٣) التوبة : الآية ٣٠ .

(٤) الأنعام : الآية ١٠١ .

(٥) الزمر : الاية ٤ .

(٦) النساء : الآية ١٧١ .

البحوث وكتبت المقالات وعقدت المناظرات وكانت النتيجة – فى الغالب – لصالح المسلمين .

وقد أدرك المبشرون أن أسلوب المواجهة سيؤدى بهم إلى الهزيمة لا محالة ، فحرصوا على تغيير الأسلوب ، وظهرت الدعوة إلى الالتقاء بدلاً من الشقاق وحرص عليها النصارى .

وسواء أكان الباعث على تلك الدعوة الرغبة فى مواجهة التحدى الشيوعى ، أم اعتناق الأفارقة للإسلام أكثر من ميلهم إلى المسيحية أم تغيير الأسلوب فى الحوار ، فبدلاً من وضع القساوسة فى حالة دفاع أصبحوا فى مأمن من الهجوم ، ليكونوا هم كما يريدون من حيث النشر والتبليغ .

لقد دعا الباباوات إلى عقد المؤتمرات وإنشاء جمعيات تحت مسميات شتى منها (الإخاء الدينى).(التسامح الدينى).(ملتقى الأديان).(جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية ...) الخ .

وبدأنا فى الآونة الأخيرة نجد هذه المؤتمرات تنعقد فى بلدان مختلفة ، ونلاحظ أن القضايا – محل المناقشة – تبعد عن الجانب العقيدى – فى أغلب الأحيان فهى تركز على جوانب الأخلاق فى الأديان [1]، أو الموقف من المد الشيوعى أو حوار الحضارات ، أو وضع المرأة . أو التأثر والتأثير بين الثقافات ، أو طلب بيان موقف الإسلام والمسلمين من المسيحية والمسيح .. الخ.

وأكثر المقالات المعربة أو العربية التى قرأتها حول هذه المؤتمرات ، يكون الحديث فيها بعيداً عن أصول العقيدة النصرانية ، أما المجاهرة بالحق فى قضية التثليث والصلب والمعمودية والفداء والعشاء الربانى ... الخ فلم يتعرض لها إلا قلة قليلة من علماء المسلمين .

إن النصارى كانوا يرفضون مع مطلع هذا القرن كل تقارب مع المسلمين ، فعندما " حاول نفر من النصارى الدعوة إلى مصادقة المسلمين فى

---

(١) التبشير والاستشراق ، أحقاد وحملات صـ ٥ .

الصين ، أنكر صموئيل زويمر عليهم ذلك ، لأنها تخلق فى نفس النصـــرانى جبناً عن التبشير "[١].

إن فرية التـــقارب هذه حرص عليها النصرانى منذ خمســين عامـــاً أو يزيد ، وهى مرتبطة بأهدافهم لا بدعوة القرآن لهـــم ، وقـــد رفضـــها شـــيوخ الإسلام سابقاً وقبلها بعض المعاصرين ، بدعوى أنهم رأوا ما لم نر ، وسمعوا ما لم نسمع ، وعلموا ما لم نعلم ، فشاركوا فى تلك المؤتمرات .

لقد عالج هذه القضية الأخ الفاضل المرحوم الـــدكتور / محمـــد زيـــن العابدين ، فجمع وكتب ما يلى :

" فطن علماء الأزهر لمكر دعاة المسيحية ، فلم ينخدعوا بزيفهم ، ولذا لما أوفدت فرنسا مستشرقاً لا هوتياً إلى مصر فى أواخر القـــرن الماضـــى ، للدخول مع علماء الأزهر فى حوار من أجل التقارب بين الطـــرفين انكشـــف أمره على يد أحد شيوخ الأزهر فعاد إلى فرنسا يجر أذيال الخيبة [٢].

لكن أنصار الصليب لم ييأسوا من محاولاتهم فخرجوا علـــى العـــالم بمـــا يسمونه " مؤتمرات الأديان " ومنها " مؤتمر الأديان العالمى " الذى عقد بلندن فى شهر يوليو ١٩٣٦ وقد بعث شيخ الأزهر الأسبق المرحوم / مصطفى المراغـــى رسالة إلى المؤتمر " يبين فيها إسراف القوم من أهل الرســـالات الســـماوية فـــى مقاتلة بعضهم ، وفى استعمال طرق الإكراه والإغراء وغيرها من الوسائل لكسب الشعوب إلى صفوفهم مع علمهم أن الإيمان لا يحل القلب بالإكراه "[٣].

---

(١) ذكرت الأهرام المصرية ، عدد الجمعة ٩٤/١١/١٨ إن الجمعية الأوربيـــة للأديـــان العالمية مع معهد التربية الدينية لوكوم – ألمانيا عقدت مؤتمراً حول الروحانيات فـــى الأديان العالمية .

(٢) نحن وأهل الكتاب ، عبد الله السمان ، مجلة الأمة ٣/٣٢ ، نقلاً عن التبشير فى بلاد العالم الإسلامى صـــ ١٨٣ .

(٣) رسالة إلى البابا بولس السادس ، صـــ ٢١ – ٢٢ .

وفى الخمسينات من القرن العشرين ظهر " نداء الإخاء الدينى " وأنشأ القس هوبكنز بتوجيه من المخابرات المركزية الأمريكية " جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية واحتفل بميلادها فى قرية " حمدون " بلبنان .

وفى العقد الثامن من هذا القرن انعقد مؤتمران في قرطبة :

الأول : مؤتمر قرطبة الإسلامى – المسيحى فى عام ١٩٧٤م .

الثانى : مؤتمر قرطبة الإسلامى – المسيحى فى عام ١٩٧٩م .

وقد وعد سكرتير عام " جمعية الصداقة الإسلامية – المسيحية " د/ ميجيل ايبالثا قبل انعقاد المؤتمر بأنه سيوجه الدعوة لشيخ الأزهر لحضور المؤتمر ، وطلب منه رسمياً تقديم ما يقترحه ويراه مفيداً ونافعاً لدراسته أثناء انعقاد المؤتمر ، وقد رد عليه شيخ الأزهر المرحوم الدكتور/ عبد الحليم محمد بخطاب هام محتواه :

١- أن الإسلام منذ أن بدأ خالف الجو اليهودى والوثنى فى أمر عيسى – عليه السلام – وأعلن فى رسالته تقديره واحترامه للمسيح وأمه .

٢- أنه لكى يتم التفاهم بين المسلمين والمسيحين لابد من الاعتراف بالدين الإسلامى وبرسوله محمد – ﷺ – .

٣- المسيح – عليه السلام – أرسل لخراف بنى إسرائيل الضالة ، وقد ترك أتباعه خراف بنى إسرائيل تفتك بالإنسانية ، وأخذوا يعملون على تنصير المسلمين بكل قوة .

٤- الأقليات الإسلامية فى الأقطار المسيحية مضطهدة دائماً وينكل بها فى الغالب باسم المسيح والمسيحية ولابد من وقف الاضطهاد والتنكيل ، حتى يكون هناك تفاهم .

٥- المسلمون قاموا بواجبهم تجاه أتباع المسيح ، وقدموا كل ما يدعوا للمحبة والتفاهم باحترامهم للمسيح وأمه وحسن معاملتهم لأتباعه كما أمرهم القرآن الكريم فماذا قدم المسيحيون [١].

---

(١) المرجع السابق صـ ٣١ ، ٥٧ ، ٦١ بتصرف نقلاً عن التبشير فى بلاد العالم الإسلامى صـ ١٨٧ .

فلا بد من أساس يوضع قبل إجراء أى حوار ، والأساس واضح أوله:
توحيد الله تعالى وثانيه الشهادة المؤمنة برسالة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام

ثم كف الأذى الواقع على المسلمين من أتباع المسيح ، إن كانت هناك نية صادقة فى الوصول إلى حوار هادف بين الطرفين وإلا كان الحوار مجرد لطمة يوجهها الطرف القوى للآخر . كما حدث فى مؤتمر قرطبة الثالث ، فقد انتهت أعمال المؤتمر بالذهاب إلى كباريه " فى إحدى المدن التى تبعد عن قرطبة سبعة كيلو مترات ، لشرب الخمر والرقص ، وختمت أعمال لقاء دينى بين أتباع رسولين كريمين بمشاهدة الغجريات وهن يرقصن على نغمات الأرغن ودقات الدف واحتساء الخمر ، ومحمد والمسيح – عليهما الصلاة والسلام – بريئان كل البراءة من هذه الأعمال المشينة [١].

وفى ختام حديثى عن فكرة التقارب أو الإخاء أو الصداقة أقول :
ينبغى أن نفرق في تعاملنا مع النصارى عامة والمبشرين بخاصة بين أمرين :

الأمر الأول :

الإخاء الإنسانى وهذا حق أوجبه علينا الإسلام تجاه اليهود والنصارى المقيمين فى ديارنا فيضمن لهم الحاكم المسلم حق الحياة والحرية والكرامة والتملك والعمل والدفاع عنهم – إن دفعوا الجزية – والعدل فى الحكم بيننا وبينهم ، مع إباحة التعامل معهم بيعاً وشراءً وجواز الزواج منهم دون تزويجهم من نسائنا ، ومشاركتهم فى الأفراح والأحزان ، دون الرضى بما يقنع منهم مخالفاً شريعتنا ، مع احترام حق الجوار لهم ... بشرط أن لا يكونوا عيناً علينا وأن لا يَنصُروا من عادانا .

الأمر الثانى :

الإخاء الدينى وهذه دعوة باطلة ، فلا إخاء بين التوحيد والتثليث ، ومن يؤمن بالنبوة ومن يؤمن بالنبوة لله ، وبين من يؤمن بالصلب ، ومن يؤمن

---

(١) رسالة إلى البابا بولس السادس ، صـ ٥٧ – ٦١ باختصار نقلاً عن التبشير فى بلاد العالم الاسلامى صـ ١٨٧ .

بعدمه ، وبين من يؤمن بمحمد ﷺ رسول الله إلى العالمين ومـن يكفـر بـه بالكلية أو يراه نبياً إلى العرب فقط .

كما أن خلافات جذرية فى بعض جوانب الشريعة قائمة بيننا وبيـنهم ، فالخنزير حرام عندنا بالنص حلال عند النصارى ، والخمـر حـرام عنـدنا مكروهة عند النصارى ،والختان سنة مؤكدة للرجال عنـد المسـلمين ، غيـر مسنون ولا مستحب عند النصارى ، والطلاق جائز عندنا بشرطه ، حرام عند النصارى إلا إذا زنت المرأة ، والجمع بين زوجتين جائز عندنا غير جائز عند النصارى والزواج من زوجة الأخ المتوفى جائز عندنا حرام عند النصارى .

والفاصلة فى عدم التلاقى بيننا وبينهم هي اعتقاد أهل كل دين بعالميـة دينهم ولابد من نشره فى كافة الديار الأخرى ... الخ .

ولا يبطل ما ذكرناه ، ما ورد في قول الحق سبحانه ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ . .﴾ [1] لأن إتمام الآيات يبطل كون المراد بهم المعاصرون لنـا ، أو من لم يدن بالإسلام ، فالآية أثنت على طائفة منهم قد دانت بالإسلام ، وبكـت لسماع القرآن ، فهل نصارى اليوم على هذه الحال ؟

قال تعالى ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [2]. فهل نصارى اليوم على هذه الحال ؟

وأما الاشتراك فى الجيش الإسلامى والخروج فـى المظـاهرات والاشتراك فى المفاوضات فهى من الأمور الفطرية ، لأن الدفاع عن الـنفس

---

(١) المائدة : من الآية ٨٢ .

(٢) المائدة : الآيات ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ . .

والأرض والعرض والمال أمر فطرى يستوى فيه الجميع ، سواء أدانوا أم لم يدينوا ، إلا أن الإسلام قيده بالحق وجعله لوناً من ألوان العبادة ، تحت شعيرة من شعائره هي (الجهاد فى سبيل الله) .

وفي ختام هذه الوسائل أقول : هـل آن الأوان أن يـدرك المسـلمون الخطر المحدق بهم ، وهل يدركون الباطن وراء كل ظاهر ، أم أنهم سـيقفون عند الحد الظاهر ، فيكونون كالطائر يوضع له الحب وينصب له الشبك فتدفعه فرحته برؤية الحب إلى الالتقاط ، غير ناظر إلى ما وراءه من شرك ، فيكون الأسر وتكون الذلة وقد يكون الذبح فى النهاية .

ما أحوج المسلمين إلى اليقظة ، والنظر بعمق إلى عواقـب الأمـور ، حتى لا يجدوا أنفسهم أسرى التبشير والاستشراق من حيث لا يشعرون وكـم تعالت صيحات المحذرين والمنذرين ، وكم استغاث الصادقون بأولى الأمر أن يهبوا للزود عن الحياض والدرء عن الأعراض ، وتوقى الحذر مـن الخطـر الكامن وراء الخير الظاهر .

وتبقى البقية من الأمل قائمة فى طلاب الأزهر بخاصة وطلاب العـالم الإسلامى بعامة ، حاملى الراية ، ومسئولى الغد ، أن يقدموا على الغـد وهـم متسلحون بسلاح الوعى واليقظة والإدراك ، باعتبارهم الأمل المنشود .

تاريخ التبشير

ظل التبشير عملا فرديا فترة من الزمن ، والمؤرخون مجمعون على أن حركة نشر المسيحية قام بها تلاميذ المسيح وتابعوهم فى القرون الأولى ، وقد حرص اليهود على منع النصارى من نشر معتقدهم ، بقدر ما حرصـوا علـى منـع المسيح من نشر رسالته ، وآذوا أتباعه بقـدر إيـذائهم لشـخص المسـيح ، واستعانوا عليهم بالحكام الوثنيين الذين أخضعوا الشام لسـلطانهم السياسـى ، "سدوا الجباية والضرائب إليهم ، يجتمعون ويرسلون إلى حكام الرومـان فـى ذلك الوقت ، مما دفع الحكام إلى الاستجابة لطلبهم كما استجابوا من قبل لهـم

فى الإيعاذ بقتل المسيح مصلوبا – كما يزعمون – ورأى الحكام فى الأفراد الذين يدعون إلى معتقد جديد ، يختلف جملة وتفصيلا عما عليه اليهود والوثنيون فى المعتقد حركة تمرد وخوفا على سلطانهم السياسى ، فضلا عما تدعو إليه الجماعة من زهد فى الدنيا وحب فى الآخرة ، وبخاصة أن التوحيد كان الوصف اللازم لدعوة المسيح فى مهدها ...

لهذه الاعتبارات بدأت حركة الاضطهاد الدينى من منتصف القرن الأول الميلادى ، حتى مطلع القرن الرابع الميلادى ، وفاوت الحكام الرومان فى الاضطهاد بين قتل وحرق وإلقاء إلى الوحوش للافتراس وإيقاد نار فى أتباع المسيح فى ميدان عام بعد طلائهم بالقار ، إلا أن هذا العمل قد أكسب أتباع المسيح تعاطفا من قبل البعض ، ولفت نظر كثيرين إلى هذا المعتقد الجديد ، وأكسب البقية الباقية من النصارى صلابة فى الإصرار على المعتقد ، ودفع البعض إلى الهجرة من الشام إلى البلدان المجاورة فمنهم من نزل إلى مصر وآخرون نزلوا إلى جنوب الجزيرة العربية ووصل بعضهم إلى الحبشة ، ووجد كل منهم له أتباعاً وأشياعاً ، إلا أن الوصف الغالب لحركة التنصير فى هذه الفترة أنها كانت فردية ، ولم تنل صبغة سياسية ، بل عانت من الخلاف السياسى والاضطهاد الحكمى ، ومع هذا بذرت بذور النصرانية فى الديار التى وصلت إليها ، وأسست مدارس ومذاهب فى تلك الديار ، وبخاصة فى مصر ، حيث كانت الإسكندرية صاحبة قيادة وريادة فى الدعوة إلى توحيد الله ونبذ ما عداه من الآلهة ، وهو ما يعرف فى الفكر الدينى النصرانى وفى التاريخ الإنسانى بمذهب آريوس الاسكندرى (زعيم الموحدين) من النصارى .

التنصير والسياسة :

كانت الدولة الرومانية قد وصلت إلى حد ما من الاتساع ، وبسط السلطان ، إلا أنها فى نفس الوقت ، قد عانت من الشقاق السياسى ، وطمع خصومها فيها ، وبدأ الصراع على الحكم بين أبناء الطبقة الحاكمة ، وهو ما

أضعف شـأن الدولة أمام خصـومها ولم يتوقف الأمر عنـد حـد الصـراع السياسى ، بل إن الصراع الدينى بلغ مداه أيضاً حيث انصب جهد الرعية علـى مواجهة بعضها ، فـالوثنيون يضـطهدون المسـيحيين واليهـود يضـطهدون المسيحيين والوثنين ، الأمر الذى دفع رجلا سياسيا ماكرا داهية - قسطنطين - إلى إصدار مرسوم بإعلان حرية الاعتقاد ، والاعتراف بالمسيحية كـدين مـن الأديان الرسمية فى الدولة ، وأذن لأهلها بحرية نشـرها والدعوة إليهـا ، وأذن ببناء البيع والكنائس ، وتظاهر بالاتباع لذلك الدين ، بعد فتـرة مـن الـزمن ، والناس على دين ملوكهم .

وفى إحدى معاركه زعم أنه أعطى رسما على هيئة الصليب فى المنام ، وأن الذى دفعه إليه فى المـنام قال له : قاتل تحت هذا الرسـم فإنـك سـتغلب عدوك ، فلما استيقظ من نومه ، قص ذلك الهراء على أتباعه ، ويبدو أن ذكاءه هو الذى دفعه إلى هذا الأمر لعلمه أن القتال عن عقيدة يختلف جملة وتفصـيلا عن القتال بلا عقيدة ، مما دفع أتباع المسيح إلى الاستبسال فى القتال حتى كـان النصر ، فإذا به يعلن جعله الصليب شعاراً للدولة ، ويتظـاهر بالتعميـد علـى فراش الموت ، والناس على دين ملوكهم فكتب للمسيحية الانتشار السياسى بعـد الانتشار الدينى .

ومما يؤكد دور السياسة فى نشر المسيحية أمور عدة نذكر منها :

<u>الأمر الأول</u> : أن المتصفح لتاريخ أوربا الشرقية والغربية بلغتنا الآن يجد أن الفترة من القرن الرابع حتى القرن العاشر الميلادى كانت فترة ازدهار فـى نشر المسيحية من الجانب السياسى ، فاما أن تتزوج نصرانية من ملك أو حـاكم وثني فتحمله على التنصر والتعميد ، وإما أن تغلب دولـة نصـرانية جارتهـا الوثنية فتحملها على النصرانية ، وإما أن يتزوج حاكم مقاطعة من ملكة مقاطعة أخرى فيكون الحمل على النصرانية تبعا لدين أحدهما ، فإن كانـا نصـرانيين فالفائدة أعم .

الأمر الثانى : أنه فى الفترة من نهاية القرن الحادى عشر الميلادى حتى مطلع القرن الرابع عشر الميلادى ، قد تتابعت الحملات الصليبية للاستيلاء على بيت المقدس ، وبلاد الشام ، ولم يذكر أحد فى الماضى والحاضر كونها حملات تبشيرية أكثر منها حملات لتحرير بيت المقدس من يد المسلمين ، لتمكين الحجيج النصارى من أداء شعائرهم فيه .

إن القساوسة قد شاركوا الجند المسير ، وأوعزوا إليهم بنعمة الاستشهاد فى سبيل المسيح ، وأكثروا من الخطب مبشرين ومثبتين المعتقد الفاسد ، وفى نفس الوقت أثاروا الشبهات وطرحوا الأسئلة ، وبعثوا بالشكوك إلى المسلمين فى معتقدهم ، ويكفى أن نطالع كتاب : المنتحب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل للمسعودى ، وكتاب : الأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاخرة للقرافى ، وكتاب الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبى ، لنقف على الشبهات التى أثارها القساوسة فى وجه الشريعة الإسلامية ، وردود هؤلاء العلماء عليها ، بعد أن جمعوا تلك الشبهات ، ناسبين إياها إلى أصحابها أحيانا ، وأحيانا أخرى يضمرون الأسماء ويذكرون الشبهات ، كل ذلك فى حماية ورعاية السياسة الأجنبية .

الأمر الثالث : بعد هزيمة الصليبيين فى حملاتهم على الشرق الإسلامى ، وبعد أسر لويس التاسع ، وسجنه فى دار ابن لقمان بالمنصورة ، وفدائه بالمال مقابل إطلاق سراحه ، فكر فى حيلة أخرى يستولى بها على الشرق ، أو يفتحه دون أن يستخدم السيف ، وقد بدا له أن خير سبيل إلى هذا هو التبشير ، وذلك بإعداد قادة للدعوة إلى النصرانية يستطيعون من خلالها فتح القلوب والعقول فتهيأ الديار بعد ذلك لفتح الأبواب ، وهو ما دعاه إلى الاهتمام بالتبشير والمبشرين من حيث الاعداد ، إنشاء المدارس فتح المعاهد ، تخريج الكوادر حتى يتحقق الأمل المرجو .

الأمر الرابع : أن رحلة الكشوف الجغرافية ، التى قام بها ماجلان لم تكن سياسية كما يزعم كثيرون بقدر ما كانت دينية ، ففى خروج الإسلام من الأندلس ، واستقرار الحكم نسبيا لولاة الأمر فيها ، وتحقيق بعضهم نصرا ساحقا على الجيوش الإسلامية فى تلك الديار تطلعوا إلى بلاد العالم الإسلامى ، وبخاصة قلبها ولبها ، وأمدَّت الحكومة البرتغالية ماجلان بكل ما يحتاج إليه حتى يتمكن من هذا الغرض .

الأمر الخامس : بعد الاستيلاء على بعض بلاد العالم الإسلامى ، قام المستعمرون بتيسير سبل التبشير فى البلاد المستعمرة ، وأتاحوا للمبشرين كل فرصة لتبليغ رسالتهم ، ساعدتهم الهيئات السياسية ، والبعثات الدبلوماسية ، والامتيازات الأجنبية ، بل إن رجال السلك السياسى كانوا مبشرين فى بعض الأحيان وما أدين مبشر أو مستشرق ، إلا وتدخلت الهيئات الأجنبية للإفراج عنه من قبل الحكومات المحلية .

الأمر السادس : تقوم الدول الأجنبية بإنشاء مدارس للرهبنة ومعاهد للتبشير وتنفق عليها الملايين ، وتتسابق فيما بينها لايجاد منافذ تبشيرية لها فى بلاد العالم الإسلامى ، وحسبنا أن فرنسا ، أسبانيا ألمانيا ، هولندا ، الدنمارك ، البرتغال ، أمريكا ، لهم مبشرون فى بلاد العالم الإسلامى بصورة ظاهرة أو غير ظاهرة ، وقد لعب هؤلاء دوراً كبيراً فى الصراع السياسى فى بلاد المغرب العربى .

الأمر السابع : تلعب السياسة دوراً أساسيا فى إنشاء كيانات مسيحية فى البلاد التى لا توجد فيها مسيحية ولو راجعنا ما كتبه : أحمد دانفون فى كتابه التبشير فى بلاد الخليج العربى وما كتبه أحمد النجدى الدوسرى : الغزو التبشيرى النصرانى فى الكويت ، وما كتبه د / بسام الشطى فى رسالة للدكتوراة " التبشير فى منطقة الخليج العربى " ، ندرك دور الدول الغربية فى إنشاء

كيانات مسيحية فى البلاد العربية الإسلامية ، وهو ما تمت الإشارة إليه عند تناولنا للعمالة الأجنبية فى البلاد العربية .

والأدهى من ذلك وأمر أن الساسة الغربيين لا يفترون لحظة فى السؤال عن النصارى المحليين ، وفى الأسبوع الماضى ١٣ ، ١٤ / ٣ / ١٩٩٨ حضر إلى مصر وفد أمريكى يستطلع أحوال الأقباط فى مصر ، ويعلن مؤازرته لهم ، مع أن مصر لا تعرف تفرقة سياسية على أسس دينية ، بل لا تذكر كلمة الدين فى الخطاب والمحافل الرسمية ، وإنما تذكر كلمة مصريين) .

وعندما زار الرئيس الأمريكى كارتر مصر فى عهد الرئيس السادات – رحمه الله – توجه لزيارة الكنيسة وأدى القداس ، وتبرعت والدته بعدد من السيارات لرجال الدين المسيحى ، وأوصوا بزيادة عدد الكنائس ، وقد لقى طلبهم استجابة .

أضواء على نتائج التبشير فى الفترة من القرن الأول الميلادى حتى مطلع القرن العشرين

رغم الجمهور الفردية للتبشير والجهود السياسية فى هذا الفترة من الزمن إلا أنه بالإمكان أن نقول :

أولا : استطاع المسيحيون أن يحققوا كسبا كبيرا فى الانتشار من طريق الأفراد أو الدول ، وقد أدركنا انتشار المسيحية فى الشام ومصر ووسط أفريقيا وأجزاء من الجزيرة العربية وأوربا .

ثانياً : بظهور الإسلام استطاع أن يقتطع عدداً كبيراً من ديار المسيحية وبخاصة تحرير شبه الجزيرة العربية من النصرانية وفتح بلاد الشام كاملة وشمال إفريقيا ، بل امتد إلى جنوب أوربا ففتح ما يعرف الآن بأسبانيا والبرتغال وقبرص ورودوس وامتد الفتح حتى فرنسا .

ثالثاً : أجج الفتح الإسلامى نار الحقد فى صدور النصارى أفراداً وحكومات فتحركوا ثانية لإعادة النصرانية إلى الديار التى خرجت منها ، فكانت الحملات المتتالية بدءً ببلاد الأندلس وانتهاءً بالحروب الصليبية .

رابعاً : كان التنصير مذهبيا مع وجـود صـراع دينـي (كاثوليـك – أرثوذكس) بين الطوائف المبشرة ولم تكن طائفة البروتستانت قد ظهرت قبـل القرن السادس عشر .

خامساً : بظهور فرقة البروتستانت على الساحة ، نمت حركـة التبشـير نمواً ملحوظا ودب الصراع بين الطوائف المسيحية نفسها بهدف كسب أتباع لكل طائفة من ناحية أولاً : وللمسيحية ثانياً .

سادساً : أدرك المبشرون الآثار السلبية للمذهبية ، وأيقنوا أن الوحدة فى الدعوة إلى المسيحية فقط دون المذهبية ، خير سبيل لتحقيق النجاح فى العملية التبشيرية ، فضلا عن الحد من الصراع المذهبى المسيحى وحرصاً على أن لا ينشب قلق ذهنى لدى المدعو ، وخاصة أن الخلاف بين الطوائـف المسـيحية يمتد إلى جوهر الاعتقاد من حيث الطبيعة الواحدة والطبيعتين والمشيئة الواحدة والمشيئتين (بالنسبة للمسيح) وكذلك تقديس الصور والتماثيل وتأليه العـذراء وتقديسها ، وصكوك الغفران بين القبول والرد ، وهل الاسـتحالة حقيقيـة أو مجازية ... الخ ومبدأ الاعتراف وصكوك الغفران ... الخ

سابعاً : كان العنصر السادس كبير الأثر فى أن يقـوم قـادة التبشـير بالدعوة إلى انعقاد مؤتمرات تبشيرية عامة بهـدف توحيـد الجهـود ، ودرء الخلاف ورسم السبل ودراسة الواقع التنصيرى والاسلامى كذلك وهو ما يدفعنا إلى إلقاء الضوء على أهم المؤتمرات التبشيرية .

المؤتمرات التبشيرية

"تنبهت إرساليات التبشير إلى ضرورة توحيد جهودها ، من أجل تحقيق هدفها النهائى وهو جعل العالم كله مسيحيا ...

ولقد مرت عمليات تحقيق وحدة العمل التبشيرى بثلاث مراحل هـى : عقد مؤتمرات التبشير ، ثم إنشاء مجالس التبشير ، ثم دمـج اتحـاد الكنـائس باتحاد مجالس التبشير ويمكن إلقاء الضوء على هذه المراحل فيما يلى :

المرحلة الأولى: عقد مؤتمرات التبشير يمكن القول إن فاتحة ذلك كان في الهند عام ١٨٥٥ ، حيث عقد بكلكتا المؤتمر العام للمبشرين البروتستانت في البرتغال وقد حضره ٥٥ مبشراً من ٦ إرساليات ، بينهم ٣ قسس هنود . ثم مؤتمر البنجالور عام ١٨٧٩ وقد حضره ١١٨ مبشرا نوقش فيه لأول مرة إمكانية تأسيس " كنيسة المسيح في الهند " .

ثم مؤتمر مدراس عام ١٩٠٠ وحضره ١٦٠ مبشراً اختيروا بعناية من بين ٢٦ إرسالية وفي اليابان : عقد أول مؤتمر تبشيري عام ١٨٧٢ حضره ١٧ مبشراً ، ثم عقد " المؤتمر العام للمبشرين البروتستانت " عام ١٨٨٣م بأوزاكا ، ثم عقد نفس المؤتمر في المرة التالية عام ١٩٠٠م بطوكيو ، وقد حضره ٤٥٠ مبشرا من ٤٢ إرسالية .

وفي الصين: عقد مؤتمر المبشرين البروتستانت في شنغهاي عام ١٨٧٧م حضره ١٢٦ مبشرا من ٢٠ إرسالية مع عضو صيني دون أن يكون له حق التصويت ثم كان المؤتمر الثاني عام ١٨٩٠ .... هذا عن آسيا .

وأما إفريقيا فقد عقد فيها بعض المؤتمرات التبشيرية ومنها ثلاث مؤتمرات في دولة اتحاد جنوب افريقيا ، وذلك في سنة ١٩٠٠ ، ١٩٠٦ ، ١٩٠٩م ، كما عقد بالقاهرة مؤتمر سنة ١٩٠٦م .

وفي أمريكا الجنوبية عقد في المكسيك مؤتمرين في عامي ١٨٨٨م ، ١٨٩٧م .

المرحلة الثانية: إنشاء مجالس للتبشير : وهي فكرة راودت جوستاف فارنك الذي قدم عام ١٨٨٨م بحثا قرئ في ذلك العام في مؤتمر لندن التبشيري ، دعا فيه لتخطيط عقد مؤتمر تبشيري كل عشر سنوات ، وإلى تشكيل لجنة مركزية ، تربط أعمال هذه المؤتمرات ، وكان مما قاله :

ولكي يكون للجنة المركزية أساس قوي ، فيجب أن تعقد مؤتمرات تبشيرية في كل أمة بروتستنتية تضم كل الجمعيات البروتستنتية التبشيرية فيها

وتنتخب مندوبين يمثلونها فى اللجنة المركزية ، وقد تم تطبيق الفكرة فى سنة ١٩١٠م فى مؤتمر أدنبرج التبشيرى .

وفى عام ١٩٢١ تم تكوين " المجلس التبشيرى الدولى I.M.C " وقد تولى رئاسته الدكتور جون موت الذى اعتبر مهندسا للمؤتمرات التبشيرية ، إذ أنه كان قد زار الشرق الأقصى فى رحلة استغرقت خمسة شهور (من نوفمبر ١٩١٢ إلى أبريل ١٩١٣ عقد فيها ما لا يقل عن ٢١ مؤتمر تمخضت عن تشكيل ما يسمى " المجلس المسيحى الوطنى – N.C.C) فى كل من اليابان ، الصين ، كوريا ، الهند ، لقد أثبتت فكرة تشكيل المجالس المسيحية الوطنية نجاحها فى العمل التبشيرى ، واعتبر مجلس كينيا من أنجح المجالس فى شرق أفريقيا .

ويعتبر مؤتمر مانيلا عام ١٩٤٨م نقطة البدء فى دفع الحركة التبشيرية وإحكام تنظيمها فقد ضم من يطلق عليهم القادة المسيحيون فى شرق آسيا –من اليابان إلى الباكستان – الذين التقوا لأول مرة معا ، .. وقد تمخض هذا اللقاء عن إنشاء " سكرتارية شرق آسيا " لتكون وحدة اتصال بين الكنائس والهيئات التبشيرية .

ونتيجة لنشاطها فقد عقد " المؤتمر المسيحى لشرق آسيا " عام ١٩٥٧م فى سومطرة (بإندونيسيا) ثم مؤتمر عام ١٩٥٩م فى كوالالمبور (بماليزيا) فزاد ذلك فى ربط الكنائس بالهيئات التبشيرية .

وبعد آسيا ننتقل إلى أفريقيا ، حيث عقد " المؤتمر المسيحى لكل أفريقيا" عام ١٩٥٨م فى نيجيريا ، وقد حضره مندوبون من كل البلاد الأفريقية عدا المستعمرات الأسبانية ، وتمخض عن تشكيل " لجنة دائمة " تعد للمؤتمر الثانى الذى عقد عام ١٩٦٣م فى كينيا .

<u>المرحلة الثالثة</u> : اتحاد الكنائس مع مجالس التبشير : شهد عام ١٩٣٧م انعقاد مؤتمرين فى كل من اكسفورد وأدنبرج ، قدمت فيهما اقتراحات بتشكيل مجلس عالمى للكنائس ، وقبلت من حيث المبدأ ، ثم أرسلت إلى " المجلس التبشيرى الدولى " .

لقد شهدت الفترة ما بين ١٩٤٦ – ١٩٦١ تعاونا بين الهيئتين الكبيرتين: الكنائس والإرساليات ، فقد شهد عام ١٩٤٦م مولد " لجنة الكنائس للشئون الدولية " تبعه تشكيل لجنة اتصال ".

وفى نيودلهى عام ١٩٦١ ، اتحد المجلسان : مجلس الكنائس والمجلس التبشيرى فى جهاز ضخم هو " مجلس الكنائس العالمى – W.C.C ولأول مرة فى تاريخ العالم المسيحى ، تعلن الكنائس : الأرثوذكسية والرومانية الكاثوليكية ، والانجليكانية البروتستنتينية ، أنها كنائس مسئولة عن تبشير العالم بالإنجيل .. إن رجال التبشير يعتبرون ما حدث فى نيودلهى عام ١٩٦١م بمثابة ثورة كبيرة فى الروح الدينية للكنائس الكبرى ، وفى تنظيم قواها البشرية ، وتوزيع مواردها المالية وهو ما دفع ستيفن نيل لأن يقول " إن أولئك الذين يعيشون ليروا مطلع القرن الحادى والعشرين ، قد ينظرون وراءهم ليسجلوا بكل شكراً " عام ١٩٦١م حد البداية لقرن عظيم آخر فى تاريخ الكنيسة .[١]

❁❁❁

أهم المؤتمرات التبشيرية فى القرن العشرين

تم عقد أول مؤتمر تبشيرى بمصر سنة ١٩٠٦م وهو المعروف بمؤتمر القاهرة بناء على دعوة زويمر – رئيس لجنة الإرسال التبشيرية فى البحرين – إلى عقد مؤتمر عام للمبشرين البروتستانت ، لدراسة سبل تنصير المسلمين ونشر الإنجيل بينهم وجمعهم على كلمة سواء .

" وفى يوم ٤ أبريل من سنة ١٩٠٦م افتتح المؤتمر فى القاهرة فى منزل عرابى باشا فى باب اللوق ، وبلغ عدد مندوبى إرساليات التبشير ٦٢

---

(١) نقلا عن حقيقة التبشير من ٢٠٤ إلى ٢٠٧ ط مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٩٨١م والذى ترجمه عن تاريخ البعثات التبشيرية من ٥٤٣ إلى ٥٥٨ لمؤلفه ستيفن نيل ط لندن ١٩٦٤ وانظر الغارة على العالم الإسلامي من ١٢ إلى ١٨ .

بين رجال ونساء وتم انتخاب " زويمر " رئيسا للمؤتمر ، وعين معه نائب رئيس وكتبه ، وقد تناول المؤتمرون الأمور التالية بالمناقشة :

ملخص إحصائي عن عدد المسلمين في العالم ، الإسلام فى إفريقية ، الإسلام فى السلطنة العثمانية ، الإسلام فى الهند ، الإسلام فى فارس ، الإسلام فى الملايو ، الإسلام فى الصين ، النشرات التى ينبغى إذاعتها بين المسلمين المتنورين والمسلمين العوام ، حركة التنصر ، عملية الارتداد ، وسائل إسعاف المتنصرين المضطهدين ، شئون نسائية إسلامية ، موضوعات تتعلق بتربية المبشرين والعلاقات بينهم وكيفية التعليم فى الإسلام .

وقد جمعت وقائع هذا المؤتمر فى كتابين :

الكتاب الأول : وعنوانه (وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين) .

الكتاب الثانى : وعنوانه (العالم الاسلامى اليوم) .

والكتاب الأول : جمع فيه وقائع المؤتمر وأعاد ترتيبه وتبويبه وفهرسته القسيس (فلمينغ) الأمريكي واستبدل عنوانه بهذه العبارة " نشرة خاصة " . وقد ضمنه خمسة فصول . احتوت كل الوقائع التى دارت فى المؤتمر . واختتمه بندائين :

الأول : استنهاض همم رجال النصرانية ليجمعوا قواهم ويتضـ بأعمال مشتركة وعمومية فيستولوا على أهم الأماكن الإسلامية .

الثانى : خاص بدور النساء فى التبشير .

وحيث إن ما ورد بمحتوى هذا الكتاب ، هو أساس التطبيق فى واقعنا المعاصر ومع أن الأستاذين محب الدين الخطيب ، مساعد إليافى قد ترجما هذا الكلام إلى اللغة العربية ، ومع أن جريدة المؤيد قد نشرته فى سنة ١٣٣٠ هـ كما نشر فى صحيفة الفتح ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ هـ ، ومع صدور الطبعة الأولى لكتاب الغارة على العالم الإسلامى وقد نشر فى المرة الأولى سنة ١٣٥٠هـ ولا يزال حتى الآن ينشر ، فإن المسلمين غافلون عن السبل التى وضعها

المبشرون فى هذا المؤتمر ، بل إن بعض علماء الأزهر قد تم استقطابهم دون أن يشعروا ،وشاركوا فى مؤتمرات اجتماعية مع علماء البروتستانت والكاثوليك دون أن يشعروا بالتوصيات التى دعت إلى ترك الحوار الدينى والاشتغال بالقضايا الاجتماعية لائتلاف القلوب واستقطاب أهلها وتيسيرا للتبشير من طرف خفى ، وهو ما يدفعنا إلى إلقاء الضوء على هذين الكتابين مع الربط بينهما وبين الواقع التبشيرى .

أضواء على كتاب " وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين " والذى استبدله فلمنغ بعنوان " نشرة خاصة " .

يحتوى هذا الكتاب على خمسة فصول :

الفصل الأول : ناقش فيه قضية الألوهية عند المسلمين والنصارى ، وقارن بينهما ووقع خلاف بين المناقشين فى هذا الأمر ، فقد صرح الدكتور " لبسيوى " أن إله الجميع واحد إلا أن القسيس " زويمر " خالفه فى هذا الرأى قائلا : إن المسلمين مهما يكونوا موحودين فإن تعريفهم لإلههم يختلف عن تعريف المسيحيين ، لأن إله المسلمين ليس إله قداسة ومحبة " .

أثر كلام زويمر فى التبشير المعاصر :

أتتنى سيدة تشكو من استقطاب ابنتها بإحدى الكنائس ، فقلت لها أئتنى بها لإجراء حوار معها ، ولم تكذب تلك السيدة الخبر ، وأتتنى بالفتاة الجامعية التى تأثرت بحركة التبشير فى ديارنا ، وأعطيتها الأمان والحرية وقلت لها : تكلمى دون قيد أو شرط أو حرج ، وذلك لحاجتى الشخصية إلى ما عندها من معرفة ، وطرحت عليها هذا السؤال :

س١ ما سر ميلك إلى المسيحية ؟

جـ لأنها جميلة وسهلة للغاية .

س ما أجمل شئ فى المسيحية ؟

جـ الألوهية فى العقيدة النصرانية .

س ما هو أجمل شئ تعلمتيه عن عقيدة الألوهية ؟

جـ أنه إله بسيط متواضع رحيم ودود عطوف ، يخاطبني بتواضع وينادي علينا بصيغة ابنائي أحبائي ، أولادي ، فالله محبة .

وأما الإله عندكم (هكذا قالت ولم أزجرها حتى تسترسل في الكلام) فهو قاس شديد عنيف لا يعرف المحبة على وجه الإطلاق ، القرب إليه غاية في الصعوبة متعال متكبر على الناس .... ألخ .

س من قال لك هذا ؟

جـ هذا ما تعلمته في الكنيسة و مما اسمعه من المشايخ .

س ألم تعلمي أن الله في الإسلام ، أرحم منه في النصرانية ، فآيات القرآن تبلغ حداً في الكثرة إلى الإتصال بالله ، والعودة إليه ، وانتفاء الواسطة بينه وبين خلقه ، ومناداته علينا صباح ومساء بالرجوع إليه .

هل قرأت قول الله تعالى :

(قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم)[١] .

(إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)[٢] .

(وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعانى)[٣]

إن الحق خاطب بهذه الآيات كل نفس يئست من الحياة وسئمت العيش حتى تعود إلى بارئها .

والسنة قد صرحت بقبول الحق توبة التائب ، وفرحة بعودة العصاة إليه ، وفي السنة :

" لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته " .[٤]

---

(١) الزمر ٥٣ .

(٢) النساء ٤٨ .

(٣) البقرة ١٨٦ .

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل جـ ٢ ص ٥٣٤ رقم ١ .

" لله ارحم بخلقه من الوالدة بولدها " .[١]

" إن الله قسم الرحمة مائة قسم ، فأمسك تسعة وتسعين لذاته ، وأنـزل قسما تتراحم به الخلائق أجمع حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها " .[٢]

وذكرتُ لها كثيراً من آيات القرآن وأحاديث الرسول صـلى الله عليـه وسلم بهذا الصدد ثم ذكرت لها أن الإله فى المسيحية – على مـا هـى عليـه الآن– لا يعرف الرحمة على وجه الإطلاق ، فلم يقبل توبة آدم ، وحمل سائر بنيه ذنبا لم يقترفه أحد منهم ، والقى بهم فى النار حتى أتى ابنه ، ثم ترك ابنه ليصلب على مرأى ومسمع منه ، من أجل تكفير ذنب لـم يقترفـه ، ومـن لا يرحم ابنه كيف يرحم عبده ؟

قلت لها هذا إذا سلمتِ بأن المسيح ابنه كما يزعم النصارى ، وأما إذا قلت إن المسيح هو الله على مذهب القائلين بأنه صاحب طبيعة واحدة ومشيئة واحـدة وهى الطبيعة الإلهية فأقول لك إنه إله أحمق مغفل قد لقى حتفه إلى غير رجعة .

أما دلائل حمقه وجهله فلأنه ضاق ذرعاً بذنب ارتكبه عبده آدم ، وأولى به أن يتوب عليه أو يُهلك ذلك العبد العاصى ، فكونه يتركه بلا عقاب ، ويقـوم ذنبه بسائر الرقاب من بـنيه ، ثم ينزل الحق بنفسه ويدخل فى مريم التى هـو خالقها ، ويرضـع من ثديها وهو رازقها ، وتهرب به وهو – كإلـه – مـدبر أمرها ، ويرجع ثانية ليباركه يحيى وهو واهبه نعمة النبوة ، وعندما بدأ بدعوته خاف ، وساءت له خاتمة المطاف فأخذه عبيده وهو واهبهم القوة ، وقادوه إلـى الصليب وهينا ذليلا حقيراً يبصـقون فى وجهـه ويضـربونه علـى رأسـه ، ويقسمون ثيابه ، ويوزعون سبابه فمن قائل له : السلام عليك يا ملك اليهـود ، ومن قائل له : كنت تزعم أنك تهدم الهيكل وتبنيه فى ثلاث نخلص مـن علـى الصليب نفسك ؟ ومن ممزق ثيابه خادش إهابه ، كل ذلك وهو يصرخ : إيلـى

---

(١) اتحاف السادة المتقين ٥٠٧/٨ .

(٢) صحيح مسلم .

إيلي لم شبقتني ؟ حتى كانت النهاية التي ظهر فيها عجزه ، ولقى فيها حتفه ، وكانت أسوأ ميتة فى الشريعة اليهودية ملعون من علق على الصليب " .

ثم أنزله من على الصليب أحد عبيده ، وقبره فى لحد محدود ، لوقت معدود ، فأين رحمته بنفسه فضلا عن رحمته بخلقه ، وأين عفوه عن أنبيائه فضلا عن عصاته ، وكيف يمكن التقرب إليه بعد فنائه ، وأما عودته فسوف أكلمك عنها فى حديث آخر . ألم تعلمى أن إله المسيحية لا يعرف الاتصال المباشر بخلقه ، بل لابد من الواسطة بينه وبين خلقه من المهد على اللحد ، هلا أخبروك عن التعميد عند الولادة وعند بلوغ الأشد وعند الممات ، هلا أخبروك عن الاعتراف ، ووجوب الإقرار بالذنب لرجال الدين بمقابل أو دون مقابل ، ألم تسمعي عن قرار الحرمان الذى صدر ضد نظمى لوقا ، وعن الخلاف الذى دب فى الكنيسة بشأن توبة " نيللى " هلا وقفت على النص المنسوب إلى إله المسيحيين (من غفرتم خطاياه غفرت له ومن أمسكتم أمسكت)[١] . والنص القائل (كل ما حللتموه على الأرض يكون محلولا فى السماء وكل ما أمسكتموه أمسك) .[٢]

وأما إله المسلمين والخلق أجمعين – فلا يحتاج إلى واسطة ، بل يرفضها ويعتبرها شركا ، والعمل الصالح فقط هو سلم الوصول إلى الذات الإلهية ، ومهمة الرسول واضحة محددة ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾[٣]. ﴿ .. وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ .. ﴾[٤]. ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ .. ﴾[٥] .

---

(١) يوحنا ٢٠/٢٣ .

(٢)متى ١٦/١٩ .

(٣) الغاشية : الآية ٢١ ، ٢٢ .

(٤) ق : الآية ٤٥ .

(٥) القصص : الآية ٥٦ .

وكان ﷺ يعلن أنه لا يملك من الأمر شيئا (اعملى يا فاطمة فإنى لن أغنى عنك من الله شيئاً)[١] (لا يأتينى الناس بأعمالهم وتأتونى بأنسابكم)[٢].

وأما العبادات التى ترضى ذلك الإله فهى بسيطة للغاية ، ويكفى أنها سهلة ميسرة تقوم على اليسر ورفع الحرج متنوعة بين بدنية ومالية وبدنية مالية ، تسقط مع الإعسار وتحقق إيجابية للفرد والمجتمع ..

وقد تناول الحوار جوانب الشريعة وجوانب الأخلاق كذلك ، والحمد لله أن النتيجة كانت إيجابية وعادت إلى الصواب .

ومن الملاحظ أن التركيز على الألوهية بين الإسلام والمسيحية من المحاور الأساسية التى ركز عليها المبشرون ، فقد أتت طالبة بمركز إعداد الدعاة بالإسكندرية إلي تخبرنى بأن زميل أخيها فى المدينة الجامعية (نصرانى) بكلية الطب دائم الحديث مع شقيقها عن الإله فى الإسلام والإله فى النصرانية ، حتى تعذر على شقيقها الردّ ، فتم لفت نظرها إلى الكتب التى يمكن الاستعانة بها فى هذا المجال وفى أحد معاهد الإسكندرية الخاصة دعيت إلى إجراء حوار مع أحد الأساتذة المساعدين بالمعهد حول الإسلام والنصرانية ، وكان نصرانيا متعصبا ، وبعد تبادل التحية قلت له : لقد استجبت لدعوة مدير المعهد لاجراء حوار معك بهدف الوصول إلى الحق فهل تبغى الحق أو سواه ؟

قال : بل الحق فقط .

قلت له : أو ليس العقل أجمل ما فى الإنسان ، وهو محل الخطاب الالهى ، والقادر على تمييز الحسن من القبيح .

قال : بلى .

---

(١) الحديث . مسند أحمد .

(٢) الحديث . مسند أحمد .

قلت له : فلنحتكم إلى العقل في هذا الحوار ، ولنجعل النص شاهدا ، ولنعرض النص الإسلامي ؟ والمسيحى على العقل بلا تعصب حتى نصل إلى المطلوب .

قال : اتفقنا .

قلت له : ماذا تريد منى إيضاحه بالنسبة للعقيدة الإسلامية ؟. وما هى مآخذك عليها ؟

قال : الألوهية والربوبية عندكم فى الإسلام تتسم بالقسوة ،والعذاب عندكم وصف لازم للإله ، والحديث عن النار ورد كثيرا فى القرآن ... الخ ثم سألنى : كيف يخلق الله الخلق ثم يعذبهم أين رحمته أين عفوه ... الخ .

قلت له : هل لك أبناء قال نعم ، كيف تعامل المحسن والمسئ ؟ هل تسوى فى المعاملة بينهما أو تفرق على أساس من الالتزام ؟ قال أفرق .

قلت له : لو أنك أعطيت كلا منهم قدراً من المال ، وأرسلتهم إلى مكان ما ، وأمرت كل واحد منهم بأوامر ونهيتهما عن بعض الجوانب ، وتركت لهما حرية التصرف فى ضوء ما علمتهما إياه ، ثم عادا وقد خالف أحدهما والتزم الآخر ، فماذا يقول العقل هنا ؟

إن سويت بينهما فى الثواب والعقاب فقد سويت بين المطيع والعاصى ، فتثبط همة المطيع وتعين العاصى على المعصية .

وإن كافأت العاصي دون المطيع فقد أعنت الفاسد وكسرت قلب الصالح الملتزم ولفت النظر إلى أن الخلف فى التعاليم هو السبيل لنيل رضاك فيكون الفساد

وإن كافأت المطيع دون العاصى فقد أعنته على الالتزام ، ولفت نظر العاصى إلى معيار القبول والردّ ، فضلا عن أن معاقبتك له تحمله على النأى عن المخالفة .

وإن كافأت المطيع ولفت نظر العاصى إلى الخطأ الذى كان منه وتركت له الفرصة ليقلع عن معصيته ، فاما أن يستجيب فيكون العفو ، أو يستمر فيكون اللوم والعتاب والحساب .

والسؤال الآن : هل عندك اعتراض على كلامى ؟ وهل لــك وجهــة نظر أخرى ؟ .... الإجابة لا .

قلت له أولاً: الإله فى الإسلام – وله المثل الأعلى – ليس كما تتصور أو كما قيل لك بل إن علاقته بخلقه تقوم فى الخلق والعطاء والثواب والعقــاب على أساس من القناعة العقلية ، واستسمحك فى عرض ذلك موجزا :فلنقل إن الرب هو الآب – مجازا – وأن الخلق أولاده ، وأنه أعطاهم جميعــا القــدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام والعقل ... الخ ، ثم أرسل لهم رسلا وأنزل إليهم كتبا وحدد لهم ما يرضيه وما يغضبه ، وقال لهم فى حــال السمع والطاعة تكون النتيجة الفوز العظيم ، وجنــات النعــيم ، وفــى حــال المعصية تكون العقوبة جهنم ، سقر ، الجحيم ... الخ ، ومع ذلك لم يؤاخــذهم على عجل ، بل يمهل للعصاة حتى يتوبوا ، ويفتح لهم باب الرحمــة والتوبــة صباح مساء ، فإذا عادوا إلى ربهم كانوا كما قال الله تعــالى ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ (١)

وحرصًا على الخير وقطعا للشر ، وحتــى لا يســود الفســاد ويعــم ، ويصبح السوء قاعدة والخير استثناءً ، حذر الحق من ســوء صــنيع ذلــك ، وعندما حدثنا عن الثواب والعقاب فى القرآن ، احتكم إلى العقل ، قال تعــالى ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٢)

﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (٣)

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ (٤).

---

(١) الفرقان : الآيتين ٧٠ ، ٧١ .

(٢) الجاثية : الاية ٢١ .

(٣) ص : الآية ٢٨ .

(٤) فاطر : الآيات ١٩ –٢٢ .

ثم ذكرت له كثيرا من آيات القرآن الكريم التى تحدثت عن الثواب والعقاب محتكمة إلى العقل فى الإقناع .

ثانياً : ليس الإسلام بدعاً فى هذا الأمر ، فاليهودية كديانة سابقة على النصرانية والعهد القديم كمصدر أول للتشريع عندكم قد تحدث عن الجنة والنار بألفاظ مختلفة وذكر الطاعة وما يترتب عليها من آثار إيجابية للمطيع فى الدنيا والآخرة ، وذكر المعصية وما يترتب عليها من آثار فى الدنيا والآخرة .

وأما العهد الجديد فالحديث فيه عن الجنة والنار واضح للغاية واسمح لى أن أذكرك بهذه النصوص وأنت أعرف بها منى .

ورد فى متى (فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم ، وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك ، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم) [١].

(لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها ، بل خافوا بالأحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم) [٢].

وفى يوحنا ورد (فإنه تأتى ساعة يسمع فيها جميع الذين فى القبور صورة فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة) [٣].

(إذا صنعت ضيافة فادع المساكين الجوع العرج العمى ، فيكون لك الطوبى . إذ ليس لهم حتى يكافئوك ، لأنك تكافئ فى قيامة الأبرار) [٤] .

---

(١) متى ١٨/٨ : ١٠ .

(٢) متى ٢٨ .

(٣) يوحنا ٢٨/٥ .

(٤) لوقا ١٢ : ١٤ .

ثالثاً : لولا الثواب والعقاب لفسدت الحياة ، ولساد الشر وقل الخير وعم الفساد فالإيمان بالبعث بعد الموت والجزاء الأخروى ، والتفاصيل الواردة بشأن الجزاء الأخروى كل ذلك له كبير الأثر فى الالتزام الذاتى ، خشية ذلك اللقاء .

رابعاً : أسألك فى الختام ، أو ليس الإله رحيما بنا بعد هذا كله ، رحيما بالأخيار حين حماهم من الأشرار ، رحيما بالأشرار حين حذرهم من الاستمرار فى المعصية ، رحيما بالمجتمع حين جعل الصدارة لأهل الخير والنقمة على أهل الشر ، أو ليس العقل يوجب عقاب السارق والزانى والقاتل ... الخ لإدراكه أن فى ذلك صلاح أمر المجتمع فهل بعد هذا تقول : إن الرب عندكم غير رحيم ولا عطوف ... الخ .

ثم انتقلنا بعد ذلك إلى قضايا أخرى فى هذا اللقاء ، واعتذر هو عن اللقاء الثانى ثم اعتذر عن مقابلتى بالكلية بعد ذلك ! ولكنى لم أحزن على عدم تكرار اللقاء وحمدت الله أننى بذرت بذور التفكير العلمى عنده ، لعلها تثمر بعد حين .

لقاء ثالث : وفى مديرية أوقاف الإسكندرية ، التقيت بفتى دان بالنصرانية بعد إسلامه واستغرق الحوار ساعة تقريبا ، عاد بعدها ثانية بالطرق الرسمية للقاء ثان وثالث عبر القنوات الحكومية الرسمية ، وسألته عن سبب ميله إلى المسيحية وإعراضه عن الإسلام ، فضلا عن زعمه التنصر ، فقال لى : إننى لم أر من الإسلام إلا الجنة والنار ، وإن النار هى كل شئ فى حياة المسلمين وعلى لسان الخطباء وإن الرحمة فى الإسلام منتفية ... الخ.

وعندما حدثته عن الإسلام قبل الجنة والنار ،وعن العلاقة بين الله وخلقه ، وعن صلته بالخلق على أساس من العطف والرحمة ، وذكرته بأن شهادة التوحيد تكفى لدخول الجنة ... الخ استيقظ ، وأعطيته بعض الأسئلة ليسأل عنها القساوسة ، ويأتى لى بالإجابة فى اللقاء القادم ، ولكنه ذهب إلى

غير رجعة ، وعلمت أن محل إقامته ومقر عمله قد تم استبدالهما ، لتجهيل أمره على جهات الاختصاص .

لقد ذكرت هذه الوقائع الشخصية وغيرها كثير ، لإقامة الدليل على أن أتباع زويمر قد انتفعوا بفكرته وزعمه ودعواه (إن إله المسلمين ليس إله قداسة ولا محبة كما في المسيحية) .

الفصل الثاني والثالث :

تحدث في الثاني عن المعوقات التي تحول دون تبصير المسلمين العوام وفي الفصل الثالث ذكر الوسائل التي يمكن استخدامها في التبشير والآداب التي ينبغي على المبشر اتباعها ومن هذه وتلك نذكر .

= استخدام الموسيقى كسبيل للتبشير لميل الشرق إليها .

= تأسيس الإرساليات الطبية بينهم .

= علم المبشر باللهجة العامية للمرسل إليهم .

= دراسة القرآن للوقوف على ما يحتويه .

= مخاطبة العوام من المسلمين على قدر عقولهم .

= أن تكون الخطبة بصوت حزن وبلسان طلق .

= أن يخطب وهو جالس لكون أشد تأثيرا على المستمعين .

= اختيار الموضوع بكل عناية مع وعيه التام به .

= العلم بنصوص القرآن والإنجيل محل المناقشة .

= الاستعانة بالروح القدس والحكمة الإلهية .

= الخبرة بالنفس الشرقية وصيغ الخطاب معها .

التوجيهات السابقة والواقع المعاصر :

إنيّ توفر هذه الشروط قائم الآن ، والراهبات اللاتي يأتين للقيام بمهمة التبشير تلك قد توفر فيهن ذلك ومثل ذلك الرجال .

لقد قابلت الأب جورج قنواتى أكثر من مرة فى دير الآباء الدومينيكان بالدّراسة فوجدته حنونا عطوفا وديعا هادئ الطبع جيد الحوار شديد العصبية غير مظهر لها من قريب أو بعيد وإنما يلمحها الفطن ، حوّل الدير من الرهبنة إلى البحث العلمى ، وله مؤلفات شتى عن الإسلام وبخاصة الفلسفة الإسلامية

والتقيت بكثير من رجال الدين النصرانى – مصريين وغير مصريين – فوجدت الكثير من الشروط السابقة قائمة بهم ، وبعضهم شاركنا العمل فى الدول العربية ، وكانوا فى شهر رمضان ينتقدون التشريع الإسلامى لقسوته ، حين أوجب الامتناع عن الطعام والشراب من الفجر إلى المغرب ، ذاكرين النص القرآنى ، ممتدحين الشريعة النصرانية والتى قيدت الصوم بالامتناع عن بعض الأطعمة دون البعض الآخر ، وإباحة الشراب ليل نهار .

الفصل الرابع : ناقشوا فيه أسباب رفض المصريين خاصة إلى دعوة المبشرين ، كما اقترحوا الحلول من وجهة نظرهم .

أما أسباب الرفض فمردها إلى :

١- الأزهر الشريف حامى حمى الإسلام .
٢- النفرة التى تسببها الدعوة المباشرة إلى المسيحية .
٣- النشاط الملحوظ الذى يقوم به خريجوا الأزهر – فى ذلك الوقت – كدعوة مضادة للتنصير .

وأما الحلول فتمكن فى الآتى :

١- البعد عن القضايا الدينية فى الجدل والحوار والمؤتمرات باعتبارها باعثة نفرة لا داعية قرب .
٢- استبدال الحوار الدينى بموضوعات اجتماعية وخلقية وتاريخية لا يستطردون فيها إلى مباحث الدين .
٣- إصدار مجلة أسبوعية اسمها (الشرق والغرب) افتتحوا فيها بابا غير دينى ، يهتمون فيه بالشئون الاجتماعية والتاريخية .

٤- التركيز على الشبيبة الإسلامية وبخاصة الذين تعلموا فى مدارس أجنبية .

٥- عرض اقتراح من أحد الأعضاء طالب فيه بانشاء مدرسة جامعة نصرانية تقوم الكنيسة بنفقاتها وتكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحية فى الدنيا ، على اختلاف مذاهبها لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة وتتكفل هذه المدرسة باتقان تعليم اللغة العربية .

وبعد حديثه عن الأزهر وتقديمه إحصائية عن الدارسين فيه ، وطبيعة الدراسة وأثره الخ قال :

ربما كانت العزة الإلهية قد دعتنا إلى اختيار مصر مركز عمل لنا لنسع بإنشاء هذا المعهد المسيحى لتنصير الممالك الإسلامية .

هل المراد بهذا المعهد الجامعة الأمريكية أو الكاتدرائية الموجودة بالعباسية أو معاهد وأديرة التبشير المنتشرة فى أرجاء الجمهورية ... الخ .

المقترحات السابقة بين النظرية والتطبيق :

تعد طائفة البروتستانت من أنشط الطوائف فى حركة التبشير ، ولها جهود فى مجال التبشير تبلغ حداً فى الكثرة فى سائر البلاد العالم ، وقد بدأت فى السنوات الأخيرة فى عقد مؤتمرات إسلامية مسيحية مشتركة ، يمكن إلقاء الضوء على بعضها لبيان الرباط القوى بين صيغ التبشير وأسلوب التنفيذ .

المؤتمر الإسلامى المسيحى العام الثانى :

الزمان : ٢٧ - ٢٩ أغسطس ١٩٩٦م .

المكان : شيراتون المنتزه - الإسكندرية .

الموضوع : الإنسان المصرى والقرن الحادى والعشرون (وتحديات القرن القادم) .

دراسة وصفية لوقائع المؤتمر :

دعى إلى افتتاح المؤتمر القيادات الدينية الإسلامية ، والقيادات السياسية بالإسكندرية وقد حضروا ، ولم نر القيادة الدينية المسيحية فى مصر بينما

رأس المؤتمر القس صموئيل حبيب راعى الكنيسة الإنجيلية ، وحضر عن الكاثوليك الدكتور الأنبا يوحنا قلته النائب البطريركى للأقباط الكاثوليك .

وقد دُعى إلى المؤتمر بعض القيادات الدينية بالأوقاف والأزهر ، والعجب كل العجب أن التوقيت كان مناسبا للاصطياف ، فتم توجيه الدعوة إلى سيدات تلك القيادات للإقامة معهن فى شيراتون المنتزه ، فكان السفر والعودة بالقطارات الفاخرة مع الإقامة التامة على نفقة تلك الطائفة (البروتستانت) فضلا عن كون الفطور فى مكان والغداء فى آخر والعشاء فى غيرهما .

وأما عن الكلمات التى ألقيت فى المؤتمر ، فقد غلب الطابع العلمانى عليها ، والكلمات التى ألقاها بعض المسؤلين الإسلاميين فقد غلب عليها المجاملة فى الحق ، والحذر التام من تناول الجوانب العقيدية ، بل الإقرار بنسبة معتقدات الغير إلى الوحى قد تم .

والعجب كل العجب أن العلمانيين الذين عابوا الدين وانتقدوه كانوا متمسلمين ، وعندما ضربوا الأمثلة على الآثار السلبية للدين أو الفكر الدينى ، استشهد أحدهم بالشورى فى الإسلام ....

وأما الذين كنا نتوقع منهم الردّ أو الاعتراض والرفض فقد آثروا السلامة ، ومن الذين حضروا أناس لم يكن لهم من نصيب فى المؤتمر إلا الطعام والشراب فقط ، وبعضهم لم ير إلا ساعتها ...

ومن خلال ما قرأته فى كتب التبشير ورأيته على الواقع ، سألت نفسى هذا السؤال : هل يمكن لمن سافر وأكل وشرب عدة أيام من مال هؤلاء أن يجهر بالحق أو يعترض على باطل أو يناقش قضية عقيدية ؟

إن كثيرين من المشاركين فى هذه المؤتمرات ليتيهون فخراً بأن بينهم وبين رجال الدين المسيحى صداقات شخصية ، ورباط اجتماعى ، وعلاقات أسرية ... ألخ

أين هذا من قول الله تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ (١).

أو لاَ يعد ذلك سبيلا لاستقطاب الأزهريين ، وبعد إطعام الفم تستحى العين لقد دارت مناقشات حادة فى ورش العمل والحوارات الجانبية ، وكانت العصبية واضحة والحرص على النأى بالدين قائما ، واتهام الحركة الإسلامية بالتطرف واضح وبكل أسف من العلمانيين المسلمين .

إن مثل هذه المؤتمرات ، يعقد كل عام ، ويتم اختيار المكان الترفيهى المناسب ، فقد يكون الغردقة ، وأحيانا مرسى مطروح ، فضلا عن الإسكندرية ، وآخر دعوة للانعقاد فى إطار برنامج إدارة الدراسات والحوار بالهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية ، الذى يسعى إلى إقامة الحوار الفكرى والعلمى بين المثقفين من رجال الدين وأساتذة الجامعات والإعلاميين كانت فى الفترة من ١٦ – ١٨ ديسمبر سنة ١٩٩٧ م وذلك بفندق سونستا ببورسعيد ، وموضوع المؤتمر لمصريون والوعى بالعصر) والمحاور التى تدور حولها الدراسات كانت :

١- الواقع المصرى فى ضوء المتغيرات العالمية .

٢- الهوية ودوائر الانتماء .

٣- المواطنة فى مجتمع متعدد .

مع النص فى استمارة الدعوة على تحمل الهيئة لكل تكاليف السفر والعودة والإقامة فهل هى سياسة التقريب بين العقول والقلوب ، مع علم الأول بالهدف وجهالة الآخرين به ؟

<u>الفصل الخامس :</u> وفيه تم التركيز على وسائل التبشير فى المستقبل مع وضع الآداب واجبة الاتباع عند التبشير ومن هذه المقترحات مما يلى :

---

(١) المجادلة : (٢٢) .

١- مراجعة المؤلفات التى مضى عليها فترة من الزمن وإصلاحها واستخدامها فى تبشير المسلمين المتنورين .

٢- الاتساع فى ترجمة أدبيات التبشير وعدم قصرها على أشهر لغات المسلمين فقط .

٣- نشر كتب فى الموضوعات الدينية الآتية :

(أسماء وألقاب المسيح التى فى الأناجيل - طبيعة الخطيئة الأصلية - ضرورة الغفران - الجنة وكيفية الحصول عليها - الروح القدس وأعماله - عقيدة سر التجسد - الإله الاجتماعى يشمل الثالوث - الشيطان وكيفية الخلاص منه) .

٤- الإكثار من الإرساليات الطبية لأن رجالها يحتكون دائما بالجمهور ، ويكون لهم تأثير على المسلمين أكثر مما للمبشرين الآخرين . ومع ذكر جهود الأطباء فى عملية التبشير .

٥- الاهتمام بدور المرأة فى التبشير مع التركيز على المرأة المسلمة وذلك بذكر بعض قصص الإنجيل أمامها وبخاصة قصة الابن المسرف .

٦- الاستعانة بالمتنصرين فى نشر المسيحية وبخاصة أن المسلم عنده ميل على نشر ما يدين به ، فإذا تنصر كان أقدر على البلاغ .

٧- تساءل الحاضرون عمن تنصر وتحت يده عدد من النساء أيمسكهن أم يكتفى بواحدة وكان الرد : إنه فى دور التجربة ، فله استبقاء نسائه ، وأما إذا كان على فراش الموت فلم ترد إجابته بذلك ؟

٨- التوصية بترك الجدل والمناظرة لأنهما يؤديان إلى رفض من ذوى الغيرة مع نشر الكتب بأثمان زهيدة قدر الاستطاعة حتى يمكن العلم بالمسيحية بهدوء .

٩- عدم اليأس من توقع تنصير المسلم وذلك بأن نفتح للمسلم مدارسنا ، ونتلقاه فى مستشفياتنا ونعرض عليه محاسن لغتنا ثم نقف أمامه

منتظرين النتيجة بصبر وتعلق بأهداب الأمل ، إذ المسلم هو الذى امتاز بين الشعوب الشرقية بالاستقامة والشعور بالمحبة ومعرفة الجميل .[١]

مؤتمر القاهرة التبشيرى فى ميزان المبشرين :

تحدث القسيس زويمر فى مؤتمر لكنو سنة ١٩١١ م عن الآثار الإيجابية لمؤتمر القاهرة التبشيرى ومما قاله : إن المؤتمر كان فاتحة عصر جديد لتنصير المسلمين لأنه كشف الحجاب عن أمور كثيرة كانت مهملة ومنسية ، وحث الكتاب على وصف أعمال المبشرين فى بلاد الإسلام ، واستنجد بالكنائس واستصرخها ....

وصنفت الكتب الكثيرة التى يراد بها تعريفنا ببلاد الإسلام وحالات المسلمين مثل كتاب (الشرق الأدنى والشرق الأقصى) الذى طبع منه ٤٥,٠٠٠ نسخة ، وكتاب (أخواتنا المسلمات) وكتاب (العالم الإسلامى) الذى طبع منه ٥٠,٠٠٠ نسخة ، وأكثر هذه الكتب نشرت بلغات متعددة ، وكتب المبشرون فى هذه المدة (١٩٠٦ - ١٩١١) مقدار عشرين كتاباً بحثوا فيها فى المعضلة الإسلامية من كل أوجهها وكلها مبنية على بحث واستقصاء ، ومن هذه الكتب كتاب (دين الإسلام) و (الشعائر الدينية الإسلامية) و (الإسلام والنصرانية فى الهند والشرق الأقصى) و (صليبيو القرن العشرين) و (مصر والحرب الصليبية) و (الإسلام والصين) .

وختم القسيس زويمر خطابه الافتتاحي بقوله : إذا نظرنا إلى البلاد التى يحكمها هذا الدين الكبير المخاصم لنا وإلى البلاد التى يتهددها بحكمه إياها يظهر لنا أن كل واحد من هذه البلاد هى رمز لعنصر من المعضلة الكبرى ، فالمغرب الأقصى فى الإسلام مثال الانحطاط ، وفارس مثال للإنحلال ، وجزيرة العرب مثال للرقود ومصر مثال لمجهودات الإصلاح ، والصين مثال

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى من ٢٢ - ٢٨ بتصرف .

للإهمال ، وجاوة مثال للتعبير والانقلاب والهند مركز التحكك بالإسلام ، وافريقية الوسطى مكان الخطر الإسلامى ، والإسلام يحتاج قبل كل شئ إلى المسيح ، فهو الذى يرسل أشعة النور إلى المغرب ويعيد الوحدة لفارس والحياة لجزيرة العرب والنهضة لمصر ويرد إلى الصين ما أهمله الإسلام فيها وهو الذى يبقى لأهالى ماليزيا بلادهم ويزيل الخطر العظيم من أفريقية .[١]

<u>أضواء على الكتاب الثانى :</u> الذى نتج عن مؤتمر القاهرة التبشيرى وعنوانه (العالم الإسلامى اليوم) تعاون مع زويمر كثير من المبشرين الذين شاركوا فى مؤتمر القاهرة ، فى جمع المادة الواردة فى هذا الكتاب ، وركزوا على واقع الإسلام فى البلاد التى يبشرون فيها ، كاتبين وصفا تفصيلا عن عادات وتقاليد واقتصاد وسياسات تلك البلاد ، وعن النتائج التى أسفرت عنها عملية التبشير فى تلك البلاد ، وقد تصدر الكتاب بمقدمة " ألحوا فيها بضرورة تنصير المسلمين الذين أهمل المبشرون أمرهم " ، كما تحدثوا عن خطر الإسلام قائلين " إنه لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامى الذى اقتحم قارتى أسيا وأفريقيه الواسعتين ، وبث فى مبادئ مليون من البشر عقائده وشرائعه وتقاليده ، وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية ، فأصبحوا كالأنقاض والآثار القديمة المتراكمة على جبل المقطم ، أوهم كسلسلة جبال تناطح السحاب وتطاول السماء مستنيرة ذرواتها بنور التوحيد ، ومسترسلة سفوحها فى مهاوى تعدد الزوجات وانحطاط المرأة ...

إن الكنيسة المسيحية ارتكبت خطأ كبيرا بتركها المسلمين وشأنهم ، إذ ظهر لها أن أهمية الإسلام فى الدرجة الثانية بالنسبة إلى ثمانمائة مليون وثنى رأت أن تشتغل بهم ، رأت هذا وهى لم تعرف عظمة الإسلام وحقيقة قوته وسرعة نموه إلا منذ ثلاثين سنة فقط ، على أن أبواب التبشير صارت مفتوحة الآن فى ممالك الإسلام الواقعة تحت سلطة النصرانية مثل الهند والصين

---

(١) المرجع السابق ص ٥٩ .

الجنوبية الشرقية ومصر وتونس والجزائر ، وأن بالعالم ٤٠,٠٠٠,٠٠٠ مسلم يرتقبون الخلاص .[١]

❁❁❁

مقارنة بين المؤتمرات الإسلامية والمسيحية

الكفاءة والخبرة والمصارحة والواقعية نقطة البدء فى نجاح الأعمال . وقد حرص خصوم الاسلام على التحلى بهذه الصفات لحرصهما على النجاح فى نشر المسيحية كرسالة يتحركون بها فى بلاد العالم الإسلامى .

ونظرة مقارنة بين المؤتمرات الإسلامية والمؤتمرات التبشيرية ندرك منها بعض الفروق ، ليعتبر بها من شاء أن يعتبر ، وللفت نظر المسلمين إلى المنهج الذى يتبعه خصومهم ، علّهم فى ميدان النزال يحققون كسبا كاسحا أو قليلاً من الكسب ومن هذه الفرق نذكر :

١ – عدد المؤتمرات :

لا وجه للمقارنة بين عدد المؤتمرات الإسلامية وعدد المؤتمرات المسيحية فبينما تبلغ المؤتمرات الإسلامية الآلاف من حيث العدد لا تتجاوز المؤتمرات التبشيرية أصابع اليد .

والفرق بين الاثنين : أن المؤتمرات الأولى – فى أغلبها – لون من الترف ، أو الدعاية أو لتحقيق عبارة " نحن هنا " وقد تكون لردّ الفعل ، وأحيانا تدفع إليها الغيرة فقط ، وليست بالتى نص عليها القرآن ﴿ ... وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ ولكنها الغيرة على الذات من أجل الإثبات أو الوجود ، أو لطمس فعلَ الغيرَ أو تشويه صورته ، وهذا أوضح ما يكون فى الدُولى منها والمحلى .

إن ما ينفق على المؤتمرات الإسلامية المحلية والدولية وما يتقاضاه المؤتمرون من بدلات وانتقالات ومكافآت وهدايا يمكن أن يلعب دوراً رئيسيا فى حل مشكلة الدعوة الإسلامية من الناحية المالية .

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى ٢٩ .

٢- نوعية المشاركين :

نظرت فى أسماء المشاركين فى المؤتمرات التبشيرية ، فوجدتها أسماء لأناس لهم قدم راسخة فى عملية التنصير ، وجهودهم لا تنكر فى هذا الميدان ولهم بحوث ودراسات تبلغ حداً فى الكثرة ، ولم تكن دعوتهم لحضور المؤتمر قائمة على هوى فى نفس هذا أو ذلك .

وأما الحاضرون فى المؤتمرات الإسلامية فإن اختيارهم بالدرجة الأولى يقوم على :

أ - المعارف الشخصية .

ب- التبادل المنفعى .

ج- التمثيل السياسى .

د - التمثيل الدبلوماسى .

هـ - الاحتراف .

و - سد العجز وتحقيق الغرض .

ز - الموقع الوظيفى .

وقد ترتب على البواعث السابقة . تواجد أعداد لا نهاية لها فى المؤتمرات الإسلامية أو المؤتمرات المشتركة بين المسلمين والنصارى لا صلة لها بموضوع المؤتمر ولا طبيعته ، فأحيانا يكون المؤتمر بعيدا عن تخصص المدعو بعداً كلياً وجزئياً وفى إطار المعرفة الشخصية يدعى للحضور ، وفى بعض الأحيان نجد أسماء قد تعارفت أو عرفت بالمشاركة فى المؤتمرات فى بلد ما ، ولها صداقات فى بلد آخر ، فيكون التبادل المنفعى ، زيارة وتجارة ، وأحياناً يدعى إلى المؤتمر ممثلون عن جهات سياسية ، وإن كانت اتجاهاتهم علمانية أو مادية شيوعية ، ومع ذلك يكونون فى صدارة المؤتمر بحكم موقعهم السياسى ، ويحترم رأيهم بقوة السيف لا بالبراهين العقلية .

وأحياناً يحضر بعض السفراء ، كممثلين عن دولهم ، سواء كانوا مقتنعين بموضوع المؤتمر أم غير مقتنعين .

وهناك أناس احترفوا المشاركة فى المؤتمرات الإسلامية ، سواء أكان الموضوع عقدياً أم فكريا أم فقهيا أم لغويا أم تياراً من التيارات المعاصرة ، إنهم موجودون به فقط ، اتصل موضوع المؤتمر بتخصصهم أو لم يتصل ، وكم يسرقون ما كتبوا ويضللون من سمعوا ، ويعجزون عند العرض لا لشئ إلا لأنهم تكلموا بما لا يعرفون وخاضوا فيما لا يدركون ، فكان حضورهم عليهم لا لهم ، ولم يقم بهم من الحياء ما يصرفهم عن ذلك ، إنه الاحتراف أو درء العجز أو إتمام النقص .

٣- الدراسة المقدمة (موضوع المؤتمر) .

المبشرون لا يتوسعون في العناوين ، ويقيدونها بجزئية محددة ، وعناوين المؤتمرات الإسلامية ، قد تتسم بهذه السمة ، وقد تتسع الدائرة لتشمل احتمالات تبلغ حداً فى الكثرة .

والذى ينبغي الإشارة إليه ، ما رأيته شخصيا فى بعض المؤتمرات الإسلامية الخالصة ، والمؤتمرات المشتركة من بحوث قدمت إلى تلك المؤتمرات ، وليس بالإمكان أن أذكر اسم البحث أو الباحث فى هذا المؤتمر أو ذاك ، ولكن بالإمكان أن أنص على نماذج لتلك البحوث لبيان انتفاء الصلة بين البحوث والمؤتمر وبين الباحثين والعنوان الذى حضروا من أجله .

لقد عقد الأزهر مؤتمرا بعنوان " الدراسات الإسلامية عند غير العرب ... " عام ١٩٩٧ م وتم افتتاح المؤتمر بكلمات عاطفية للغاية ، هيجت المشاعر الدينية ، وصورت للحاضرين أن سيف الاستشراق قد انكسر ، وأن ضوء التبشير قد خفت ، وتم الإعلان عن تأسيس مركز للدراسات الاستشراقية فى جامعة الأزهر ، للرد على المستشرقين والدفاع عن الإسلام ، كل ذلك محمود

وعندما بدأت اللجان أعمالها ، وتم طرح البحوث المقدمة تبين أن ٨٠% من مقدمى البحوث لم يفهموا العنوان الذى عقد المؤتمر من أجله .

فبينما يدعو المؤتمر إلى دراسة تفكير غير المسلمين حول الإسلام ، وما كتبوه عنه وذلك يعنى أن نحسن الحسن من فكر هؤلاء ، وان نقبح القبيح ، وتحسين الحسن يكون بعرض كتاب أو بحث لمستشرق وبيان جوانب الإيجاب فى فكره ، وتأصيل ذلك الفكر من تراثنا أو مصادر ديننا .

وأما القبيح فيكون بذكر ما كتبه هذا المستشرق أو ذلك ، طاعنا فيه على القرآن أو السنة أو الشريعة الإسلامية أو الفكر الاسلامى ، وذلك بعرض ونقد ما كتبه هؤلاء . إذ بنا فى هذا المؤتمر نجد أن الكتابات المقدمة فى أغلبها تتحدث عن الأسرة فى الإسلام دون ذكر شبهة أو بيان علة التقديم ، وإنما هى بحوث ثابتة تعرض فى مؤتمرات غير ثابتة ، وقد دفع ذلك أحد الحاضرين إلى القول : إننى جئت مستمعا لشبهة مستشرق أو فرية ملحد تطرح ويتم الردّ عليها والإبطال لها ، فوجدت نفسى طالب علم فى الصف الثالث الثانوى أسمع درساً فى النكاح .

إن الدراسات المقدمة إلى المؤتمرات الإسلامية فى أغلبها غير موضوعية ، وغير متصلة بالمؤتمر أحياناً ، وإذا كانت هناك لجان تنظيمية ولجان تحكيم قبل المؤتمرات فإن هناك رغبة فى المجاملة ، ومؤثرات اسمية تفرض نفسها على هؤلاء .

٤-الواقعية :

تمتاز المؤتمرات التبشيرية بالواقعية من ناحية والتفاؤل من ناحية ثانية وليس بإمكان الحاضرين فى المؤتمرات الإسلامية أن يعبروا عن رأيهم بنفس الواقعية التى يعبر بها المبشرون .

ففى إمكان المبشر أن يعلن عجزه التام عن تنصير مسلم واحد ، ويذكر علة عدم استطاعة ويطرح التصور الذهنى لتحقيق الغرض ، دون لوم أو عتاب أو صيحات استنكار أو مقاطعة ، ويكفى أن المبشرين فى مؤتمر القاهرة

سنة ١٩٠٦ م أعلنوا عجزهم عن تنصير المسلمين ، ولم يحققوا آمالهم إلا فى حالات محدودة للغاية منها :

اليتم – الفقر المدقع – المستخف بالأديان .

وما قوبل ذلك بالإنكار أو الشجب أو الاستهجان .

وأما مؤتمراتنا فأغلب البحوث فيها غير واقعية ، والدراسات الميدانية فيها تعد على أصابع اليد الواحدة ، وأحيانا يفرض على المؤتمرين عدم الحديث فى هذا الموضوع أو ذلك ، مما هو وثيق الصلة بالواقع .

هل بإمكان أحد المبعوثين من العالم الاسلامى ، أن يكتب إلى دولته قائلا : إننى عاجز عجزا كليا عن تحقيق الغرض المرسل من أجله ، وما ذا لو كتب ، مع أن عجزه قبل السفر قائم ن لجهات بلغة المرسل إليهم ، وعدم علمه بعاداتهم وتقاليدهم فضلا عن عجزه المادى والذى يلعب دوراً أساسياً فى حركة الدعوة فى ديار الغرب .

٥- مكان الانعقاد :

يؤثر المكان الذى ينعقد فيه المؤتمر تأثيراً بالغا فى الوجود والعدم ، ففى العالم الإسلامى إذا تم الإعلان عن انعقاد مؤتمر فى وسط أفريقيا – مثلا – أو أمريكا الجنوبية تجد كثيرين من المحترفين معرضين عن المشاركة ، لأن الدولة المضيفة لا تملك القدرة على منح مكافآت مجزية للحاضرين ، بصرف النظر عن المادة العلمية المقدمة ، وأحيانا تشترط للحضور أن يكون السفر والعودة على حساب المشارك ، فيكون الامتناع عن المشاركة ، وكذلك إذا كان المؤتمر فى أوربا .

وأما إذا كان المؤتمر فى بلد خليجى فإن السبق والصراع على المشاركة يصبحان وصفا لازما لكثيرين وتكون المكاتبات السرية والعلنية لتيسير سبل الحضور ، لعلم هؤلاء بالآثار الإيجابية المادية المترتبة على الحضور والتى تتمثل فى : مكافآت مادية ، ضيافة خمسة نجوم ، تذاكر سفر مجانية ، إمكانية إلقاء محاضرات جانبية بأجر – التعاقد زائر أو معار ، ... ألخ .

إذاً فالمكان عندنا لا يتعلق بهدف ولا غاية دعوية وإنمـا بالاعتبـار المـادى بالدرجة الأولى وأما المبشرون ، فإنهم يركزون فى اختيار المكان على مراكز الثقل فى العالم الإسلامى وعلى نقطة البدء فى هـذا المكـان أو ذاك ، غيـر مبالين بالعائد المادى أو المردود السياسى إنه الهدف فقط ، ويكفـى أن تلـك المؤتمرات قد خلت من الترف فى مواطن انعقادها وركزت على الهدف سواء أكان الانعقاد فى مصر أم القدس أم الهند ... ألخ مع العلم بأن المشاركين فـى هذه المؤتمرات من أصول اجتماعية تتسم بسمة الترف ، فمـنهم الفرنسـيون والبريطانيون والمجرميون والسويديون والهولنديون والنمساويون والأمريكيون ومع ذلك ، لا يرون غضاضة فى ان يقيموا فى ديار الإسلام فضـلا عـن أن يأتمروا فى تلك الديار .

٦- المذهبية الدينية :

عرفت الأديان المنسوبة إلى الوحى المذهبية على أسـاس عقـدى (سـنى، شيعى) عنـد المسلمين ، أرثوذكس ، كاثوليك ، بروتسـتانت ، عنـد النصـارى (سامريين ، بابليين) عند اليهود (كما عرفتها على أسـاس تشـريعى (المـذاهب الفقهية) وعلى أساس خلقى (الاتجاهات الروحية والصوفية) لدى العقائد الثلاث .

ومع وجود خلافات جوهرية فى معتقدات أهل الكتاب ن إلا أنهم أمـام رغبتهم فى نشر دينهم يتناسون كل خلاف مذهبى بينهم ، لتتحد كلمـتهم فـى الهدف المنشود (عملية التنصير) ويمكن الوقوف على ذلك من خلال النظرة الغامضة لأسماء المبشرين ومذاهبهم .

وأما المؤتمرات الإسلامية ، فقلما غابت عنها المذهبية أو غُيبت ، بل إنها بين الحين والحين تبعث بيد خفية لفت عضد المسلمين وتمزيق وحـدتهم ، ولا زالت كتابات السنيين عن الشيعة تسمهم ضمنا بالكفر ، وترد أصول معتقـدهم إلى اليهودية والمجوسية والنصرانية ، وحكم على كثيرين منهم بالمروق عـن الإسلام ، ولا تزال كتابات الشيعيين – فى أغلبها – تبطل ما ذهب إليه أهـل

السنة ، وتصدر حكيما بالكفر على اتباعها . نظراً لمخالفتهم في المعتقد للشيعة ولتقديمهم أبا بكر وعمر وعثمان على الإمام على ، ويلعنون البخارى ومسلم ، ويدعون أن ابن سبأ خرافة في تاريخ الفكر الإسلامى .... ألخ .

وكم عقدت مؤتمرات إسلامية – حضرتُ واحداً فيها في مجمع البحوث الإسلامية – تعالت الأصوات فيها تطالب بتكفير الشيعة عامة والخومينى بخاصة ، تضامنا مع العراق فى حربه لإيران وتأييداً لصدّام . وفى العقود الأولى من هذا القرن ، عقدت مؤتمرات التقرير بين السنة والشيعية – وبذلت الجهود الشاقة لتحقيق ذلك الغرض ، ثم باءت بالفشل ، حتى قال أحد شيوخ الأزهر : لن يلتقى السنة والشيعة حتى يلتقى المشرق والمغرب .

وعلى هذا النقيض من هذا القول فقد اتحد الباطل ، وأدرك قيمة الوحدة ، فلم يتراجع عنها ، إذا ما استثنينا الخلاف القائم بين أيرلندا الشمالية وبريطانيا على أساس عقدى بروتستنت وكاثوليك الخ فضلا عن الوحدة السياسية بين أوربا الغربية ، والتقارب التام بين أمريكا وأوربا، وتمزّق المسلمون مع أنهم مأمورون بالوحدة ، وتصارعوا على الدنيا ، بين فقير يطلب قواما من عيش وبين غني يرفل فى النعيم ، وينفق بلا قيد ولا شرط ، وفشت العصبية وعادت الجاهلية ، فحق عليهم قول الله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾(١) فضعفنا بهذا الصراعَ الداخلى ، وطمع فينا عدونا ، واستشعرنا خوفا داخليا أكثر من الخوف الخارجى ، وأدرك المبشرون الواقع ، فأتوا قاطنين فى ديارنا ، غير مبالين بحرماتنا ، مذكين نار الخلاف بيننا ، لأننا لم ننتفع بالتحذير الالهى ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾(٢) وقد تنازعنا ففشلنا وذهبت ريحنا .

---

(١) الأنعام ٦٥ .

(٢) الأنفال ٤٦ .

٧- البعد السياسى للمؤتمر :

المبشرون – مبلغ علمى – لا يعقدون مؤتمرا لبعد سياسى معين ، يتعلق بهذه الدولة أو تلك ، والمشاركون فى المؤتمرات التبشيرية وإن اختلفت اتجاهاتهم وتوجهاتهم إلا أنهم داخل المؤتمرات التبشيرية يركزون على شئ واحد هو التبشير والتنصير فقط ... والمؤتمرات التى نشرت تؤكد هذا .

أما المؤتمرات الإسلامية ، فلها أهداف غير محددة ، فقد تعقد لأمر دينى ، أو أمر سياسى أو لأمر اقتصادى ... ألخ .

ويهمنا الإشارة إلى المؤتمرات التى تعقد على أساس سياسى ، نذكر منها نموذجين :

الأول : المؤتمرات التى عقدت فى فترة حرب العراق مع إيران ، فلقد دعت المؤتمرات التى عقدت فى بلاد العالم العربى إلى تأييد العراق ومده بكل قوة متاحة مادية ومعنوية ، كما دعا بعض الحضور إلى إصدار فتوى بكفر الخوميني ومن شايعه ... فى الوقت الذى عقدت فيه مؤتمرات مضادة تؤكد حق إيران فى الدفاع عن نفسها ، وتطالب العرب بعدم مديد العون إلى العراق لايقاف طغيانها .

الثانى : فى فترة حرب الخليج تم انعقاد مؤتمرين إسلاميين أحدهما فى العراق والثانى فى السعودية ، وأيد المجتمعون فى كل دار اتجاهات أهلها ، فالمؤتمرون بأرض العراق أيدوا العراق فى عدوانها على الكويت ، وعابوا دول الخليج وحكامها ، ورأوا أحقية العراق فيما ذهبت إليه ، وركزوا على الوجود الصليبى فى منطقة الخليج ناسين العلة او الباعث أو السبب ...

والمؤتمرون بأرض السعودية جرموا العراق فيما أقدمت ، ولاذوا بالحرم ، وربطوا بين ضرب الكويت وضرب الحرم ، وأيدوا الاستعانة بالمشركين على المسلمين فى حال الضرورة ، هكذا بدت صورة علماء الإسلام فى نظر عامة الناس بأنهم مرتزقة لأن من ذهب هنا أو هنا قبض ومنهم من تاجر بالحدث فطاف الشرق والغرب يؤيد رفضه لاعتداء العراق

على السعودية ، مع أنه إمام لأهل العراق فيما اتصفوا به عبر التاريخ وقد كوفئ بشيك مقداره مليون ريال لخطابه السايسي ضد العراق .

٨-المساندة الدولية للمؤتمرات التبشيرية والمقاطعة فى العالم الإسلامى .

المبشرون صلتهم قوية بدولهم ، وهم فى رعاية دولهم رعاية تامة بصورة مباشرة أو غير مباشرة والسفراء والممثلون السياسون يرعون هؤلاء عند الشدائد والخلافات السياسية بين الدول الغربية لا تحول دون مشاركة المبشر فى أى مؤتمر ينعقد بصرف النظر عن الديار المنعقد فيها المؤتمر وموضوع المؤتمر والقيادة والمشاركين ، لأن الهدف في النهاية مشترك .

وأما العالم الاسلامى فإن المشاركة فى المؤتمر تتأثر وجوداً أو عدما بالبعد السياسى ، ففى حال الخصومة السياسة تكون المقاطعة ، وإن كان الموضوع متصلا بالدعوة الإسلامية وفى حال المصالحة يكون الحضور وإن لم يكن المشارك على استعداد نفسى .

٩- الأهداف :

بعض المؤتمرات الإسلامية تعقد لأهداف هامشية فى حياة الأمة ، أو لمناقشة قضايا ثانوية فى الفكر الإسلامى . وأحيانا تنعقد لبعد سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى وأحيانا أخرى انتصاراً لرأى أو هدماً لآخر ، والنسبة بين عدد المؤتمرات الدعوية وغير الدعوية لا تذكر .

وأما المؤتمرات التبشيرية ، فإن هدفها واضح للغاية ، التنصير وبسط سلطان النصرانية قدر الاستطاعة ، فإن لم يكن فالتشكيك فى المعتقدات غير النصرانية ، فإن لم يكن فوضع الدعاة من غير النصارى فى موطن الدفاع بدلا من الهجوم ، فإن تعذر ذلك فلتكن الدراسة لأسباب الإخفاق .

ولا يخفى المبشرون الهدف الذى يتطلعون إليه ، تنصير هذه الدولة أو تلك ، وما هى الطريقة وما هو السبيل وكم يستغرق الأمر من الزمن ... ألخ .

لقد سألت بعض المشاركين فى بعض المؤتمرات الإسلامية عن هدف هذا المؤتمر فعجز عن الإجابة أو تكلف فيها ، مع أن قضايانا تبلغ حداً فى الكثرة، ويمكن طرح بعض القضايا الشائكة فى مؤتمرات إسلامية ، ولكن ذلك يقابل

بعقبة من الذى سيستضيف ومن الذى سيمول ومن يقر طرح ذلك الموضوع فى مؤتمر ؟ أو ليست مشكلة الحاكمية والخلافة ومشكلة الشورى والحرية ومشكلة العدل والطبقية ومشكلة الرشوة والمحسوبية من المشاكل التى يعانى منها العالم الإسلامى ...

أو ليست الأقليات الإسلامية فى أعناق الأغلبية المسلمة ، فأين المؤتمرات التى عقدت من أجلهم وما هى الدراسات التى أجريناها للاهتمام بهم .. ؟ ينبغى أن تتحول أهداف المؤتمرات الإسلامية من المحلية إلى العالمية ومن الذاتية الشخصية إلى الهوية الإسلامية ، ومن النظرة القاصرة إلى آفاق الكون الرحب حتى نحقق العالمية التى وردت فى القرآن والسنة .

١٠- التطبيق للقرارات والتوصيات :

المؤسسات والمنظمات والجماعات والجمعيات الإسلامية تبلغ حداً فى الكثرة ، على المستوى المحلى والدولى ، والمؤتمرات التى تعقدها هذه الهيئات تجاوزت الآلاف ، والتوصيات شارفت المليون ويبقى السؤال : كم تم تطبيقه من هذه القرارات والتوصيات ؟ باعتراف المختصين نسبة لا تذكر على وجه الإطلاق .

ويبقى سؤال آخر : أين لجان المتابعة والمراقبة والتقييم ؟ أين اللجان المنبثقة عن هذا المؤتمر أو ذلك بل أين التوصيات والقرارات أغلبها حبر على ورق ما أحوجنا إلى المقارنة بين ما يسلكه المبشرون وما نسلكه نحن من حيث النظرية والتطبيق ، وما أحرانا بأن لا نعقد مؤتمرا جديدا حتى نراجع أنفسنا كم طبقنا من القرارات السابقة .

اعتذار : لم اكتب ذلك لزرع اليأس فى قلوب الناشئة ، ولكننى أردت أن أشخص الداء حتى يتيسر وصف الدواء ، والمصارحة والواقعية هما بداية الانطلاق نحو الهدف إذا توافرت الإرادة الجادة ، ويمكن القول : إننا لو احترمنا التخصصات ، وقدرنا العقول ونأينا بأنفسنا عن التجارة بالمؤتمرات ، وأرسلنا المتخصصين فى كل موضوع مطروح لمعالجة قضاياه ، لكان حالنا غير ما انتهينا إليه ، فضلا عن التقليل فى التوصيات والإكثار من التطبيق ، وقبل

ذلك كله : توفر الإرادة فى نشر الإسلام وحسن عرضه وحل مشكلات أهله ، وقبول المصارحة والموضوعية والواقعية .

أسباب نجاح بعض المبشرين

تعذر على المبشرين أن يحققوا الأصل الأول المرجو فى بلاد العالم الإسلامي بخصوص تنصير بعض المسلمين ، ولم يتعذر عليهم أن يحققوا الأمل الثانى وهو : توهين العقيدة الإسلامية فى صدور أتباعها ، ويمكن القول: إن بعض العوامل قد لعبت دورها فى تحقيق ذلك فى غير الديار الإسلامية ، كدول شرق أسيا ، وسط وجنوب أفريقيا ، وشرق أوربا ووسطها ، ومن هذه العوامل ما يلى :

١- إيمان المبشر بعالمية رسالته ، بصرف النظر عن الحق والباطل فيما يدعو إليه ، لأن ما يدعو إليه يعد باطلا من وجهة نظر المسلمين ، وحقا من وجهة نظر المبشرين ، فالأدلة السابقة على عالمية المسيحية كعقيدة راسخة فى قلب وعقل المبشرين قد دفعتهم إلى القيام بعملية النشر للمسيحية ، فضلا عن أن الاعتقاد بالعالمية دفع أصحاب المستوى الاجتماعي الراقى من أمريكا وفرنسا وهولندا وأسبانيا والبرتغال والدنمارك وإيطاليا إلى الإقامة فى مجاهل أفريقيا وآسيا وشمال أفريقيا وكذلك فى الهند ، غير مبالين بشظف العيش وسوء المناخ وإن لعبت الإمكانيات دورها فى تحسين مستوى معيشتهم فى هذه الديار .

كذلك دفع الإيمان بالعالمية إلى قيام طوائف شتى من النصارى بحركة التبشير فالعملية التبشيرية لم تعد قاصرة على رجال الدين وحدهم وإنما يشارك فيها الآن الأطباء والمهندسون والعمال والخدم فى بلاد الخليج العربى ، وهو ما يوسع دائرة النشر .

ويدفع الإيمان بالعالمية إلى التحرك بالدعوة دون النظر إلى البلاد التى سينزلون بها والعائد المادى الذى سيتقاضونه ، والفترة الزمنية التى سيقضونها

٢- الدراسات الاجتماعية التى يتلقاها هؤلاء المبشرون قبل اللحاق بالبلاد التى سيذهبون إليها فمعاهد التبشير تركز على لغات بعينها أو أناس بعينهم وتحملهم على العلم بلغة هؤلاء ، علماً يجعلهم من أهل تلك الديار فى الخطاب والعيش وجوانب الغضب والرضى ، والعادات والتقاليد ، فضلا عن إدراكه لمواطن الحاجة فى تلك الديار وحرصه على القيام بها كالطب أو الهندسة أو المعمل أو الصحافة ألخ .

٣- الموارد المادية ، لا يعانى المبشرون من عجز مادى على وجه الإطلاق ، وإن شكت المؤسسات التبشيرية من عجز مادى فلأنها تتطلع إلى إمكانات غير محدودة فى العملية التبشيرية ، لأن ما يستنزفونه من أموال يفوق الخيال .

٤- الدعم السياسى الذى يلاقيه هؤلاء المبشرون ، فالدول الأجنبية لا تغض الطرف عن المبشرين لحظة واحدة ، وهم فى رعاية وعناية السفارات والقنصليات الأجنبية ، ويلوذون بها مع كل ستره ، بل إنهم لينعمون بالحركة دون قيد أو شرط فى ديار الإسلام ، فى رعاية تلك الدول ، وبعض السياسيين يقوم بنفسه بالعملية التبشيرية فى فترة حكمه أو بعدها ، ورؤساء أمريكا مضرب المثل فى هذا .

فضلا عن ذلك فإن الفاتيكان كمؤسسة دينية لها سفارات فى كل دول العالم ولها إرساليات تبشيرية سرية أحيانا ظاهرة أحيانا اخرى .

٥- انتفاء الصراع المذهبى عند الإبلاغ ، فعملية التبشير لا تظهر فيها الكاثولوكية أو الأرثوذكسية أو البروتستانية فى البدء ، وإنما يهدف المبشرون إلى إقناع الناس بالإيمان بالمسيح ، باعتباره الفادى والمخلص ، وإلى الإيمان بالكتاب المقدس باعتباره كلمة الله ، وإلى الالتحاق بالكنيسة باعتبارها وحدة جامعة ، فإذا حقق المبشر كسبا بين المدعوين ، استطاع أن يدعو إلى مذهبه فى مرحلة أخيرة ، مع انتفاء الهجوم من قبل الفرق النصرانية فيما بينها .

٦- لا تقتصر عملية التبشير على الرجال ، فالنساء يشاركن الرجال عملية التبشير وهن أقدر على ذلك فى الوسط النسائى ، ولم تسلم دولة عربية أو إسلامية من وجود مبشرات بالمسيحية ، ولهن دور بارز فى حضانة الأطفال ، ودور الأيتام واللقطاء ، ومنهن من تبنت سبعة آلاف فى الهند تبنياً شاملا وضرب بها المثل فى الخير (الأم تريزا) وشهد جنازتها رؤساء الغرب المسيحيين فى الهند .

٧- الوسائل الحديثة فى عملية النشر ، فلم تعد عملية التبشير قاصرة على الوعظ الدينى ، بل سلك المبشرون سبلا شتى للنشر ، فصلنا القول فيها عند حديثنا عن وسائل المبشرين ، وذلك كالتعليم والطب والخدمات الاجتماعية ، والمؤتمرات الاسلامية المسيحية ، وجمعيات الاخاء الدينى ووسائل الاعلام المرئية والمسموعة والصحافة والرحلات ونزل الشباب ، والتبادل الثقافى ، والخدمات الكنسية .

٨- التجارب العملية التى قام بها بعض المبشرين ، ودونوها ليهتدى بها أتباعهم ففى مؤتمر القاهرة التبشيرى عام ١٩٠٦ م تحدث القسيس " ثرونت " عن تجربته فى التبشير ، وطبيعة الشرق الدينية ودعا إلى :

أ - يجب أن لا نثير نزاعا مع مسلم .

ب- يجب أن لا يحرض المسلم على الموافقة والتسليم بمبادئ النصرانية إلا عرضا وبعد أن يشعر المبشر بأن الشروط الطبيعية والعقلية والروحية قد توفرت فى ذلك المسلم .

ج- إذا حدث سوء تفاهم حول الدين المسيحي فيجب أن يزال فى الحال ولو أفضى الأمر إلى المناقشة .

وقد أضاف " لفروا " أسقف مدينة لاهور الشروط التالية لمن يرغب فى مجادلة المسلمين .

د- أن تتفوق فيه الصفات الخلقية والاستقامة التامة على المزايا العقلية .

هـ- أن يكون مقتنعا بصحة البراهين التى يحتج بها ... وأن يضع الأمل بالفوز على خصمه نصب عينيه ويحاول حمل خصمه على الرضوخ للحقيقة .

و- يجب على المبشر أن يتذرع بالصبر والسكينة وأن يكون حاكما على عواطفه إلى الغاية القصوى (١).

وقد أضاف " زويمر " بعض النصائح إلى المبشرين فى مقدمة كتابه العالم الاسلامى اليوم ومنها :

ز- يجب إقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداء لهم .

ح- يجب تقديم الكتاب المقدس بلغة المبشر فيهم .

ط- تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول منهم ومن بين صفوفهم ، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها .

ى- ينبغى للمبشرين أن لا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة إذ من المحقق أن المسلمين قد نما فى قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وتحرير النساء (٢).

٩- ترجمة الكتاب المقدس إلى كل لغات العالم ، بل ترجمته باللهجات المحلية لكثير من البلدان وهو ما يسر حركة الاطلاع عليه مع توزيعه بالمجان فى المواصلات والمكتبات ودور العلم وعن طرق الهدايا وما يطبع منه ويباع فبثمن زهيد .

١٠- الاهتمام بكل راغب فى معرفة النصرانية ومراسلته وإرسال طوابع البريد له ليُردّ بها على المراسلات التى تصله حتى لا يتكلف شيئا وإرسال هدايا له فى صورة براويز يحتمل الرسم الإسلامي ومضمونها نصرانى من باب التضليل .

---

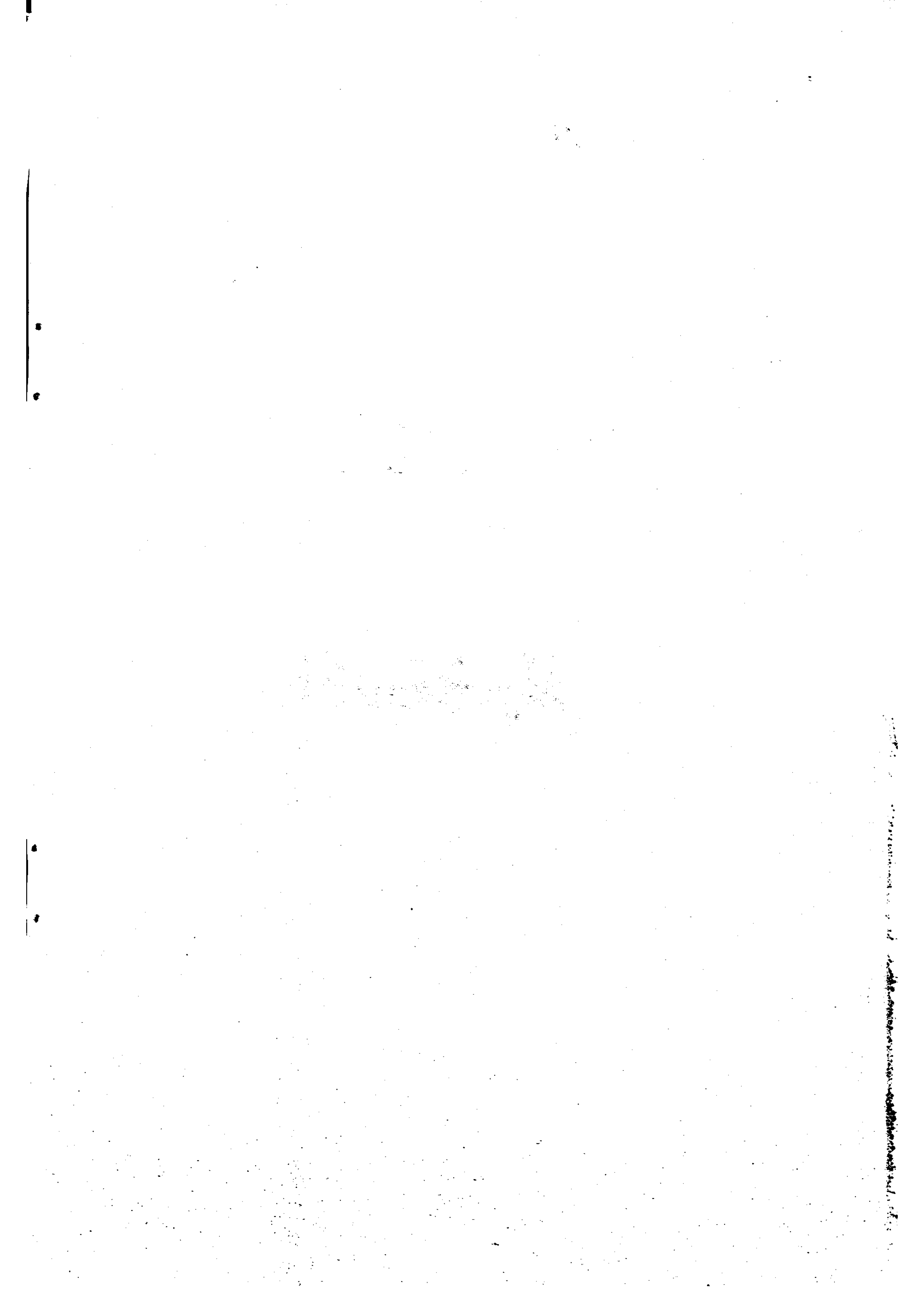
(١) الغارة على العالم الإسلامى ٢٨/٢٧ .
(٢) الغارة صـ٢٩ / ٣٠ .

١١- الكوادر التى اختطفوها من أفريقية وربوهــا علــى النصــرانية وغذوها بلبن المسيحية وطلبوا منهم ردّ الجميل للدين الــذين آواهــم فكــانوا مخلصين فى دعوتهم للنصرانية .

١٢- الحكام الذين يدينون بالنصرانية فى أفريقية لهم كبير الأثــر فــى مساندة المبشرين جزاء لجهود الغرب فى مساندتهم من أجل البقاء فى الحكم .



الاستشراق



الاستشراق والمستشرقون

تعريفه :

الاستشراق هو : تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقيين ، وشعوبهم ، وتاريخهم ، ولغاتهم ، وأوضاعهم الاجتماعية وبلادهم ، وأرضيهم ، وحضارتهم ، وكل ما يتعلق بهم .

وكان الهدف الأساسي دراسة الإسلام والشعوب الإسلامية ، لخدمة أغراض التبشير من جهة ، وخدمة أغراض الاستعمار الغربية لبلدان المسلمين من جهة أخري ، ولإعداد الدراسات اللازمة لمحاربة الإسلام وتحطيم الأمة الإسلامية ([1]) .

ولو نظرنا إلي الاستشراق نجد أنه مؤسسة هامة من مؤسسات الغزو الفكري ، التي تهدف إلي تعريف الغرب بنقاط القوة في العالم الإسلامي لهدمها ، ونقاط الضعف للدخول منها إلي الكيد للإسلام والطعن فيه وتشويه صورته ، ولا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ، ولا من هو أول مستشرق ، ولا في أي وقت بدأ الاستشراق .

إلا أن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا **الأندلس** في **إبان عظمتها** ومجدها ، وتثقفوا في مدارسها وترجموا القرآن الكريم والكتب العربية إلي لغاتهم ، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات ، ولما عاد هؤلاء الرهبان إلي بلادهم ، نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم ثم أسست المعاهد للدراسات العربية ، وأخذت الأديرة والمدارس الغربية بتدريس مؤلفات العرب العرب المترجمة ،

---

[1] أجنحة المكر الثلاثة ص (٥٠) للدكتور عبد الرحمن حنبكة .

إلي اللاتينية وظلت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون .

وفي القرن الثامن عشر وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب استعمار العالم الإسلامي والعربي ظهر الاستشراق بصورة أوضح ، وبدأ عدد من علماء الغرب ينبغون فيه ، ويصدرون لذلك المجلات في جميع الممالك الغربية .

ما هي العوامل التى ساعدتهم على ذلك ؟

وقد ساعدهم على ذلك استعمار الغرب لبلاد المسلمين ، في الحصول على المخطوطات العربية الإسلامية ، إما بشرائها بثمن بخيس من أصحابها الجهلة ، أو سرقتها من المكتبات العامة ، ونقلها إلي بلادهم ومكتباتهم حتى بلغت في أوائل القرن التاسع عشر ٢٥٠ ألف مجلد ولم يقف العدد عند هذا الحد بل هو في زيادة ([١]) ومن هنا أخذت الدوائر السياسية في الدول الغربية تتبني الاستشراق كمؤسسة من مؤسسات الغزو الفكري وتمدّه بكل معونة للتفرغ للدراسات الإسلامية والعربية .

وللاستشراق تعريف آخر وهو : الدراسات التى يقوم بها الغرب لعقيدة الشرق الإسلامي وحضارته ولغاته وآدابه وتاريخه وتقاليده وعاداته ، ونحو ذلك ويقال لمن يشتغل بهذه الدراسات من أهل الغرب مستشرقا ([٢]) .

---

١ - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري أ . د / محمو زقزوق ص (١٨) .

٢ - الاستشراق دوافعه وأغراضه . الخطابة الدينية بين النظرية والتطبيق أ د / عبد الغفار عزيز .

فالمستشرقون هم : الذين يقومون بهذه الدراسات من غير الشرقيين ويقدمون الدراسات اللازمة للمبشرين بغية تحقيق أهداف التبشير وللدوائر الاستعمارية بغية تحقيق أهداف الاستعمار .

وكثير من المستشرقين قساوسة منتظمون في السلك الكنسي. فهم بمقتضى مهنتهم أصحاب مهمّات تبشيرية .

واندس في الاستشراق يهود كثيرون ، ينافقون النصاري ، ويخدمون سرا أهدافا يهودية ضمن المخطط اليهودي العام .

والاستشراق عملية . بدأت منذ عدة قرون . من قوم متعصبين للنصرانية واليهودية . أشد التعصب ، أرادوا أن يعرفوا مصادر المسيحية من اللغة العبرية ، فقاموا بتعلم اللغة العربية لأنها قنطرة اللغة العبرية ، وهم في طريقهم على هذه القنطرة ، وجدوا من الواجب عليهم أن يشككوا المسلمين في دينهم ، فأخذوا في هذه الدراسات يعملون بمقصدين :

الأول : هو معرفة اللغة العبرية عن طريق اللغة العربية . ولذلك لا تكاد تجد مستشرقا ، إلا أجاد اللغة العبرية واللغة العربية معا .

الثاني : هو تشكيك المسلمين في دينهم ، وهو أقوي من الأول وقد وجدوا أنفسهم أحوج إليه في دينهم .

ولم يكن المستشرقون هم أول المشككين للمسلمين في عقائدهم بل كان لهم إخوان سبقوهم في هذا العمل .

فقد كان يوحنا الدمشقي وإخوانه من النصارى في بلاط خلفاء بني أمية يعملون على إدخال الآراء المشككة المحيّرة بين المسلمين . ولقد لقّن يوحنا طائفة كبيرة من أنصاره قصصا وأخبارا مزورة عن النبي (ﷺ) ، وطلب منهم

أن ينشروها ويروجوها بين المسلمين ، كالقصة التى زعموها عن عشق النبي (ﷺ) لزينب زوجة زيد بن حارثه ومما يقطع بكذبهم فيها أنها ابنة عمة النبي (ﷺ) ولو شاء لتزوجها ، وقد زوجها من زيد ، لانه كان قد تبناه قبل تحريم التبني فكان يدعي زيد بن محمد ، ثم نسخت شرعة التبني ، فنسب زيد إلي أبيه حارثة ، فنشأ خلاف بينها وبينه ، بسبب اختلافها في الحسب والنسب ، فكان كلما شاكها إلي النبي (ﷺ) ، قال له : " أمسك عليك زوجك واتق الله " فلما طلقها زيد بعد اشتداد الخلاف بينهما ، تزوجها النبي (ﷺ) بأمر الله له تأكيدا لنسخ شريعة التبني وفي ذلك جاء قوله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا ﴾ (١) .

ولو كان الأمر كما زعم المفترون لتزوجها النبي (ﷺ) وهى بكر ، بدلا من أن يزوجها متبناه ، ثم يتزوجها بعد أن يطلقها ، ولكن الأمر جري بمشيئة الله عز وجل وحكمته ، ومن الحكم في تزوجه بها انه تعالي أراد أن يجعله جبرا لخاطر زينب بعد فشل زواجها من زيد ، الذي كان الرسول (ﷺ) سببا فيه

ونظرا لأن يوحنا الدمشقي المذكور ، إفتري هذه الفرية الأثيمة وأمثالها ، اعتبره النصارى قديسا من قديسيهم لعنه الله كذلك قام ابن يختيشوع النصراني في بلاد خلفاء الدولة العباسية بما قام به يوحنا الدمشقي في الدولة الأموية ، فعمل على تشكيك المسلمين وفتنذ في بعض دينهم بما كان يخترعه ويروجه هو أنصاره (٢) ثم اتسعت الدراسات الاستشراقية لأهداف متعددة ، اقتصادية وسياسية وعسكرية وعلمية وغير ذلك ، واحتل كثير من المستشرقين مراكز

---

١ - الأحزاب : ٣٧ .

٢ - التبشير والاستشراق حملات وأحقاد ص (٣٦) المستشار حمد عزت الطهطاوي .

علمية مرموقة في الجامعات الغربية وأوكل إليهم في هذه الجامعات امر منح الشرقيين في العلوم الإسلامية والعربية الشهادات العليا : (الماجستير والدكتوراه) بغية صناعة حملة شهادات من بلدان العالم الإسلامي . طبق ما يريد المبشرون والمستعمرون .

واستغل اليهود هذا المجال من مجالات الاستشراق استغلالا واسعا ، حتى أمسي عدد وفير من كراسي الأستاذية للدراسات الاستشراقية في الجامعات الغربية يحتله يهود ، يعملون لتحقيق أهداف يهودية ، وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس .

وسائل المستشرقين .

لم يترك المستشرقون وسيلة تؤدي إلي تحقيق أهدافهم ونشر أفكارهم وخططهم إلا اتبعوها وسلكوها ، وقد تفرغ منهم مجموعات متعددة لأداء المهمات الاستشراقية في كل مجال ومن هذه الوسائل :

١ - تأسيس الجامعات العلمية في بلدان العالم الإسلامي خاصة ، وبلدان الشرق عامة ، لتخريج أجيال منسلخة من إسلامها ، ومستعدة لتقبل المذاهب الفكرية المعاصرة الوافدة ، ولكل ما يلقي إليها من أفكار ومبادئ .

٢ - إنشاء الموسوعات العلمية الإسلامية والشرقية بوجه عام ، التى تتناول الشرقيات من جميع جوانب المعرفة ، واتخاذها وسيلة لدسّ الأفكار الاستشراقية السامة التى يريدون دسّها وإقناع أجيال الشعوب الإسلامية بها .

والموسوعة الإسلامية التى أصدرها المستشرقون بعدة لغات ، قد حشد لها كبار المستشرقين ، وأشدهم عداوة للإسلام ، ودسّ فيها السم بالعسل . ونشرت فيها أباطيل كثيرة عن الإسلام والمسلمين . ومن الموسف أنها مرجع لكثير من المثقفين من المسلمين إذ يعتبرونها فيما توردُه من معارف حول قضايا إسلامية . هي فيها غير نزيهة ، لأن كتّابها منحازون ضد معظم قضايا الإسلام والمسلمين . وكذلك الموسوعات العامة : كالموسوعة الفرنسية لاروس " والموسوعة البريطانية .

٣ - كراسي الدراسات الإسلامية والعربية والشرقية بوجه عام في الجامعات الغربية ، وآتخاذها بؤرة لاصطياد أبناء الشعوب الإسلامية ، والتأثير عليهم فكريا وسلوكيا ونفسيا .

٤ – تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام والرسول (ﷺ) والقرآن ، وتاريخ المسلمين ومجتمعاتهم .

٥ – إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام والمسلمين وشعوبهم وبلادهم وكل ما يتعلق بهم .

٦ – عقد المؤتمرات الاستشراقية لتبادل الرأي فيما يحقق أهداف الاستشراق ، وما زالوا يعقدون هذه المؤتمرات حتى الآن .

٧ – عقد المؤتمرات ولقاءات التحاور الرامية إلي بث الأفكار الاستشراقية والترويج لها ، وإقناع مثقفي العالم الإسلامي بها .

٨ – إمداد إرساليات التبشير بالخبراء من المستشرقين ودعمها بما تحتاج إليه من جهودهم وفي معظم مؤلفاتهم كثير من التحريف المتعمد في نقل النصوص ، أو بترها ، أو في فهمها واستنباط المعاني منها ، وفيها أيضا كثير من التحريف في تفسير الوقائع التاريخية ، وتعليل أحداثها .

وغدت هذه الكتب والمؤلفات مرجعاً للمبشرين ، ولكل الدارسين من المسلمين في الجامعات الغربية ، ولكل المستغربين من أبناء الأمة .

٩ – إلقاء المحاضرات في الجامعات ، والجمعيات والأندية العلمية ، ومن المؤسف أن أشدهم خطرا وعداوة للإسلام يستطيعون تحريك الأيدي الخفية لاستدعائهم إلي الجامعات العربية والإسلامية ، لإلقاء المحاضرات التى يتحدثون فيها عن الإسلام ، ويدسّون فيها ما يستطيعون دسّه من أفكار ، رغبة في نشرها والإقناع بها .

١٠ – نشر المقالات في المجالات والصحف المحلية للبلاد الإسلامية ، لبث أفكارهم عن طريقها ، والترويج لها بين المسلمين .

وقد استطاعوا أن يستأجروا عدداً من هذه المجلات والصحف لنشر مقالاتهم ، والترويج لأفكارهم .

كذلك استطاعوا أن يستأجروا كُتَابا وأساتذة جامعيين وغير جامعيين وأدباء وشعراء ، يحملوا أفكارهم من أبناء الشعوب الإسلامية ، وينشرونها بأقلامهم وألسنتهم ، ليكونوا أكثر تأثيراً في الأجيال الناشئة ، وهؤلاء أتباع المستشرقين ، وذيولهم وأجراؤهم ، وعملاؤهم ، من الشرقيين ، فهم شرقيون مستغربون .

١١ - كذلك وجه المستشرقون عناية فائقة لإفساد المرأة المسلمة عن طريق دعوات تحريرها ، وانطلاقها للعمل في شتي حقول المجتمع ، وإعطائها بحسب دعواتهم المضَللة كامل حريتها وكامل حقوقها .

وأثاروا الشبهات حول أحكام الإسلام الخاصة بشأن المرأة ، وافتروا أنواعاً كثيرة من المفتريات .

ولما رأي أعداء الإسلام أن الريف في البلاد الإسلامية ظل بعيدا عن تيار الاستغراب ، تحركوا بخطوات منظمة ، لإفساد الريف بوجه عام وإفساد المرأة فيه بوجه خاص ، فانطلق المستشرقون يخططون عن طريق التعليم في الريف لإقامة ما أسموه (التربية الأساسية) وجاءت التوصيات بضرورة العناية بمراكز (التربية الأساسية) في الريف لتؤدي دورها المرسوم لها ، في إفساد الريف وتغريبه لا سيما المرأة فيه (١) .

---

١ - أجنحة المكر الثلاثة ص (١٤٢) وما بعدها بتصرف ، الفكر الإسلامي الحديث د / محمد البهي ص (٤٣١) .

نماذج من صور نشاطهم المتعدد الجوانب :

- في عام ١٧٨٧ م أنشأ الفرنسيون جمعية للمستشرقين ، وألحقوا بها أخري في عام ١٨٢٠ م وأصدروا المجلة الأسيوية .

- وفى لندن تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية فى عام ١٨٢٢ م واصدرت مجلة الجمعية الأسيوية الملكية .

- وفي عام ١٨٤٢ م أنشأ الأمريكيون جمعية ومجلة باسم (الجمعية الشرقية الأمريكية) ، وفي العام نفسه أصدر المستشرقون الألمان مجلة خاصة بهد كذلك فعل المستشرقون في كل من النمسا وإيطاليا وروسيا .

- من المجلات التى أصدرها المستشرقون الأمريكيون في هذا القرن مجلة جمعية الدراسات الشرقية ، وكانت تصدر في مدينة جامبيز بولاية اوهايو ولها فروع في لندن وباريس وليبزوج وتورنتو في كندا ، طابعها العام طابع الاستشراق السياسي .

- ويصدر المستشرقون الأمريكيون في الوقت الحاضر ، مجلة شئون الشرق الأوسط وكذلك مجلة الشرق الأوسط وطابعها العام طابع الاستشراق السياسي كذلك .

وأخطر المجلات التي يصدرها المستشرقون الأمريكيون في الوقت الحاضر هي مجلة العالم الإسلامي أنشأها صموئيل زويجر في عام ١٩١١ م وتصدر الآن من هارتيفورد بأمريكا ورئيس تحريرها كنت كراج وطابع هذه المجلة تبشيري سافر .

وللمستشرقين الفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة العالم الإسلامي . في روحها واتجاهها العدائي التبشيري واسمها العالم الإسلامى ولعل أخطر ما قام

به المستشرقون حتى الآن هو إصدار دائرة المعارف الإسلامية ، بعدة لغات ، وكذلك إصدار موجز لها بنفس اللغات الحية التى صدرت بها الدائرة ، وقد بدأوا في الوقت الحاضر في إصدار طبعة جديدة تظهر في اجزاء ، ومصدر الخطورة في هذا العمل هو ان المستشرقين عبأوا كل قواهم وأقلامهم لإصدار هذه الدائرة ، وهي مرجع لكثير من المسلمين في دراساتهم ، على ما فيها من خلط وتحريف وتخريف وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين .

واستطاع المستشرقون أن يتسللوا إلي المجمع اللغوي في مصر والمجمع العلمي في دمشق ، والمجمع العلمي في بيروت .

ويعتمد المستشرقون على عقد المؤتمرات العامة من وقت لآخر لتنظيم نشاطهم ، وأول مؤتمر عقدوه كان في عام ١٧٨٣ م وما زالت مؤتمراتهم تتكرر حتى اليوم .

وفي العصر الحديث تقوم المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية في الغرب بما كان يقوم به الملوك والأمراء في الماضي من الإغلاق على المستشرقين وحبس الأوقات والمنح على من يعملون في حقل الاستشراق .

واتجه المستشرقون والمبشرون بمعاونة الاستعمار إلي مجال التربية محاولين غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين ، حتى يشبّوا (مستغربين) فى حياتهم وتفكيرهم ، حتى تخفف فى نفوسهم موازين القيم الإسلامية (١) .

وهذا خطأ فاحش أن يعتمد الكثير من المسلمين في دراستهم علي مثل هذه الموسوعات على ما فيها من غلط وأباطيل خاصة ونحن نعرف حق

---

١ الفكر الإسلامي الحديث د / محمد البهي ص (٤٣٢ ، ٤٣٣) .

المعرفة ان بعض المستشرقين يدسون في كتاباتهم مقداراً خاصاً من السَمّ ويحترسون في ذلك فلا يزيد على النسبة المعينة لديهم حتى لا يستوحش [illegible] ذلك فيه الحذر ولا يضعف ثقته بنزاهة المؤلف . كذلك فان اعتماد الأوساط العلمية والجامعات الشرقية على كتب المستشرقين دليل على ضعف العالم الإسلامي والعربي وفقر وسائلهما العلمية ولابد من أخذ الحيطة والحذر في هذا المجال الخطير (١) .

وإذا عرفنا هذا من جانب أعداء الإسلام والمسلمين فما هو الواجب على المسلمين القيام به تجاه هذا العمل الخطير ؟

أولا : استعراض المؤلفات العلمية للمستشرقين ومحاسبتها في ضوء الحقيقة والواقع وكشف الغطاء عن أخطائهم وتلبيساتهم في فهمهم للنصوص وتوضيح المصادر الضعيفة التى يعتمدون عليها وبيانها للناس حتى يتعرفوا على هذه الفئة الضالة ، ثم بيان النتائج الخاطئة التى يستنبطونها من هذه المصادر الضعيفة وخطرها على الناس وخاصة العامة منهم ، لأن هذه مؤامرة ضد الإسلام والمسلمين يجب التصدي بها .

ثانياً : أن يتولى علماء الإسلام ورجال البحث العلمي والتفكير الكتابة حول الموضوعات العلمية وتنقيتها من الأشياء الضارة ويقدموا للعالم الإسلامي المعلومات الإسلامية الصحيحة ووجهة نظر الإسلام الصحيحة ، مع مراعاة أن تكون كتاباتهم ومؤلفاتهم ممتازة من حيث أصالة التحقيق وسعة الدراسة وعمق النظر وتأكد المصادر وصحتها وأن تكون حاملة لجميع نواحي الإتقان والصحة بعيدة عن الأخطاء والمغالطات والنقائض العلمية (٢) .

---

١ - الإسلام والمستشرقون للشيخ الندوي ص (٢٠) وما بعدها .

٢ - الإسلام والمستشرقون الشيخ الندوي ص (٢٤ ، ٢٥) .

وهذا العمل لو أخلص العلماء فيه فسوف يتحقق لنا الإكتفاء الذاتي في البحث والتأليف وعدم الاعتماد على المستشرقين في بحوثهم ومؤلفاتهم ، وهذا في حد ذاته عمل إيجابي عظيم نرجو ونأمل أن يتحقق ، وعندما تكون المحاسبة العلمية لمؤلفات المستشرقين سوف نكشف من خلالها الغطاء الزائف والحقد الدفين والعداوة للاسلام والمسلمين ثم يظهر في النهاية للناس تهافت هذه المؤلفات والكتب فلا يلتفتون إليها ولا يعيرونها أى انتباه .

أخطر وسائل المستشرقين الفكرية :

ترجع الوسائل الفكرية الرئيسية التي استخدمها المستشرقون لتشويه صورة الإسلام ، وتجزئة المسلمين ، وتشويه تاريخ الأمة الإسلامية ، وتشويه حاضرها ، وخداع أجيال هذه الأمة بنبذ الإسلام ، واتباع مناهج وأساليب الحضارة المادية المعاصرة إلي :

١ – التشكيك في مصادر الدين الإسلامي وصحة نبوة الرسول (ﷺ) .

٢ – إلقاء الشبهات حول أحكام الإسلام التشريعية ومصادرها .

٣ – المغالطات . ٤ – تزيين الأفكار البديلة .

٥ – افتراء الأكاذيب واختراع التعليلات والتفسيرات الباطلة .

٦ – التلطف في دس السموم الفكرية بصورة خفية ومتدرجة ، حتي يبتلعها المغزوّون وهم لا يشعرون ، وقد يأخذونها وهم فرحون ومن هنا نلاحظ في كتاباتهم حول الإسلام والمسلمين ما يأتي :

١ – التشكيك في صحة رسالة النبى (ﷺ) ، فجمهور المستشرقين ينكرون أن يكون محمد (ﷺ) نبينا أوحي الله إليه ، وأنزل عليه كتابا من لدنه ،

ويتخبطون في تفسيرها مظاهر الوحي التى كان يراها أصحابه ، لا سيما عائشة رضى الله عنها ، فمن المستشرقين من يرجع ذلك إلي (صرع) كان ينتاب النبي (ﷺ) حينا بعد حين ، ومنهم من يرجعه الي تخيلات كانت تملأ ذهن النبي (ﷺ) ، ومنهم من يفسرها بمرض نفسي ، إلي غير ذلك .

مع العلم انهم لا ينكرون ظاهرة الوحي في الواقع الإنساني ، لأنهم يعترفون بأنبياء التوراة ، فهم إما يهود أو نصارى ، وكل تفسير سلكوه لظاهرة الوحي عند محمد (ﷺ) يمكن أن تفسر به ظاهرة الوحي عند أنبيائهم الذين يعترفون هم بنبواتهم ، الا أن تعنتاً مبعثه التعصب الديني هو الذي جعلهم يفرقون بين أمرين متساويين تماماً ، فيعترفون بأحدهما ويجحدون الآخر عصبية عمياء .

٢ - والتشكيك في رسالة النبي (ﷺ) يتبعه إنكارهم كون القرآن الكريم كتابا منزلا عليه من عند الله عز وجل ، حين يفحمهم ما ورد في القرآن الكريم من حقائق تاريخية عن الأمم الماضية مما يستحيل صدوره عن أميّ مثل النبي (ﷺ) يزعمون ما زعمه المشركون الجاهليون في عهد الرسول (ﷺ) ، فيقولون : إن محمداً استمد هذه المعلومات من أناس كانوا يخبرونه بها ، ويجعلون القرآن الكريم مأخوذا من كتب أهل الكتاب ، ويتخبطون في ذلك تخبطا عجيبا ، وحين يفحمهم ما جاء في القرآن من حقائق علمية لم تعرف ولم تكشف إلا في هذا العصر ، يرجعون ذلك إلي ذكاء محمد (ﷺ) - وعبقريته الخاصة ، فيقعون في تخبط أشد غرابة من سابقه .

٣ - ومن خلال إنكار رسالة الرسول (ﷺ) وإنكار أن القرآن من عند الله أعلنوا أن الإسلام ليس دينا منزلا من عند الله تعالي ، وإنما هو ملفق من الديانتين اليهودية والنصرانية وهم في هذا يخبطون خبط عشواء ، إذ لا يملكون أى مستند يؤيده البحث العلمي السليم ، جل ما يملكونه ادعاءات تستند

الى وجود نقاط التقاء بين الاسلام والديانتين السابقتين ، الأمر الذي يرجع فى حقيقته إلي وحدة الرسالات الربانية في أصولها الصحيحة ويلاحظ أن المستشرقين اليهود أمثال : جولد تسيهر وشاخت هم أشد حرصاً على إدعاء استمداد الإسلام من اليهودية وتأثيرها فيه .

أما المستشرقون المسيحيون فيجرون وراءهم في هذه الدعوى ، إذ ليس فى المسيحية تشريع يستطيعون أن يزعموا تأثير الإسلام به وأخذه منه وإنما في المسيحية مبادئ أخلاقية وبعض تعديلات تشريعية زعموا أنها أثرت في الإسلام ودخلت عليه منها ، ثم المفروض في الديانات الربانية ألا تتعارض أو تتناقض في أصولها أو مبادئها أو تشريعاتها ، بل المفروض فيها ما دام مصدرها واحد أن تتلاقى وتتفق ويدعم بعضها بعضاً وأن يكون المتأخر منها متمما للسابق ، وهذه حقيقة الدين الرباني الذي أرسل الله عز وجل لتبليغه للناس رسلا تتري ، وختمهم بمحمد (ﷺ) .

٤ – التشكيك في صحة الحديث النبوي الذي اعتمده علماء المسلمين المحققون . ويتذرع هؤلاء المستشرقون بما دخل على الحديث النبوي من وضع ودس ، متجاهلين تلك الجهود التى بذلها علماء المسلمين لتنقية الحديث النبوي الصحيح ، مستندين إلي قواعد بالغة الدقة في التثبيت والتحري ، مما لم يعهد عندهم في ديانتهم عشر معشاره في التأكيد من صحة الكتب المقدسة عندهم .

والذي حملهم على هذا ما رأوه في الحديث النبوي الذي اعتمده علماء المسلمين من ثروة فكرية وتشريعية مدهشة ،وهم لا يؤمنون بنبوة الرسول (ﷺ) فادعوا أن هذا لا يعقل أن يصدر كله عن رجل واحد أمي ، إنما هو عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولي ، فالعقيدة النفسية عندهم ، هي عدم تصديقهم بنبوة محمد (ﷺ) ، ومن هذه العقيدة تنبعث تخبطاتهم وأوهامهم .

٥ – التشكك في قيمة الفقه الإسلامي الذاتية ، ذلك التشريع العظيم الذي لم يجتمع مثله لجميع الأمم في جميع العصور ، لقد سُقط في أيديهم حين اطلاعهم على عظمته وهم لا يؤمنون بنبوة محمد (ﷺ) ، فلم يجدوا بداً من الزعم بأن هذا الفقه مستمد من القانون الروماني أي : انه مستمد من الغربيين ، وقد بيّن علماء المسلمين الباحثون تهافت هذه الدعوى ، وفيما قرره مؤتمر الفقه المقارن المنعقد بلاهاي من أن الفقه الإسلامي فقه مستقل بذاته وليس مستمداً من اى فقه آخر ، ما يفحم المتعنتين منهم ، ويقنع المنصفين الذين لا يبغون غير الحق سبيلا .

٦ – التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي . لتظل الأمة العربية المسلمة عالة على مصطلحات الغربيين ، وبذلك تشعر هذه الأمة بفضل الغربيين وسلطانهم الأدبي والتشكيك في غني الأدب العربي ، وإظهاره على أنه مجدب فقير بغية أن تتجه الأمة العربية المسلمة إلي آداب الغربيين ، وهذا هو الاستعمار الأدبي الذي يبغونه مع الاستعمار العسكري الذي يباشرونه

٧ – تشكيك المسلمين في قيمة تراثهم الحضاري، إذ يدعون أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان ، وأن المسلمين لم يكونوا إلا نقلة لفلسفة تلك الحضارة وآثارها ، ولم يكن لهم إبداع فكري ولا ابتكار حضارى . وحين يتحدثون بشيء من الحضارة الإسلامية وحسناتها ، فإنما يذكرونها على مضض ونقص كبير .

٨ – إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم ، وبث روح الشك في كل ما بين أيديهم من قيم وعقيدة ومثل عليا ، وليسهل على الاستعمار المباشر وغير المباشر تشديد وطأته عليهم ، ونشر ثقافته الحضارية فيما بينهم فيكونوا عبيدا لها . يجرهم حبها إلي حبهم أوالي إضعاف روح المقاومة في نفوسهم .

٩ - إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم وذلك عن طريق إحياء القوميات القديمة ، وإثارة النعرات بين شعوبهم ، وإقامة الحواجز المصطنعة بين بلدانهم وأقاليمهم ، وإقامة العقبات الكثيرة دون تقاربهم ، ووحدة كلمتهم ، ووحدة صفهم ، والعمل على تعميق تجزئتهم فى دويلات صغيرة متعادية ومتناحرة وفيما يلي أمثلة من افتراءاتهم :

١ - فريتهم المفضوحة التى زعموا فيها أن محمداً (ﷺ) اخذ القرآن عن بحيرا الراهب فى بصري الشام ، حين سافر مع عمه أبى طالب إلي الشام وهو غلام .

نقول في الرد على هذه الفرية : لو كان بحيرا هو المعلم لرسول الله ﷺ لا قتضي الأمر سنين وأيام من اللقاءات ، ولكانت الأخبار شائعة عن هذه اللقاءات . ولكان أولي ببحيرا أن يعلن أستاذيته لرسول الله (ﷺ) حتى ينال شرفا عظيما أو كان الأحرى به أن يدعي النبوة بدل الرسول (ﷺ) ، لكن كل ما فى الأمر أن بحيرا كان لديه بشارات صادقة عن ظهور نبي آخر الزمان مما صح فى الكتب السابقة قبل تحريفها ومنها الإنجيل الصحيح ، فخشي على رسول الله (ﷺ) لما علم مطابقة الصفات للذات النبوية الشريفة فأشار على أبي [illegible] خشية اعتداء اليهود عليه .

هذا هو المفهوم من إشارة بحيرا . لكن المستشرقين يلتمسون أى لقطة ليعولوا عليها في تبرير هدي الرسالة الإلهية الإسلامية على يد رسول الله ﷺ . ويذهبون كل مذهب إلى نفي الإقرار بنزول الوحي عليه صلوات الله وسلامه عليه وهيهات أن تقوم لهم حجة ، ثم إن لقاء الرسول (ﷺ) ببحيرا الراهب كان كما هو ثابت في كتب السيرة في سن الطفولة ، فلم يكن تجاوز اثنى عشرة سنة وهو مجرد لقاء عابر أشار فيه بحيرا على أبي طالب أن يرجع بابن أخيه

إلي مكة عندما كان معه في التجارة إلي الشام وما عسي أن يصنع لقاء في سن الثانية عشر حتى تتمخض عنه هذه الرسالة الجليلة .

٢ – يحاول فريق من المستشرقين إقناع العالم الغربي ، والذين يتأثرون بهم من الشعوب الأخرى ، ومن الجهلة من أبناء المسلمين ، بأن الإسلام شكل جديد لدين الوثنية وأن محمدا (ﷺ) نصب تمثاله الذهبي في الكعبة المكرمة بعدما أخرج منها التماثيل والأصنام القديمة وكسّرها . وهذه فرية ظاهرة جداً لا يقبلها من الغربيين أنفسهم ، من اطلع على القدر اليسير من الأصول الإسلامية الأصلية

دوافع المستشرقين

من الممكن أن نتلمس دوافع المستشرقين وأهدافهم من خلال أعمالهم ومما حققوه من أهداف ، ومن النظر إلي صلة الاستشراق بالتبشير بالنصرانية ، وإلي صلته بالاستعمار ، مع العلم بأن الدوافع تلتقي مع الأهداف ، باعتبار أن الدافع يمثل المحرض النفسي لاتخاذ الوسائل التى توصل إلي الأهداف القائمة من العمل

دوافع المستشرقين كثيرة منها :

١ – الدافع الديني أو المذهبي ضد الإسلام والمسلمين :

من المعلوم أن الاستشراق بدأ بالرهبان والقساوسة النصاري ثم استمر بعد ذلك ومعظم المستشرقين من رجال الكهنوت المسيحي وكان هؤلاء مدفوعين بدافع الانتصار للنصرانية ، والرغبة بتنصير المسلمين الذين اكتسحوا سبراطوريتهم . واستطاع دينهم الحق أن يغلب النصرانية المحرفة في نفوس اتباعها .

واتجه هؤلاء المستشرقون للطعن في الإسلام ، وتشويه محاسنه وتحريف حقائقه . بغية إقناع جماهيرهم التى تخضع لزعامتهم الدينية ، بأن الاسلام دين لا يستحق الانتشار ، وبأن المسلمين قوم همج لصوص ، سفاكو دماء ، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي

وفي العصر الحاضر اشتدت حاجتهم إلي هذا الهجوم بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة النصرانية عند الغربيين ، وأخذ تشككهم بكل التعاليم التى كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم يزداد ، فلم يجدوا وسيلة أجدي من تشديد الهجوم على الإسلام ، لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة ، وهم يعلمون ما تركته الفتوحات

الإسلامية الأولى . ثم الحروب الصليبية ، ثم الفتوحات الإسلامية العثمانية في أوربا بعد ذلك في نفوس الغربيين من خوف شديد من قوة الإسلام ، ومن كره لأهله ، فاستغلوا هذا الجوّ النفسي ، وازدادوا نشاطا في الدراسات الإسلامية وحين قامت جمعيات التبشير ، ووضعت من أهدافها تحويل المسلمين عن دينهم إلي النصرانية أوالي اللادينية والإلحاد الكامل ، كانت دوافع الاستشراق لدي المبشرين وأنصارهم ومؤيديهم هي دوافع التبشير نفسها وهي تتلخص في:

١ – الرغبة الملحة في سلخ المسلمين عن دينهم .

٢ – محاولة إدخالهم في النصرانية أو إبقائهم ملاحدة لا دين لهم حتى يكونوا أطواع للدوّل النصرانية الطامعة باستعمار بلاد المسلمين واستغلال خيراتها .

الهدف هو : إخراج المسلمين عن دينهم ، فإن أمكن تنصيرهم فذاك ، وإلا فإبقاؤهم لا دين لهم مطلقا هدف مرجوّ يحقق للنصاري منافع ومصالح سياسية واقتصادية واستعمارية وقد اتخذوا وسائل كثيرة لإخراج المسلمين عن دينهم منها:

١ – تنفير المسلمين من دينهم وحملهم على كراهيته .

٢ – تشويه الإسلام ، والتشكيك في أسسه وتوجيه المطاعن له .

٣ – تشويه التاريخ الإسلامي ، وتشويه حضارة المسلمين ، وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث .

٤ – نبش الحضارات القديمة وإحياء ومعارفها ، وبعث الطوائف الضالة والحركات الهدامة القديمة .

٥ – تزيين ما في المسيحية من تعاليم وأحكام .

٦ – استدراج المسلمين للأخذ بالحضارة المادية الحديثة أو ما فيها من مغريات للنفوس ، ومرضيات للأهواء ، وآسرات للشهوات وباهرات للنظر .

٧ – إدعاء أن الفقه الإسلامي مقتبس من القانون الروماني .

٨ – إدعاء أن أحكام الشريعة الإسلامية لاتتلائم مع التطور الحضاري .

٩ – الدعوة إلي نبذ اللغة العربية وتبديل طريقة كتابتها ([1]) .

٢ – الدافع الاستعماري :

لم ييأس الصليبيون بعدما لحق بهم من هزيمة في الحروب الصليبية من العودة إلي احتلال بلاد العرب وسائر بلاد المسلمين فاتجهوا لدراسة هذه البلاد ، في شئونها وما يتعلق بها من عقيدة ، وعادات وتقاليد وأخلاق وثروات ولغات وتاريخ ، وغير ذلك مما يتعلق بها من جغرافية وسكان . والهدف من ذلك هو أن يتعرفوا على مواطن القوة فيها فيضعفوها ، وعلى مواطن الضعف فيغتنموها . وعندما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية ، وكان من دوافع الدراسات الاستشراقية الرغبة بإضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين ، وبثّ الوهن والارتباك في تفكيرهم ، وكان لهم في ذلك وساوس كثيرة . تسللوا بها إلي نفوس أبناء المسلمين ومن هذه الوساوس :

١ – التشكيك بفائدة ما في أيدي المسلمين من تراث ، وبما عندهم من عقيدة وشريعة وقيم إنسانية .

---

١ – أجنحة المكر الثلاثة عبد الرحمن الميداني ص (١٢٦ ، ١٢٧) .

والهدف من ذلك أن يفقدوا ثقتهم بأنفسهم ، ويرتموا في أحضان الغرب ، يستجدون منه المقاييس الأخلاقية ، والمبادئ والعقائد والحلول لمساككهم الحياتية والعادات والتقاليد وأنواع السلوك ، ليتم للغرب بذلك إخضاع المسلمين لحضارته وثقافته خضوعاً تاماً .

٢ – إحلال مفاهيم جديدة ، أو إحياء مفاهيم جاهلية ماتت منذ أن تمكن الإسلام من قلوب المسلمين ، كالقوميات الفرعونية ، والفينيقية ، والآشورية ، والعربية ، والكردية ، والتركية ، والفارسية ، ونحو ذلك ليتسنى لهم تشتيت شمل الأمة الإسلامية الواحدة ، التى تجمعها رابطة واحدة ، هي وحدة الدين الذي يهيمن على جميع مشاعر الإنسان الداخلية ، وسلوكه الظاهر .

وللاستشراق الذي يقوم به الشيوعيون دافع مشابه ، وهو دافع يطمع [illegible] على بلاد المسلمين .

ما هو الهدف من وراء هذا الدافع .

الهدف هو:السيطرة على بلدان العالم الإسلامي ، وعلى الشعوب الإسلامية . طمعا في استغلال الأرض ، واستعباد الناس ، والسيطرة الكاملة على كل شيء ، وسيلة لتحقيق أهواء النفوس وشهواتها ، وأن يكون لها العلوّ في الأرض .

ومما يؤكد صلة الاستشراق بالاستعمار وأنه كان وما يزال في خدمته وانه وسيلة لتحقيق أغراضه ، وأنه بعد هزيمة الصلبين كانت الحركة [illegible] [illegible] لنفس هدف الحروب الصليبية كبديل لها . فقد ظهرت وثيقة تلقي الضوء على تحول الصليبية من الغزو العسكري إلي الغزو الفكري ، وهذه الوثيقة تتضمن وصية القديس لويس ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية الثامنة التى انتهت بالفشل والهزيمة ، ووقوع لويس في أسر المصريين في مدينة

المنصورة وقد بذل لويس فدية عظيمة للخلاص من الأسر ، وبعد أن عاد إلي فرنسا أيقن أنه لا سبيل إلي النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية لأن تدينهم بالإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل النفس في سبيل الله ، وأنه لابد من سبيل آخر وهو تحويل التفكير الإسلامي وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكري بأن يقوم العلماء الأوربيون بدراسة الحضارة الإسلامية ليأخذوا منها السلاح الجديد الذي يغزون به الفكر الإسلامي (١)

ومن هنا نري كيف تحولت المعركة من ميدان السلاح إلي ميدان الفكر والعقيدة ، حيث وجد الأعداء أن الميدان الثاني وهو ميدان الفكر والعقيدة أجدي وأنفع في معركتهم مع الإسلام والمسلمين ، وقد نفذت أوربا كلها ذلك بكل ما اوتيت من قوة وبطش ، ومحاولة بكل الطرق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين وبثّ الضعف والوهن في تفكيرهم حتى يتسني لهم ما يريدون الوصول إليه وصدق الله حيث يقول : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٢) .

٢ – الدافع السياسي :

بعد تحرر البلاد الإسلامية من الاستعمار الغاشم ، رأت الدوائر الاستعمارية أن حاجتها السياسية تقضي بأن يكون لها في سفارتها وقنصلياتها . ومندوبيها في الأمم المتحدة ، وسائر المؤسسات الدولية ، من لديهم خبرة ودراية بالدراسات الاستشراقية وذلك ليؤدوا لهم مهارات سياسية في بلاد المسلمين ومرتبطة بالشعوب الإسلامية .

---

١ - أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي د / على محمد جريشة . محمد شريف الزيبق ص (١٩) أجنحة المكر الثلاثة عبد الرحمن الميدان ص (١٢٧) .

٢. سورة الصف : ٨ .

وقد اتبعوا في ذلك ما يلي :

١ – الاتصال بالسياسيين والتفاوض معهم ، لمعرفة آرائهم واتجاهاتهم .

٢ – الاتصال برجال الفكر والصحافة للتعرف على أفكارهم وواقع بلادهم

٣ – بث الاتجاهات السياسية التى تريدها دولهم ، فيمن يريدون بثها فيهم وإقناعهم بها .

٤ – الاتصال بعملائهم وأجرائهم الذين يخدمون أغراضهم السياسية داخل شعوب الأمة الإسلامية .

وكم بثّ حاملو هذا الدافع في شعوب المسلمين من أفكار؟ وكم دسّوا من دسأس ؟ وكم استخدموا من أجراء لإثارة الفتن وإقامة ثورات وانقلابات عسكرية ؟ إلي غير ذلك من أعمال (1) ما هو الهدف من وراء هذا الدافع ؟

الهدف هو : تحقيق غايات سياسية ، تريدها الدول الموجهة لهذا النوع من الدارسات الاستشراقية لتسير العالم الإسلامى فى أفلاكها .

وفى البلاد المستعمرة كانوا يعلمون الموظفين التابعين لهم لغات تلك البلاد وأدابها ودينها ، وذلك لكي يعرفوا كيف يسوسون هذة البلاد المستعمرة ويحكمونها . وهذا يؤكد لدينا مدي علاقة الاستشراق بالاستعمار سواء كان قبله أم بعدد ولتوضيح ذلك أن أول جماعة أسست لخدمة الاستشراق والانتفاع بجهد رجاله سياسياً قامت في فرنسا سنة ١٧٨٧ م تحت إشراف وزارة المستعمرات (2) .

---

١ – أجنحة المكر الثلاثة عبد الرحمن الميدان ص (١٢٩)

٢ الاستشراق د / محمود زقزوق ص (٧٤) .

٤ - الدافع الاقتصادي :

من الدوافع التى حرضت كثيرا من الغربيين على الدراسات الاستشراقية . رغبتهم في غزو البلاد الإسلامية غزوا اقتصاديا بهدف الاستيلاء على الاسواق التجارية . والمؤسسات المالية المختلفة . والاستيلاء على الثروات الارضية . واستغلال الموارد الطبيعية ، والحصول عليها بأبخس الأثمان . وإماتة الصناعات المحلية القديمة ، لتكون بلاد المسلمين بلاد استهلاك لما تصدره المصانع الآلية الغربية ، وضمن هذا الدافع وجهت المؤسسات الاقتصادية الغربية ، ومن يهتمون بالدراسات الاستشراقية ليكونوا وسطاء لهم ورسلهم ومستشاريهم والمترجمين لهم فى مهماتهم ومطالبهم الاقتصادية . فاتجه فريق الغربيين لهذه الدراسات . طمعا في ان يجدوا أعمالهم لدي المؤسسات الاقتصادية وظهر فريق أيضا من الباحثين العلميين أهتم بالدراسات الاستشراقية ليقوم بنشر كتب التراث الإسلامي ، والاستفادة من نشرها في تحصيل الثروات التي يحصل عليها الناشرون عادة .

وهكذا صارت الدراسات الاستشراقية وسيلة من وسائل كسب المال لكثير من المستشرقين .

ما هو الهدف من وراء هذا الدافع ؟

الهدف هو : تحصيل الأموال والمطامع الاقتصادية .

٥ - الدافع العلمى النزيه :

هناك نفر قليل جدا من المستشرقين أقبلوا على الدراسات الاستشراقية وثقافاتها ، ولغاتها ، وكان هؤلاء النفر القليل من المستشرقين أقل من غيرهم خطأ فى فهم الإسلام وتراثه ، لأنهم لم يكونوا يتعمدون أن يدسوا أو يحرفوا .

ومن هنا جاءت بحوث هؤلاء المستشرقين أقرب إلي الحق ، وإلي المنهج العلمي السليم ، من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين بل منهم من اهتدي بدراسته إلى الحق والإسلام وآمن به ، وانتمي إلى الأمة الإسلامية

ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء المستشرقين قلّما يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلي الدراسات الاستشراقية بأمانة وإخلاص ، لأن أبحاثهم المجرّدة عن الهوى الجانح لا تلقي رواجا ، لا عند رجال الدين ، ولا عند رجال السياسة ، ولا عند عامة الباحثين الغربيين .

بل إن كثيرا منهم يتعرضون لمضايقات ومقاومات شديدة ، من قبل رجال الدين ، ورجال السياسة في بلدانهم .

ومن المعروف أن الاستشراق النزيه الراغب بالبحث العلمي الحيادي المتجرد عن الهوى ، لا يد ر على مرتاديه مكاسب ومغانم ، ومن هنا ندر وجود هؤلاء المستشرقين المرتادين في أوساط المستشرقين بصفة عامة .

ما هو الهدف من وراء هذا الدافع ؟

الهدف هو:إشباع فهم علمي متجرد عن الهوي ، وتحصيل معرفة صحيحة تتصل بأمة ذات علم ، وحضارة أصيلة .

وملاحظ أن هؤلاء المستشرقين مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق إما : لجهلهم بأساليب اللغة العربية .

وإما : لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية على حقيقتها . فيتصورونها كما يتصورون مجتمعاتهم ، ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والزمنية التي

تفرق بين الأجواء التاريخية التى يدرسونها ن وبين الأجواء الحاضرة التى يعيشونها .

ومن هؤلاء المستشرقين من يعيش بقلبه وفكره في جو البيئة التى يدرسها . فيأتي بنتائج من الحق والصدق والواقع ، ولكنهم مع ذلك يلقون عنتا ومشقة من سائر المستشرقين ، إذ سرعان ما يتهمونهم بالانحراف عن النهج العلمى ، أو الانسياق وراء العاطفة ، أو الرغبة في مجاملة المسلمين والتقرب إليهم ، كما فعلوا مع (توماس أرنولد) حين أنصف المسلمين في كتابه العظيم : الدعوة إلي الإسلام . فقد برهن فيه على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين ، على عكس مخالفيهم معهم ، هذا الكتاب الذي يعتبر من أدق وأوثق المراجع في تاريخ التسامح الديني في الإسلام . يطعن فيه المستشرقين المتعصبون بان مؤلفه كان مندفعا بعاطفة قوية من الحب والعطف على المسلمين ، مع أنه لم يذكر فيه حادثة إلا أرجعها إلي مصدرها .

ومن هؤلاء المستشرقين من يؤدي به البحث الخالص لوجه الحق إلى اعتناق الإسلام والدفاع عنه في أوساط أقوامهم الغربيين ، كما فعل المستشرق الفرنسي (دينيه) الذي عاش في الجزائر فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامه ، وتسمي باسم (ناصر الدين دينيه) وألف مع عالم جزائري كتابا عن سيرة الرسول (ﷺ) . وله كتاب : أشعة خاصة بنور الإسلام ، بيّن فيه تحامل قومه على الإسلام ورسولة (ﷺ) وقد توفي هذا المستشرق في فرنسا ، ونقل جثمانه إلى الجزائر ودفن فيها . ومن هؤلاء المستشرقين أيضا المستشرق (عبد الكريم جرمانوس) وهو عالم مجري اعتنق الإسلام في الهند عام ١٩٣٠ م وعاش خمسا وتسعين سنة ، وكان يتمنى أن يعيش مائة عام ، لأن اللغة العربية في رأيه تحتاج إلي مائة سنة لفهمها ، كان عضوا في المجمع اللغوي

في القاهرة ، أحب الإسلام واللغة العربية وخدمها . وألّف أكثر من مائة وخمسين كتاباً عن الإسلام منها :

١ – الله أكبر .　　　　٢ – الحركات الحديثة في الإسلام .

٣ – شوامخ الأدب العربى .　　　　٤ – معانى فى القرآن .

٥ – دراسات في التركيبات اللغوية العربية .

كذلك من هؤلاء المستشرقين الطبيب الفرنسي (موريس بوكاي) صاحب كتاب (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) الذي أثبت فيه موافقة ما جاء في القرآن الكريم لأحدث الحقائق العلمية التي توصل إليها الناس بوسائلهم ، بخلاف ما في الكتب التي يزعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى أنها مقدسة [١]

---

١ - أجنحة المكر الثلاثة عبد الرحمن الميدان ص (١٢٩) وما بعدها باختصار .

موازين البحث عند المستشرقين

من الأمور الغريبة والعجيبة أيضا أن يعتمد جمهور المستشرقين في تحرير أبحاثهم وخاصة المتعلقة بالإسلام والشريعة الاسلامية على منهج غريب وميزان عجيب لا يليق إطلاقا بالباحث وهو الخضوع للأهواء وعدم التجرد للبحث ، فمن المعروف أن العالم المخلص يتجرد عن كل هوي وميل شخصي فيما يريد البحث عنه ويتابع النصوص والمراجع الموثوق بها ، إلا أن أغلب هؤلاء المستشرقون يضعون في أذهانهم فكرة معينة يريدون تصيد الأدلة لإثباتها ولا يهمهم بعد ذلك صحة هذه الأدلة أو عدم صحتها ولكن الذي يهمهم في المقام الاول هو الاستفادة منها لدعم آرائهم . وكثيرا ما يعتمدون على الوهم المجرد لتفسير الأمور . وهذا بلا شك مخالف لأصول وقواعد البحث العلمي .

ولكي يزداد الأمر وضوحا نذكر فيما يلي طائفة من الأمثلة التي تكشف هذه الموازين عند المستشرقين حينما يكتبون في الإسلام وتاريخ المسلمين :

١ – في محاولة المستشرق المجري (جولد تسيهر) لإثبات ما زعمه بأن الحديث النبوي في مجموعة من صنع القرون الثلاثة الأولى للهجرة وليس من قول الرسول (ﷺ) ، ادعي أن أحكام الشريعة لم تكن معروفة لجمهور المسلمين في الصدر الاول من الإسلام . وأن الجهل بها وبتاريخ الرسول (ﷺ) كان لاصقا بكبار والأئمة وقد حشد لذلك بعض الروايات الساقطة التافهة من ذلك ما نقله عن كتاب (حياة الحيوان) للدميري ، من أن أبا حنيفة رحمه الله لم يكن يعرف هل كانت معركة بدر قبل أحد أم كانت أحد قبلها !! .

ومما لا شك فيه أن اقل الناس إطلاعا على التاريخ يرد مثل هذه الرواية . فالإمام أبو حنيفة وهو من اشهر أئمة الإسلام الذين تحدثوا عن أحكام الحرب

في الإسلام حديثا مستفيضا وذلك في فقهه الذي أثر عنه ، وفي كتب تلاميذه الذين نشروا علمه كالغمام أبي يوسف ومحمد ، من غير المعقول بحال من الأحوال أن يكون جاهلا بوقائع سيرة الرسول (ﷺ) ومغازيه ، وهي التي استمد منها فقهه في أحكام الحرب ، ويكفي ذكر كتابين في فقهه في هذا الموضوع يعتبران من أهم الكتب المؤلفة في التشريع الدولي في الإسلام .

أولاً : كتاب الرد على سير الاوزاعي لأبي يوسف رحمه الله .

ثانياً : كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن رحمه الله ، وقد شرحه السرخسي وهو من أقدم وأهم مراجع الفقة الإسلامي في العلاقات الدولية . وقد طبع هذا الكتاب تحت إشراف جامعة الدول العربية برغبة من جمعية محمد بن الحسن الشيباني للحقوق الدولية .

وفي هذين الكتابين يتضح إلمام تلاميذ الإمام أبي حنيفة ، وهم حاملو علمه - بتاريخ المعارك الإسلامية في عهد الرسول (ﷺ) وعهد خلفائه الراشدين رضي الله عنهم .

وجولد تسيهر المستشرق المجري لا يخفى عليه أمر هذين الكتابين وكان بامكانه لو كان منصفاً وأراد الحق لذات الحق أن يعرف وما إذا كان الإمام أبو حنيفة جاهلا بسيرة الرسول (ﷺ) أو عالماً بها ، من غير أن يلجأ إلى رواية الدميري في كتابه (حياة الحيوان) والدميري هذا ليس مورخا . وكتابه يظهر من عنوانه ليس كتاب فقه ولا كتاب تاريخ ، وإنما المؤلف يحشر فيه كل ما يري إيراده من حكايات ونوادر تتصل بموضوع كتابه ، من غير بحث عن صحتها . ولا يخفي ما كان بين أبي حنيفة ومعاصريه ومقلديهم من بعدهم من خصومة فى المنهج الاجتهادي الذي اعتمده الإمام ، وقد كانت هذه الخصومة مادة دسمة لرواة الأخبار ومؤلفي كتب الحكايات والنوادر ، لنسبة حوادث

وحكايات . منها ما يرفع من شان الإمام أبي حنيفة ، ومنها ما يضع من سمعته . وأكثرها ملفق مختلق ، موضوع للمسامرة والتندر من قبل محبيه أو كارهيه على السواء ، الأمر الذي يجعلها عديمة القيمة العلمية في نظر العلماء والباحثين

فهذا المستشرق المجري جولد تسيهر : أعرض عن كل ما دُوِّن من تاريخ الإمام أبي حنيفة تدويناً علمياً ثابتاً . واعتمد رواية مكذوبه ليدعم بها ما تخيله من أن السنة النبوية الشريفة من صنع المسلمين في القرون الثلاثة الاولى .

وهكذا ومن خلال هذا النموذج يتضح لنا أن جولد تسيهر ، قد اتخذ لنفسه منهجاً غريباً وميزاناً عجيباً ليصل إلي هدفه المسموم وهو الطعن في الاسلام والتراث الإسلامى .

٢ - يحاول المستشرقون أن يؤكدوا تعالى العرب الفاتحين عن المسلمين الأعاجم وانتقاصهم من مكانتهم ، وغرض المستشرقين من هذا إفساد قلوب المسلمين من غير العرب على المسلمين من العرب ، لإقامة الحواجز القومية منهم .

وفى هذا يقول المستشرق (بروكلمان) في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية : وإذا كان العرب يؤلفون طبقة الحاكمين فقد كان الأعاجم من الجهة الثانية هم الرعية أي : القطيع وجمعها رعايا كما يدعوهم ، وهو تشبيه سام قديم كان مألوفا حتى عند الآشوريين .

لقد تجاهل هذا المستشرقين جميع الوثائق التاريخية التى تؤكد عدالة الفاتحين المسلمين . ومعاملتهم أفراد الشعب على السواء ، من غير تفرقة بين عربى وغيره ، وتعلق بلفظ (الرعية) تعلقا لغويا ، واستنتج منها أن

المسلمين نظروا إلي الأعاجم نظر القطيع من الغنم ، ولو رجعنا إلى المعاجم اللغوية لوجدنا أن مادة (رعى) فى قواميس اللغة تقول كما يلى : الراعى . الوالي . والرعية : العامة ورعي الأمير رعيته رعاية وكل من ولي أمر قوم فهو راعيهم . وهم رعيته . فعيلة بمعنى مفعول . وقد استرعاه اياهم استحفظه ، واسترعيته الشيء فرعاه ، فالراعي في اللغة يطلق على رئيس القوم وولي أمرهم . كما يطلق على راعي الغنم . والرعية تطلق في اللغة على القوم . ومن معاني الرعاية الحفظ والإحسان . فاطلاق لفظ الرعية على القوم وضع لغوي . ولم يجعل المسلمون إطلاق هذه الكلمة خاصا بالأعاجم بل اطلاقها شامل كل قوم عربا كانوا أم عجما تبعا للوضع اللغوي والأحاديث في ذلك معروفة . منها قول الرسول (ﷺ) في الحديث الصحيح الذي رواه الامام البخارى وغيره : " الا كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته . والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته . والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم . وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه . ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"

قال الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري شرح صحيح البخاري لدي شرحه هذا الحديث : والراعي : هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما أونمن على حفظه . فهو مطلوب بالعدل فيه والقيام بمصالحه .

وقد جاء أيضا إطلاق على المسلمين فى الحديث الذي رواه البخارى وغيره : " ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة " .

فكيف أغمض هذا المستشرق بروكلمان عينيه عن هذا كله ، واستجاز لعلمه أن يدّعي بأن المسلمين نظروا إلي الأعاجم نظرة القطيع وأنهم أطلقوا عليهم وحدهم لفظ الرعية ؟

أليس هذا يعتبر خيانة علمية . وتضليلا مكشوفا ؟

أين ادّعاؤه هذا من النصوص الكثيرة التى ألغت الفوارق القومية والعرقية واللونية ، وجعلت المسلمين جميعا سواسية في الحقوق العامة .

عن الهوي الجانح والغرض المريض يعميان البصائر عن رؤية الحق ويصمّان الآذان عن سماعه .

٣ - أعرض المستشرق : جولد تسيهر عما أجمعت عليه كتب الجرح والتعديل وكتب التاريخ من صدق الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري رحمه الله ، وورعه وأمانته ودينه ، وزعم أن الزهري لم يكن كذلك ، بل كان يضع الحديث للأمويين . وهو الذي وضع حديث : " لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد " لعبد الملك بن مروان . وكل حجته أن هذا الحديث من رواية الزهري وأن الزهري كان معاصرا لعبد الملك بن مروان .

" كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا "

٤ - زعم المستشرق (مايور) كما نقله عنه (مرجليوث) أن أهل البدو كانوا كثيري الاهتمام بتعلم البلاغة وطلاقة اللسان فلا يبعد أن النبي (ﷺ) مارس هذا الفن حتى نبغ فيه وهذا الزعم لهذا المستشرق يعطينا صورة واضحة عن موازين البحث الفاسدة عند هؤلاء . حينما يبحثون المسائل المتعلقة بالاسلام والتراث الإسلامي .

إن المسألة هنا عند (مايور) تقوم على استنتاج وهمي من أمر لم يقع . فلا العرب كانوا يتعلمون البلاغة ، ولا كانت لهم مدارس وأساتذة يضعون قواعدها . ولا النبي (ﷺ) عرف عنه قبل النبوة فعل ذلك . وليس بين ايدينا نصّ واحد يثبته . بل إن المؤكد أن الرسول (ﷺ) لم ينقل عنه أثر من نثر أو وشعر قبل النبوة . وقبل أن ينزل عليه القرآن الكريم .

د - يفرط المستشرقون فى اختراع العلل والأسباب والحوادث التى يدرسونها اختراعا ليس له سند الا التخيل والتخبط ويزيد في فساد أسلوبهم هذا ، أنهم يتخيلون أحداث الشرق والعرب والمسلمين وعاداتهم وأخلاقهم ، بأوهامهم وخيالاتهم الغربية البعيدة عن واقع حال الشرق والعرب والمسلمين ، ولا يريدون أن يعترفوا بان لكل بيئة مقاييسها وأذواقها وعاداتها ولقد أحسن المستشرق الفرنسي المسلم (ناصر الدين دينيه) في حديثه عن أسلوب المستشرقين وموازينهم في الحكم على الأشياء مما جعلهم يتناقضون فيما بينهم تناقضا واضحا في الحكم على شيء واحد ، كل ذلك لأنهم حاولوا أن يحللوا السيرة المحمدية وتاريخ ظهور الإسلام بحسب العقلية الأوربية فضلوا بذلك ضلالا بعيدا ، لأن هذا غير هذا ، ولأن المنطق الأوربى لا يمكن أن يأتى بنتائج صحيحة في تاريخ الأنبياء الشرقيين ثم قال : إن هؤلاء المستشرقين الذين حاولوا نقد سيرة النبي (ﷺ) بهذا الأسلوب الأوربي لبثوا ثلاثة أرباع قرن يدققون ويمحصون بزعمهم ، حتى يهدموا ما اتفق عليه الجمهور من المسلمين من سيرة نبيهم (ﷺ) وكان ينبغي لهم بعد التدقيقات الطويلة العريضة العميقة أن يتمكنوا من هدم الآراء المقررة والروايات المشهورة من السيرة النبوية ، فهل تسنى لهم شيء من ذلك ؟

الجواب : أنهم لم يتمكنوا من إثبات أقل شيء جديد ، بل إذا أمعنا النظر فى الآراء الجديدة التى أتى بها هؤلاء المستشرقون من فرنسيين وإنجليز

وألمان وبلجيكيين وهولنديين وغيرهم لا نجد إلا خلطا وخبطا ، وإنك لتري كل واحد منهم يقرر ما نقضه غيره من هؤلاء المدققين بزعمهم أو ينقض ما قرره . (١)

هذا ومن الممكن تلخيص موازين البحث عند المستشرقين :

١ – تحكيم الهوى ونزعات العداء لإسلام والمسلمين ، والتعصب الأعمي للنصرانية . وللشعوب والأمم المنتمية إليها .

٢ – وضع الفكرة مقدما ثم البحث عن أدلة تؤيدها مهما كانت هذه الأدلة ضعيفة وواهية ، ولو اضطرهم الأمر إلي اعتماد أسلوب المغالطات والأكاذيب ، واقتطاع النصوص ، وهذا عكس المنهج العلمي الاستدلالي السليم .

٣ – تفسير النصوص والحوادث والوقائع والنيات والغايات تفسيرات لا تتفق مع دلالها وإماراتها الحقيقية ، ولا مع النتائج التي أثبتها تاريخ الامة الإسلامية .

٤ – تضخيم الأخطاء الصغري وجعلها تطغي على ساحة صورة تاريخ المسلمين ، وطمس الرائعة المشرقة فى هذا التاريخ .

٥ – تجميع الهفوات التى لا تخلو منها أمة مهما عظمت كمالاتها ، ووضعها فى صورة واحدة ، وتقديمها على أنها هي كل صورة تاريخ المسلمين

٦ – تصيد الشبهات التى يشتبه وجه الحق فيها على كثير من الناس ، ولا يستبين لهم ما لم يمتحنوها بالتجارب الطويلة ، وإثارة الانتقادات حولها ،

---

(١) من كتابه : إنك في واد وإنا لفي واد الذي ألفه في الرد على الأب : لامنس اليسوعي نقلا عن مقدمه حاضر العالم الإسلامي للأمير شكيب أرسلان ١ / ٣٣ .

وتحريك الزوابع المملوءة بالغبار وما تحمله من قمامات وفي ذلك يستغلون انانيات النفوس وأهواءها وشهواتها . ويستغلون شعارات خادعة براقة المظهر . زخرفية القول ، كشعار حرية المرأة .

٧ – اعتماد ما يوافق هواهم من كل خبر ضعيف ، ورأي مردود شاذ . وقول ساقط لا سند له من عقل ولا نقل صحيح .

٨ – رفض الحق بالنفي المجرّد ، الذي لا يدعمه دليل صحيح مقبول في المنهج العلمي السليم .

٩ – تفسير التاريخ الإسلامي ، والحضارة الإسلامية بالمنظار الذي يفسرون به التاريخ الغربي والحضارة الغربية ، مع تباين الواقعين عقيدة ونظاما وشريعة وبيئة ودافع تباينا كليا .

١٠ – استنباط القواعد الكلية العامة من الحوادث الفردية الجزئية ، التى لا يصح تعميمها .

١١ – الاعتماد على الوهم المجرّد لتفسير الأمور والوقائع .

١٢ – قياس المؤمن الذي يخشى الله على الذين لا ترعهم روادع دين ولا خلق .

شهادة صدق :

عرض الدكتور مصطفى السباعى رحمه الله تعالى لقاءاته المباشرة لعدد من المستشرقين في جولة طافت فيها على أكثر جامعات أوربا عام ١٩٥٦ م وما جري بينه وبينهم من أسئلة ومناقشات ، واستخلص من هذه الجولة النتائج التالية :

١ – أن المستشرقين في جمهورهم لا يخلو أحدهم من أن يكون قيسا أو استعماريا أو يهوديا ، وقد يشذ عن ذلك أفراد .

٢ – أن الاستشراق في الدول الغربية غير الاستعمارية كالدول السكندنافية أضعف منه عند الدول الاستعمارية .

٣ – أن المستشرقين المعاصرين في الدول غير الاستعمارية يتخلون عن جولد تسيهر وأمثاله من المفضوحين في تعصبهم .

٤ – أن الاستشراق بصورة عامة ينبعث من الكنيسة ، وفي الدول الاستعمارية يسير مع الكنيسة ووزارة الخارجية جنبا إلي جنب ، ويلقي منهما كل تأييد .

٥ – أن الدول الاستعمارية كبريطانيا وفرنسا ما تزال حريصة على توجيه الاستشراق وجهته التقليدية من كونه أداة هدم للإسلام وتشوية لسمعة المسلمين . ففي فرنسا لا يزال (بلاشير) و (ماسينيون) وهما شيخا المستشرقين الفرنسيين في وقتنا الحاضر يعملان في وزارة الخارجية الفرنسية . كخبيرين في شئون العرب والمسلمين .

وفى إنجلترا رأينا أن الاستشراق له مكان محترم في جامعات لندن واكفورد وكمبردج وأدنبرة وجلاسكو وغيرها ويشرف عليه يهود إنجليز استعماريون ومبشرون وهم يحرصون على أن تظل مؤلفات جولد تسيهر ومرجليوث ثم شاخت من بعدهما هي المراجع الأصيلة لطلاب الاستشراق من الغربيين ، وللراغبين في حمل شهادة الدكتوراه عندهم من العرب والمسلمين وهم لا يوافقون على رسالة لطلب الدكتوراه يكون موضوعها إنصاف الإسلام ، وكشف دسائس أولئك المستشرقين هذا وقد ذكر الدكتور مصطفى السباعى لقاءاته مع المستشرقين تحت عنوان : مع المستشرقين وجها لوجه في أوربا :

كان أول من اجتمع بهم رحمه الله تعالى هو البروفيسور (أندرسون) رئيس قسم قوانين الأحوال الشخصية المعمول بها في العالم الإسلامي في معهد الدراسات الشرقية في جامعة لندن وهو متخرج من كلية اللاهوت في جامعة كمبردج .

وكان من أركان حرب الجيش البريطاني في مصر خلال الحرب العالمية الثانية ، تعلم اللغة العربية من دروس اللغة العربية التى كان يلقيها بعض علماء الأزهر في الجامعة الأمريكية في القاهرة ، ساعة واحدة في كل أسبوع لمدة سنة واحدة . كما تعلم العامية المصرية من اختلاطه بالشعب المصري حين توليه عمله العسكري وتخصص في دراسة الإسلام من المحاضرات العامه التى كان يلقيها المرحوم أحمد أمين والدكتور طه حسين والمرحوم أحمد إبراهيم ثم انتقل من الخدمة العسكرية بعد الحرب إلي رئاسة قسم قوانين الأحوال الشخصية في جامعة لندن .

وقد حدثه البروفيسير أندرسون من أنه أسقط أحد المتخرجين من الأزهر . الذين أرادوانيل شهادة الدكتوراه في التشريع الإسلامي من جامعة لندن . لسبب واحد هو أنه قدم فكرته عن حقوق المرأة في الإسلام ، وقد برهن فيها على أن الإسلام أعطى المرأة حقوقها الكاملة ، فعجب الدكتور مصطفي السباعي من ذلك وسأل المستشرق : وكيف أسقطه ومنعته من نيل شهادة الدكتوراه لهذا السبب . وأنتم تدعون حرية الفكر في جامعاتكم ؟ قال هذا المستشرق : لأنه كان يقول : الإسلام يمنح المرأة كذا ، والإسلام قرر للمرأة كذا ، فهل هو ناطق رسمي باسم الإسلام ؟ هل هو أبو حنيفة أو الشافعي حتى يقول هذا الكلام ويتكلم باسم الإسلام ؟ إن آراءه في حقوق المرأة لم ينص عليها فقهاء الإسلام الأقدمون ، فهذا رجل مغرور بنفسه حين ادعى أنه يفهم الإسلام أكثر مما فهمه أبو حنيفة والشافعي كذلك زاد الدكتور مصطفى السباعي

جامعة أدنيره (اسكتلندة) فكان المستشرق الذي يرأس الدراسات الإسلامية فيها قسيتسا بلباس مدني ، وقد وضع لقبه الديني مع اسمه على باب بيته وفي جامعة اسكفورد كان رئيس قسم الدراسات الإسلامية والعربية فيها يهوديا يتكلم العربية ببطء وصعوبة ، وكان أيضا يعمل فى دائرة الاستخبارات البريطانية فى ليبيا خلال الحرب العالمية الثانية . وهناك تعلم العربية العامية . ثم عاد إلي بلاده إنجلترا ليرأس هذا القسم في جامعة اكسفورد ومن العجيب كما يقول الدكتور السباعي أنه رأي في منهاج دراسته التى يلقيها على طلاب الاستشراق : تفسر آيات من القرآن الكريم من الكشاف للزمخشري وهو لا يحسن فهم عبارة بسيطة في جريدة عادية ودراسة أحاديث من البخاري ومسلم وأبواب من الفقه في أمهات كتب الأحناف والحنابلة وسأله الدكتور السباعي عن مراجع هذه الدراسة فأخبره أنها من كتب المستشرقين امثال جولد تسيهير ، ومرجليوت وشاخت ، وحسبك بهؤلاء عنوانا على الدراسات المدخولة المدسوسة الموجهة ضد الإسلام والمسلمين وفي جامعة (ليدن) بهولندا اجتمع الدكتور السباعي بالمستشرق الألماني اليهودي (شاخت) وهو الذي يحمل في عصرنا هذا رسالة (جولد تسيهر) في الدس على الإسلام والكيد له وتشويه حقائقه وناقشه كثير في أخطاء جولد تسيهر وتعمده تحريف النصوص التى ينقلها عن كتب المسلمين ، فأنكر ذلك أول الأمر ، فضرب له الدكتور مثلا واحدا مما كتبه جولد تسيهر وكان يجلس معه في مكتبته الخاصة تحدث : معك حق . إن جولد تسيهر اخطا هنا فقال له الدكتور : هل هو مجرد خطأ ؟ فاحتد وقال : لماذا يسنون الظن به ؟ فانتقل الدكتور إلي بحث تحليله لموقف الزهري من عبد الملك بن مروان وذكر له من الحقائق التاريخيه ما ينفي ما زعمه جولد تسيهر وبعد مناقشه في هذا الموضوع قال : وهذا خطأ بين من جولد تسيهر . الا يخطئ العلماء ! فقال له : إن جولد تسيهر موسس المدرسة الاستشراقية التى تبني حكمها في التشريع الإسلامي على وقائع

التاريخ نفسه ، فلماذا لم يستعمل مبدأه هنا حين تكلم عن الزهري ؟ وكيف جازله أن يحكم على الزهري بأنه وضع حديث فضل المسجد الأقصى إرضاء لعبد الملك ضد ابن الزبير ، مع أن الزهري لم يلق عبد الملك إلا بعد سنوات من مقتل ابن الزبير . وهنا اصفر وجه المستشرق (شاخت) واخذ يفرك يدا بيد ، وبدأ عليه الغيظ والاضطراب ، فأنهى الدكتور السباعي الحديث معه بان قال له : لقد كان مثل هذه الأخطاء كما تسميها أنت ، تشهير في القرن الماضي . ويتناقلها مستشرق منكم عن آخر على إنها حقائق علمية . قبل أن نقرأ نحن المسلمين تلك المؤلفات إلا بعد موت مؤلفيها . أما الآن فأرجو أن تسمعوا منا ملاحظاتنا على أخطائكم لتصححوها في حياتكم قبل أن تتقرر كحقائق علمية .

ومن الجدير بالذكر أن هذا المستشرق كان يدرس في جامعة القاهرة وله مؤلف في تاريخ التشريع الإسلامي كله دسّ وتحريف ، على أسلوب شيخه جولد تسيهر .

وقد اجتمع الدكتور السباعي في مانشتسر بالمستشرق (روبسون) وكان يقابل هذا المستشرق سنن أبي داود على نسخة مخطوطة وله كتابات في تاريخ الحديث ، يتفق فيها غالبا مع آراء المستشرقين المتحاملين ، وقد حرص الدكتور السباعى على أن يبين للمستشرق أن الدراسات الاستشراقية فيها تحامل وبعد عن الحقيقة . وتعرض لآراء جولد تسيهر . وأثبت له أخطاءه التاريخية والعلمية . فكان مما أجاب عنه : لا شك ان المستشرقين في هذا العصر أكثر إطلاعا على المصادر الإسلامية من جولد تسيهر نظرا لما طبع ونشر وعرف من مؤلفات إسلامية كانت غير معلومة في عصر جولد تسيهر فقال له الدكتور السباعي : أرجو أن تكون أبحاثكم في هذا العصر أقرب إلي الحق والإنصاف من جولد تسيهر ، ومرجليوث وأمثالهما .

فقال : أرجو ذلك .

وفي جامعة جلاسكو (اسكتلندة) كان رئيس الدراسات العربية فيها قسيساً عاش رئيسا للارسالية التبشيرسة في القدس قرابة عشرين سنة ، حتى أصبح يتكلم العربية كأهلها ، وقد حدث بذلك عن نفسه في الزيادة وكان الدكتور السباعى قد اجتمع به قبل ذلك في المؤتمر الإسلامى المسيحى الذي عقد فى لبنان ١٩٥٤ م (١) .

---

١ - انظر الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم د / مصطفي السباعي . أجنحة المكر الثلاثة عبد الرحمن الميداني ص (١٥٢) وما بعدها بتصرف .

نماذج من تلاميذ المستشرقين

من المعلوم والجدير بالذكر أن من أهداف الاستشراق والمستشرقين إيجاد جيل من أبناء المسلمين الذين يتتلمذون عليهم ويتلقون العلم على أيديهم ليحملوا مشعل أفكارهم من بعدهم ويحققوا لهم ما يلي :

ألا يهز الشجرة إلا فرع منها كما نادي وصرح بذلك كبيرهم المبشر زويمر .

٢ – ان يظل المسلمون فى موقع الدفاع دائما نظرا لما تحدثه هذه البلبلات الفكرية فينبري لها من المختصين من يرد كيدها ويظهر زيفها حتى اذا فرغوا من قضية ظهرت أخرى وبالتالى يكون الرد عليها .

٣ – أن تتسع دائرة الإعجاب بأفكار المستشرقين بقدر ما يظهر هؤلاء التلاميذ من براعة فى أوطانهم .

والنموذج الأول لهؤلاء التلاميذ هو :

طه حسين عميد الأدب العربي :

ولد طه حسين عام ١٨٨٩ م فى قرية الكيلو مركز مغاغة محافظة المنيا جمهورية مصر العربية . دخل الأزهر عام ١٩٠٢ م . وواصل الدراسة الا أنه لم يستطع الحصول على شهادة العالمية . بعد أن ترك الأزهر – دخل الجامعة الأهلية وبقي بها من عام ١٩٠٨ إلي عام ١٩١٤ م ، ثم سافر إلي فرنسا . وحصل على الدكتوراه من جامعة السوربون عن ابن خلدون تحت إشراف عالم الاجتماع اليهودي المتعصب (أميل دور كايم) . ثم عاد إلي القاهرة وعمل مستشارا لوزارة المعارف ، ثم مديرا لجامعة الإسكندرية ، ثم وزيرا للمعارف

ثم أحيل إلي المعاش عام ١٩٤٩ م ، ثم لقي ربه عام ١٩٧٣ م ، له عدة مؤلفات منها : ١ – على هامش السيرة . ٢ – الفتنة الكبرى .

٣ – حديث الأربعاء ٤ – في الشعر الجاهلي .

٥ – مستقبل الثقافة في مصر ٦ – الأيام .

وقد عرف طه حسين بولائه الشديد للإستشراق والمستشرقين حتى قيل عنه إن طه حسين ليس إلا مستشرقا من أصل عربي كما كان يري ان نهضة العرب والمسلمين في انطوائهم تحت لواء الغرب ، وانصهار الإسلام في بوتقة المسيحية واليهودية والغرب فإذا تم هذا الذوبان والاحتواء كانت النهضة والتقدم .

وقد صرح بذلك في كتبه وخاصة ما أورده في كتاب مستقبل الثقافة في مصر . خطه حسين يري ان العرب قوم مستعمرون كالرومان والفرس (١) ثم يقول عميد الأدب العربي : إن التعليم العالي الصحيح لا يستقيم في بلد من البلاد الراقية إلا اذا اعتمد على اللاتينية واليونانية في الجامعة لا يغني عن درسها في المدارس العامة بل يستلزمه إلزاما (٢) .

ثم يبين السبيل فيقول : والسبيل إلي ذلك واحدة ليس لها تعدد وهي أن نسير سير الأوربيين ، ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها حلوها ومرها ما يحب منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب (٣) .

---

١ – أساليب الغزو الفكري د / على محمد جريشة وزميله ص (٢٣) .

٢ – مستقبل الثقافة في مصر ج ٢ ص (٢٩٠) لطه حسين .

٣ – المرجع السابق ج ١ ص (٤٥) .

ويظهر اتجاه طه حسين في حرصه على نشر الكتب التى تثير الشبهات وفى مقدمتها (رسائل إخوان الصفا) وتحديد طبع (ألف ليلة وليلة) وعنايته بدراسة سير المجان من الشعراء في كتابه (حديث الأربعاء) وهذا الكتاب ثلاثة مجلدات ، وقد خرج من دراستهم بشبهة مسمومة هي قوله : إن القرن الثاني للهجرة كان عصر شك ومجون) وقد اعتمد في بحثه على مصادر اساتذته من المستشرقين اليهود وعلى " انساب الأشراف " الذي طبع في الجامعة العبرية في القدس التى تحتلها إسرائيل وجاري مستشرقي اليهود في إنكار شخصية عبد الله بن سبأ " ابن السوداء " وفى الشك بوجود ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وأعلن انه يشك فى وجودهما بالرغم من الاشارة اليهما فى التوراة والقرآن ، ويتفق مع طه حسين فى هذه التبيعة للمستشرقين كل من : سلامة موسى ، حسين فوزي ، وزكي نجيب محمود ، ومحمود عزمي ، وعلى عبد الرازق وغيرهم ، وقد لقحت مناهج المستشرقين في البحث والنقد العلمي قرائح كثير من تلاميذ المستشرقين فنهجوا نهجهم وأخذوا طريقهم فيما حاولوا من دراسات وخاصة في مجال الجامعة والثقافة والصحافة . وحملوا الروح التى يحملها أساتذتهم فى خصومة الاسلام . وكانوا أشد قسوة من الغربيين على أهليهم ([1]) .

ويقول العميد فى كتابة : مستقبل الثقافة فى مصر : كانت مصر من أسبق الدول العربية إلي استرجاع شخصيتها القديمة التى لم تنسها يوما من الأيام فالتاريخ يحدثنا بأنها قاومت الفرس أشد مقاومة وبأنها لم تطمئن إلى المقدونيين حتى فنوا فيها وأصبحوا من أبنائها ، واتخذوا تقاليدها وسننها لهم تقاليدا وسننا . والتاريخ يحدثنا كذلك بأنها خضعت لسلطان الإمبراطورية

---

١ انظر اساليب الغزو الفكري ص (٢٣ . ٢٤) .

الرومانية الغربية والشرقية على كره مستمر ومقاومة متصلة ، فاضطر القياصرة إلى أخذها بالعنف وإخضاعها للحكم العرفى (١) .

ثم يقرر أمرا خطيرا هو عين ما ينادي به المستشرقون والمخلصون للعلمانية فيقول : فالمسلمون إذن فطنوا منذ عهد بعيد إلي اصل من اصول الحياة الحديثة وهو أن السياسة شيء والدين شيء آخر ، وان نظام الحكم وتقدم الدول إنما يقومان على المنافع العملية قبل أن يقومان على شيء آخر ثم يواصل حديثه فيقول : هذا القصور هو الذي تقوم عليه الحياة الحديثة في أوربا فقد تخففت أوربا من أعباء القرون الوسطي وأقامت سياستها على المنافع الزمانية لا على الوحدة المساحية ولا على تقارب اللغات والأجناس .

ثم يقول : والآن وقد عرفنا تاريخنا وأحسسنا أنفسنا واستشعرنا بالعزة والكرامة واستيقنا انه ليس بيننا وبين الأوربيين فرق في الجوهر ولا في الطبع ولا في المزاج فإني لا أخاف على المصريين أن يفنوا في الأوربيين (٢) .

وبنظرة فاحصة إلي هذا الفكر المسموم نلاحظ ما يلي :

١ – إنها دعوة صريحة إلي عزل مصر عن العالم الإسلامي وأخوتها من البلاد الإسلامية بدل تعزيز هذه الأصرة وتقويتها حتى تكون كالجسد الواحد .

٢ – تعبيره عن الفتح الإسلامي بالفتح العربي وأن مصر ظلت في سخط على هذا الفتح حتى جاءت الدولة الطولونية وما بعدها .

٣ – الدعوة إلي المنهج العلماني القائم أساسا على فصل الدين عن السياسة وفصل السياسة عن الدين ، وهو إذا اتفق في الدولة الأوربية التى

---

١ – مستقبل الثقافة في مصر ج ١ ص (١٧ ، ١٨) .

٢ – المرجع السابق ج ١ ص (٦٣) .

تدين بغير الإسلام فإنه لا ينطبق على الإسلام صاحب التشريع المحكم المنزل من السماء الذي يجمع بين الدين والدولة في جو الإيمان بالله عز وجل والإخاء الإنساني العظيم .

٤ - لا خوف لدي العميد من أن يفني المصريون في الأوربيين فيعيشوا كل حياتهم مثل الأوربيين ولا يخفي خطر ما في هذا الفكر من التحلل والانحراف وفقدان الذاتية الإسلامية التى هي مصدر عز المسلمين وقت أن يعملوا بالإسلام عملا مخلصا صادقا .

ومن كتبه أيضا : الفتنة الكبرى : والكتاب جزءان :

الجزء الأول تحدث فيه المؤلف عن علي وبنيه وقام بالتشكيك في أقوى رجال التاريخ وأكثرهم دراية به وتحصيلا له مثل الإمام الطبري وغيره ، كذلك نفي في كتابه هذا خبر عبد الله بن سبأ واعتمد في ذلك على كتب ومصادر استشراقية . أما الجزء الثاني فخصصه لعثمان وبنيه ، وفيه إنتقاص للصحابة الكرام والتشنيع عليهم وإثارة الشبهات حولهم ، كذلك اتهم عمرو بن العاص بأنه بدّد خراج مصر ، وأنه كان يكره بيعة علي كرم الله وجهه ، ومن أجل ذلك انضم إلي معاوية ، كما انتقض الشيخين أبي بكر وعمر بالباطل ، كذلك افتري على السيدة عائشة وظلم عثمان كما قام بسب الصحابة ، وشكك في نظام الحكم الاسلامى فى عهد ابى بكر الصديق وهذا الكتاب لعميد الأدب العربى طه حسين شانه شأن الكتب التالية له ومنها :

- حديث الأربعاء . - على هامش السيرة - مرآة الإسلام .

وكل هذا يدخل تحت اسم حرية العقيدة ، حرية الفكر ، حرية التعبير . ومن خلال هذا العمل ظهرت كتب تطعن في الإسلام وتدعو إلي التحلل من الكثير من التعاليم الإسلامية . وتحارب العقيدة بطريق خفي . كذلك ظهر كتا

معاصرون يدَعون انهم قد فهموا كثيراً من غامض القرآن الكريم وفسَروه بما يوافق أهواءهم وأغراضهم وقالوا إن التفسير ليس حكرا على رجال معينين وكل هذا تحت اسم الحرية ، مما أدي ويؤدي إلي تشويه حقائق الدين الإسلامي عند من لا يعرفون حقيقته ومن هذه الكتب أيضا :

الإسلام وأصول الحكم ، حاشية على عبد الرازق على متن مرجليون وفيه أراد الشيخ علي هدم مفهوم الإسلام بوضعه دينا ودولة ونظام مجتمع منهج حكم جامع ، كما ادعي أن جهاد النبي (ﷺ) لم يكن في سبيل الدين ، بل كان في سبيل الملك ، وأن نظام الحكم في عهد النبي (ﷺ) كان موضع إبهام وغموض ، كما أنكر أن القضاء وظيفة شرعية ، وزعم أن حكومة ابي بكر وعمر ومن بعدهما كانت لا دينية .

ومن الكتب الخطيرة التى تهاجم الإسلام ما يلي :

الأدب الجاهلي – طه حسين

حياتنا بعد الخمسين – سلامة موسى

علي إمام المتقين – عبد الرحمن الشرقاوي (١)

---

١ - الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د / محمد البهي ص (١٨٨) وما بعدها بتصرف .

النموذج الثاني لهؤلاء التلاميذ هو

السيد أحمد خان القادياني :

تذكر مجلة العروة الوثقى التى يصدرها السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده في أحد أعدادها وصفا لهدف الحركة التقدمية التى قام بها السيد احمد خان في الهند فتقول لما استقرت أقدام الإنجليز في الهند وألقوا به عصاهم ومحيت آثار السلطنة التيمورية وهي نسبة إلي تيمور لنك مؤسس دولة المغول فى القرن السادس عشر الميلادي . نظروا إلي البلاد نظرة ثانية فوجدوا فيها خمسين مليونا من المسلمين كل واحد منهم مجروح الفؤاد بزوال ملكهم العظيم ، وهم يتصلون بملايين كثيرة من المسلمين شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وأحسوا أن المسلمين ما داموا على دينهم وما دام القرآن يتلي بينهم . فمحال أن يتخلصوا في الخضوع لسلطة أجنبي عنهم ، خصوصا إن كان ذلك الأجنبى خطف الملك منهم بالخديعة أو المكر تحت ستار المحبة والصداقة ، فطفق الإنجليز يعشون بكل وسيلة لتوهين العقيدة الإسلامية . وحملوا القسس والرؤساء الروحانيين على كتابة الكتب ونشر الرسائل ، محشوة بالطعن فى الديانية الإسلامية . مفعمة بالشتائم والسباب لصاحب الشريعة براه الله مما قالوا – فأتوا من هذا العمل الشنيع ما تنفر منه الطباع ، ولا يمكن معه لذي غيرة أن يقيم في أرض تنتشر فيها تلك الكتب . وأن يسكن تحت سماء تشرق شمسها على مرتكبى ذلك الإفك العظيم .

والقصد من وراء ذلك هو توهين العقيدة عند المسلمين ، وحملهم على التدين بمذهب الإنجليز ، هذا من جهة ، ومن جهة أخري ، أخذوا في تضييق سبيل المعيشة على المسلمين وتشديد الوطأة عليهم ، والإضرار بهم من كل وجه .. فضربوا على أيديهم في الأعمال العامة وسلبوا أوقاف المساجد والمدارس ، ونفوا علماؤهم وعظماءهم إلى جزيرة (أندومان) رجاء أن

تفيدهم هذه الوسيلة – إن لم تفدهم الاولي في رد المسلمين عن دينهم باسقاطهم فى أغوار الجهل بعقائدهم حتى يذهلوا عما فرضه الله عليهم .

فلما خاب أمل أولئك الحكام الجائرين في الوسيلة الأولي ، وطال عليهم [illegible] في الاستفادة من الثانية نزعوا الى تدبير آخر فى ازالة الدين الاسلامى عن أرض الهند أو إضعافه . لأنهم لا يخافون إلا من المسلمين أصحاب ذلك الملك المنهوب والحق المسلوب ، فاتفق أن رجلا اسمه أحمد خان بها دور وهو لقب تعظيم فى الهند . كان يحوم حول الإنجليز لينال فائدة من لديهم [illegible] . والتدين بالمذهب الإنجليزي . وبدأ بكتابة كتاب هو تبيان الكلام أخرجه فى سنة ١٨٦٢ وفسر فيه الإنجيل وأثبت أن التوراة والإنجيل ليسا محرفين ولا مبدلين لينال بذلك الزلفي عند الانجليز ، ثم راجع نفسه فرأى أن الإنجليز لن يرضوا عنه حتى يقول : إني نصراني . وأن هذا العمل الخفير لا يؤتي عليه أجرا جزيلا . خصوصا وقد أتي بمثل كتابه ألوف من القسس والبطارقة ، وما أمكنهم أن يحولوا من المسلمين عن الدين أشخاصا معمودة . فأخذ طريقا آخر في خدمة حكاية الانجليز بتفريق كلمة المسلمين وتبديد شملهم . فظهر بمظهر الطبيعيين الدهريين ونادي بان لا وجود إلا للطبيعة العمياء ، وليس لهذا الكون إله حكيم [illegible] هذا إلا الضلال المبين . وإن جميع الأنبياء كانوا طبيعيين لا يعتقدون بلإله الذي جاءت به الشرائع – نعوذ بالله من هذا ولقب نفسه بالطبيعي وأخذ يغري أبناء الأغنياء من الشبان الطائشين ، فمال إليه أشخاص منهم . مخلصا من الشرع الشريف وسعيت خلف الشهوات ، فراق الحكام الإنجليز مشربه ، ورأوا فيه خير وسيلة لإفساد قلوب المسلمين فأخذوا في تعزيزه وتكريمه وساعدوه على بناء مدرسة في (عليكره) وسموها مدرسة المحمدين لتكون فخا يصيدون به أبناء المؤمنين ليربوهم على أفكار هذا الرجل : أحمد خان بها دور .

وكتب أحمد خان تغيرا على القرآن الكريم فحّرف الكلم عن مواضعه وبدّل ما أنزل الله (١) . وانشأ جريدة باسم تهذيب الأخلاق لا ينشر إلا ما يضلل عقول المسلمين ويوقع الشقاق بينهم ويلقي العداوة بين مسلمي الهند وغيرهم خصوصا بينهم وبين العثمانيين وجهر بالدعوة لخلع الاديان كافة . لكن لا يدعو إلا المسلمين ، ونادي : الطبيعة الطبيعة ، ليوسوس للناس بأن أوربا ما تقدمت في المدينة وما ارتفعت في العلم والصنعة وما تفوقت في القوة والاقتدار إلا برفض الأديان والرجوع إلي الطبيعة في كل شيء فحركة السيد أحمد خان تقوم على الافتتان بالعلم الطبيعي والحضارة الغربية المادية كما يفتتن في عصرنا الحاضر بعض المفكرين بما يسمي العلم . وبالمركبات الحضارية التي قامت عليه والافتتان بالعلم الطبيعي أو بالطبيعة كما يقال يؤدي إلي خفة وزن القيم الروحية والمثالية . وهي القيم التي تقوم عليها الرسالاتّ السماوية ، كما يؤدي الافتتان بهذا العلم إلى إنكار كل قيمة أخري مما لا يشاهد في الطبيعة ويدرك بالحس الإنساني .

وقد نهج السيد أحمد خان في تفسيره للقرآن الكريم على تطبيق آياته على أساس طبيعى مما يناقض تماما القول بالمعجزات وخوارق العادات ، ولهذا جعل النبوة غاية تحصل وتكسب عن طريق الرياضة النفسية فهي غاية إنسانية طبيعية ، وطريقها طريق إنساني غير خارق للعادة ، ولكنه مع ذلك يقر ختم الرسالة الالهية ببعثة الرسول (ﷺ) .

ومن هنا ربط السيد جمال الدين الأفغاني بين إلحاد السيد أحمد خان ومذهبه الدهري أو الطبيعي مع بقاء انتسابه إلي الإسلام ، ونعته بالإلحاد . رغم ما كان يكرره السيد أحمد خان من القول بأنه يدافع عن الإسلام . وفى شرحه لآيات الجهاد أضعف من درجته في الوقت الحاضر . ودعا إلى إنسانية

---

١ – عمل في هذا التفسير من عام ١٨٨٠ إلي ١٨٩٥ وانتهي فيه إلي سورة الكهف .

الأديان أي المعنى الإنساني العام الذي تدعو الأديان السماوية إلي اعتباره وحفظه وهو ما نسميه فكرة العالمية التى تتبناها اليهودية الرأسمالية والشيوعية الدولية ، وقد كانت من قبل تلقب بالفكرة الماسونية ، وفي هذه الفكرة تمحى كل الفوارق بين الأوطان والقوميات والأديان والمذاهب .

فالسيد جمال الدين الافغاني يحمل على السيد أحمد خان ، وينقد اتجاهه الطبيعي نقدا في كتاب سماه (الرد على الدهرين) ويدعو المسلمين إلي العودة إلي القرآن الكريم . ونبذ الخصومة المذهبية والرجوع إلي حال المسلمين الأول قبل انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة .

ومحمد إقبال يهاجم القاديانية هجوما عنيفا من الوجهة الإسلامية والوطنية ويكتب في الوقت نفسه كتابه (تجديد الفكر الديني في الإسلام ، ويوضح فيه محاولته لتقرير علم الكلام الإسلامي في صورة حديثة ، ويطلب أن يفهم المسلمون الاسلام فى ضوء الحياة المعاصرة ، والشيخ محمد عبده يهاجم الاستشراق ثم يضطره هذا الهجوم إلي الكتابة عن مزايا الإسلام بالنسبة للمسيحيه ويضع منهجه التربوي لفهم الإسلام والقران الكريم والسنة الصحيحة بدلا من إسلام المتكلمين وإسلام أرباب الكتب والمتأخرة التى تعيش في عزلة عن الحياة العامة نفسها . ويضع الشيخ محمد عبده منهجه لإصلاح الأزهر على أمل أن يدرك أهله ورواده وهم أصحاب الثقافة الإسلامية رسالة الإسلام فى نفسها كمبادئ وقيم وتعاليم ، وبين المسلمين كجماعة شخصيتها ولها هدفها في الحياة ، وكان جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد إقبال من المفكرين كما كانوا من السياسيين أصحاب التوجيه ضد الاستعمار الغربى لابن أصحاب السياسة الحزبية ولا ينسي الدور الذي لعبه بتلاميذ المستشرقين وترديدهم للمفتريات الاستشراقية على الإسلام وافتعال معارك حول عقائده

وآدابه ومختلف أحكامه ولتعميق المفاهيم التى يريدون فرضها وترسيخها في أذهان الناس ([1]) .

وبناء على هذا فإن السيد أحمد كان من أبرز المسلمين الذين نادوا في شبه القارة الهندية خلال النصف الثالث من القرن التاسع عشر بإبعاد الإسلام عن حكم الحياة بل عن الحياة نهائيا ونادي للسير في فلك الأوربيين وعلى دربهم في تفكيرهم إلي السياسة والدين والحياة ، ولم يكتف أحمد خان بالفصل بين الدين والسياسة وإبعاد الدين ، بل نادي بخلع الأديان نهائيا ثم نادي بعد ذلك بعدم وجود اله للكون وأنه لا يوجد الا للطبيعة . ومن هنا كان منهجه متمشيا مع نظام ومنهج الاوربيين ونظرتهم للدين حيث نادي الاوربيون بإبعاد الدين عن الحياة وحكمها ، ثم نادوا بإبعاد الإله الكون ، ثم بسيادة الطبيعة .

---

١ - انظر : الفكر الإسلامي في الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د / محمد البهي ص (٤٠ ، ٥٩) بتصرف .

النموذج الثالث لهؤلاء التلاميذ هو :

مصطفي كمال أتاتورك :

يعتبر مصطفي كمال اتاتورك من أصل يهودي حيث ان أجداده اليهود نزحوا من أسبانيا إلي مدينة سالونيك وذلك فرارا من محاكم التفتيش التى كانت تحكم بإحراق اليهود أحياء جزاء أعمالهم التدميريه في الدول التى يحلون بها .

وقد تظاهر أجداده باعتناق الدين الإسلامي حتى يأمنوا على أنفسهم من بطش واضطهاد سلاطين الدولة العثمانية .

والمعروف أن الطبقة الحاكمة في تركيا وفي كل العهود هي من طائفة (الدونما) أى المسلمين الذين كانوا يهودا قبل ذلك .

وكان وصول مصطفي كمال إلي الحكم والسلطة هو الثمن الذي قدمه له الإنجليز مقابل قضائه على دولة الخلافة الإسلامية ، وأحكام الإسلام في تركيا كلها واستبدال هذه الأحكام الإسلامية بالأنظمة والأحكام الغربية ، كذلك استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية والهدف من ذلك هو إبعاد الأتراك عن كل [illegible] وعلاقة بالعرب والإسلام وقد كان هذا الرجل آله من آلات التدمير التى صنعها الغرب لحسابه الخاص وكان دمية من الدمي التى تجيد وتحسن تشغيل الجمعيات السرية لحساب الصليبية واليهودية ، وقد عاش في أحضان جمعية الاتحاد والترقي التى لعبت دورا خطيرا جدا في تدمير الخلافة الإسلامية وكانت أعماله شاهدة عليه وهي :

١ - قضي على اللغة العربية باستبدالها باللاتينية حتى في طبع المصحف الشريف كان يطبع باللاتينية .

٢ - حرم تعدد الزوجات ، وجعل للقضاء وحده الفصل في طلب الطلاق.

٣ – ألغي قوانين الأحوال الشخصية النابعة من الشريعة الإسلامية .

٤ – غير من قوانين الميراث وبدّل فسوّي بين الابن والبنت .

٥ – ألغي الحجاب وأباح للمرأة التركية السفور وأن تتزوج من تشاء من

٦ – ألغي الأوقاف الإسلامية .

٧ – شجّع على شرب الخمر والاتصال بالنساء وإخراج المرأة إلي المراقص .

٨ – حطم كل ما هو إسلامي واعتبر وجهة الشعب التركي .

كما فاجأ كمال اتاتورك العالم الإسلامي بما لم يتوقعه فيه ، فأخذ يكشف القناع المزيف فجأة عن وجهه ويسفر عن حقيقة نواياه الخبيثة فيلغي الخلافة الاسلامية وبطرد الخليفة وآله وأسرته الي خارج تركيا وهنا بكي الشاعر أحمد شوقي الخلافة فقال :

ضجّت عليك مآذنٌ ومــابــرُ وبكتْ عليكِ ممالكٌ ونـــارحِ
الهنْد والهةٌ ومصْــرُ حزيـنـــةٌ تبكى عليك بمدْمعٍ سـحّــــاح
والشام تسأل والعراق وفارسٌ أمحاسن الأرض الخلافة ماح (١)

لقد أسقط الاتحاديون الدولة العثمانية وأدخلوها الحرب لتصفي نفسها ، ثم جاء مصطفي كمال اتاتورك ليفرض عليها اللون الغربي ، وينقلها من دولة

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر د . محمد محمد حسين ج ١ ص (٢

٣٧) دراسات في الاستشراق د / علي شاهين .

الخلافة الإسلامية إلي دولة غربية تكتب بالحروف اللاتينية ، وقد فرح بهذا العمل كتاب يكتبون باللغة العربية ، والمعروف أن هؤلاء الكتاب العرب قد استمدوا فرحهم هذا بسقوط الخلافة الإسلامية من مشاعرهم التى تفيض بالحقد والكراهية والحسد للإسلام والمسلمين ونسأل الله تعالى ان تعود الخلافة الإسلامية لأنه لا سبيل إلي نهضة المسلمين إلا بقيام الخلافة الإسلامية وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ويغضب أعداء الإسلام من هذا النصر .

وعندما يكتب التاريخ على حقيقته سوف يعلم الناس أن مصطفى كمال هذا ليس الا خرافة سياسية كبيرة ، وأنه ورث تركيا وهى دولة عظيمة يعدها العالم في مصاف دونه الأولي فصيرها دولة من التوابع التى تحيا على فسول الإعانات وعلى خدمة أغراض القراصنة والمستعمرين (١) .

وبعد : ماذا كانت نهاية هذا الظالم الطاغية ، الذي طغي وتجبر وحتى على الإسلام أشنع جناية فى العصر الحديث ؟

لقد وضع في مرضه الأخير في غرفة معصمة ، وجلس حوله أطباؤه ليمنعوا عنه الموت . فسلط الله عليه نملا دقيقا ، وتسرّب هذا النمل الدقيق إلي كبده المتورم ، فأتلفه حتى مات ، ولم يتنبه أطباؤه لوجود هذا النمل إلا بعد أن نفذ النمل المهمة التى كلفه بها من بيده مقاليد الأمور ، وكان في قصة أتاتورك عظة وعبرة لمن أراد أن يتعظ ويعتبر وتلك سنة الله تعالي في الظالمين المتجبرين .

---

١ - ظلال من الغرب .

شبهات المستشرقين حول الإسلام والرد عليها

يقف المستشرقون المعاصرون عند نصوص معينة من القرآن يتخذون من فهمهم الخاطئ فيها دليلا على أن محمدا استقى تعاليمه من الكتابين وليس فيها دليل على ما يردون .

وخلال الحروب الصليبية كانت الافتراءات على الإسلام سلاحا من أسلحة الدعاية ضد المسلمين ، وترجم القرآن ترجمة ناقصة ، شديدة التحريف ، لأن المترجم لم يستطع فهم النص القرآني . وظلت صعوبة اللغة العربية حائلا دون فهم الإسلام وتقدير الإعجاز القرآني ، حتى أن الكاتب الإنجليزي كارليل : يقول عن القرآن أنه كلام ركيك ثقيل على النفس لولا ما يحتمه الواجب العلمى على الدارس الأوربى ما استطاع صبرا على قراءته ، فإذا كان القرآن وهو المعجزة التى تحدي بها محمد (ﷺ) العرب ، يبدو فى نظره سقيما متهافتا ؟ فكيف يقال أنه يفهم العربية أو يؤخذ برأيه في شيء يستخلصه نصوصها ؟

والمستشرق هذا يعتبر في نظر الكثير مسالما للإسلام ، لأنه مدح النبي محمدا (ﷺ) في كتابه الأبطال بأنه قضي على عبادة الأصنام ، ولأنه جاري الإسلام في إنكار التثليث في المسيحية وغيرها ، وقد رد عبارة كارليل بعض الكتاب المحدثين منهم أربري في مقدمة ترجمته القرآنية ، ومنهم جب في كتابه المحمدية . ولكن حتى هذين المستشرقين لم يجيدا فهم النصوص القرآنية

ما هو الهدف من تهجم المستشرقين على الإسلام واتهاماتهم لنبيه محمد (ﷺ) اتهامات باطلة ؟

الجواب : ١ - السيطرة على عقول المسلمين واستعمارها فكريا وعقانديا وغرس بذور الفكر المادي في أدمغتهم وحشوها تماما بالثقافات المستوردة صليبية أو شيوعية أو صهيونية .

٢ - تشويه صورة الإسلام في عقيدته وشريعته وأخلاقه أو التشكيك والتضليل في مفاهيمه وزعزعتها في نفوس أبنائه على الأقل .

٣ - ضرب الوحدة الإسلامية دائما وأبدا عن طريق الإيقاع بين الدول العربية والاسلامية وشغلها عن تحقيق آمالها وأهدافها ومجابهة ما يراد من ضياع واستعمار . موقف أمريكا مع أفغانستان ؟ والعراق وغيرها وما يأتي بعد ذلك من التفرقة والتمزق والشتات .

٤ - بسط النفوذ الأجنبي على البلاد الإسلامية بطريقة سليمة لتحقيق نفس الهدف الذي فشلت في تحقيقه الحروب العسكرية المسلحة .

٥ - اختيار وتربية عملاء للنفوذ الأجنبي ومساعدتهم في الوصول إلي مراكز القيادة والزعامة والتوجيه في بلادهم خاصة من أولئك الذين يتعلمون فى بلادهم وعلى أيديهم . ففى أفغانستان جاءوا بقرضاي العميل الأمريكى . وفى باكستان مشرف وفي العراق أحمد شلبي وكلهم عملاء للاستعمار ورباهم تربية خاصة لكي يقوموا بتحقيق أهدافه داخل البلاد العربية والإسلامية من غير تعب ولا مشقة والبقية تأتي وهذا حال من يبتعد عن الله تعالي ويتمسك بالأوهام .

وقد بدأت دراسة المستشرقين للقرآن الكريم وحياة الرسول (ﷺ) والرسالة التى جاء بها من عند الله تعالي في العصر الوسيط فقد كان دخول المسلمين أسبانيا وجنوب إيطاليا وصقلية مما نبّه الأذهان نحو هذه الدعوة ونبيها (ﷺ) والكتاب الذي جاء به من عند الله عز وجل والعلاقة بين الطرفين على أى حال علاقة عداء وحقد وحسد وضغينة .

الشبهة الأولي من شبة المستشرقين :

قال المستشرق الإنجليزي ألفريد جيوم في الآية الكريمة ﴿ يَا أُخْتَ هارون ما كان أبوكِ امرأ سوءٍ وما كَانتْ أُمُّكِ بغِيًا ﴾ (١) وتبعه آخرون في هذا الأمر : إن محمدا (ﷺ) - كان دارسا مبتدئا للكتاب المقدس ، فظن أن مريم أم عيسي (عليه السلام) هي مريم أخت هارون ، مع أن بين عيسى وهارون زمنا طويلا .

ومن العجيب أن يتناقل الفكرة آخرون ، ويتمسكوا بها .

وكلمة أخت في اللغة العربية لا تعني فقط الأخوة في النسب ، وإنما تعني مع ذلك الشبيه والمماثل ، فيقال مثلاً : هذا الشاعر أخ للآخر شوقي مثلا أخ لي لحافظ إبراهيم ، ودانتي أخ للمعري وهكذا .

والغرض من ذلك أن كلا منهما يشبه الآخر ، وليس المعني أن أبوي هذا هما أبوا الآخر ، وقد كانت مريم أم المسيح معروفة في هذا العصر بورعها وتقواها ، وهي الأنثي الوحيدة التى تقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا فكانت ضمن سدنة بيت المقدس . وكانت تشبه بهارون في ورعها وتقواها . فلما حملت بعيسي (عليه السلام) وهي لا زوج لها ظنوها ارتكبت فاحشة واستعجبوا لحدوث ذلك منها وهي بارة تقية فقالوا لها : كيف تفعلين هذا مع أنك شبيهة لهارون في عبادته وطهارته ، فالآية لا تشير بوجه ما إلي أن محمدا (ﷺ) قال إنها أخت موسى وهارون ، وليس فيها ما يوحي أنه درس الكتاب المقدس أو اطلع عليه .

---

١ سورة مريم : ٢٨ .

وقد قال رسول الله (ﷺ) لوفد نجران حين جاءوا يناظرونه : إن عيسى أخي " ومحمد (ﷺ) يعرف انه لا أخ له ، وهو لم ير عيسى (عليه السلام) بل بينهما ما يقرب من ستمائة عام ، ولكنها اخوة في النبوة والرسالة ، والأنبياء جميعا على تفاوت الأزمنة بينهم اخوة ، لأن رسالتهم واحدة وهي الدعوة إلى عبادة الله تعالي (١) ولقد تورط الكثير من المستشرقين في عدم فهمهم للنصوص وعدم معرفتهم لفقه اللغة العربية – مع ظاهر ادعائهم بإجادة اللغة العربية – في كثير من الأغلاط والأخطاء التى تدل دلالة واضحة على الجهل والمكابرة

الشبيهة الثانية : ذهب بعض المستشرقين ومعهم المؤرخ الكبير الدكتور : فليب حتى إلي أن محمدا (ﷺ) من مصادر كثيرة ، صاحباه صهيب الرومي وسلمان الفارسى ، وزوجه مارية القبطية ، ونحن ندرك أنهم لا يؤمنون بما يقولون ، وإنما هو كلام يجارون به أهواءهم أو يجارون به الأوساط التى تستريح لهذا الكلام والدكتور فيليب حتى في كتابه تاريخ العرب المختصر أثنى على القرآن ثناء بالغا ، وقال إنه يأخذ بقلوب سامعيه لما فيه من قوة التركيب وحسن اختيار الألفاظ وتآلف النغم ، وإنه تركيب عجيب ، ثم يعود في كتاب آخر فيقول إنه مستقي من غير العرب .

ولو نظرنا إلى صهيب الرومى نجد أنه عربى من بنى النمر بن تولب ، سبته الروم طفلا وباعته ، ونشأ بمكة ويقال إنه عتيق عبد الله بن جدعان . فماذا عسي أن تكون ثقافة طفل أو صبي حتى يستفيد منه محمد ؟ (ﷺ) ، وهو لم يذهب إلي بلاد الروم . ولم تكن الدولة البيزنطية دولة توفر العلم حتى يفيض على الصبيان . ويقال إن صهيبا هذا نشأ بالعراق .

---

(١) الإسلام والمستشرقون د / عبد الجليل شلبي ص (٣٩) .

أما سلمان الفارسي فقد اتصل بالمسلمين بعد الهجرة ، ورحلته كانت بحثا عن الحقيقة وهى معروفة ، واتصل بالنبى (ﷺ) بعد أن أعلن دعوته بأكثر من خمسة عشر عاما (١) .

أما مارية القبطية فقد أهداها له المقوقس حين أخذ رسول الله (ﷺ) يرسل كتبه ورسوله إلي الملوك والحكام يدعوهم للإسلام ، فهي كانت رقيقا ساذجة لإثقافة لها ، وقد كانت سيرين عند حسان بن ثابت (ﷺ) ، ولم يظهر عليها ثقافة ، ولا أفادته علما ، ولم تكن أى منهما مثقفة . وكان ينبغي أن يطهر هؤلاء أقلامهم من مثل هذا الهواء .

الشبهة الثالثة :

ويصر هذان الكاتبان على أن محمداً (ﷺ) لم يكن أمياً ، بل كان قارئا كاتبا ، والحجة في هذا انه كان تاجرا ، والتاجر لابد أن يراجع حساباته ويضبطها ولا يتأتي ذلك لأميَ (٢) .

ومن المعروف أنه لم ترد أي دلالة تاريخية على أن محمدا كان يقرأ شيئا أو يكتبه ، وكان في عصره عشرات من التجار لا يقرأون ولا يكتبون ، وهم من ذوي الثراء والملكية المنوعة ، ونحن الآن وبعد أربعة عشر قرنا من الزمان من نزول القرآن الكريم نجد بيننا تجاراً كبارا اميين .

وقد وصف القرآن الكريم النبي (ﷺ) بالأمية قال عز وجل : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ﴾ (٣)

---

١ - الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ١٩٥ . وسيرة ابن هشام ح ١ ٢٢٣ .

٢ - الإسلام والمستشرقون ص (٣٢) د - عبد الجليل شلبي .

٣ - الأعراف : ١٥٦ .

وقال تعالي : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (١) .

وحين تجمعت قريش لغزوة أحد أرسل العباس بن عبد المطلب كتابا سريا يجثر به رسول الله (ﷺ) بهذا التجمع ، فدفع النبي (ﷺ) الخطاب إلي أبيَ فلما قراه وعلم النبي (ﷺ) بهذا الخطر الذي سيواجه المسلمين استكتم أبياً ما قرأ ، ولو كان يحسن القرأة لأبقي على هذا السر ولا احتاج أن يستكتمه من قرأه وحين كتبت ثقيف شروط النبي (ﷺ) أجازت فيها الربا والزنا ، فلما قرئ الخطاب على رسول الله (ﷺ) قال للقارئ وهو يقرأ كلمة الربا : ضع يدي عليها ، فوضع يده فمحاها ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ ولما بلغ كلمة الزنا قال ضع يدي عليها ، فوضع يده فمحاها أيضا وقرأ : : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَا ﴾ .

وأمية الرسول (ﷺ) أمر متواتر لا يحتمل تشكيكا ولا يحتاج إلي بحث من جديد ، وهي مما يؤكد أن القرآن كله وحي من الله عز وجل وان النبي (ﷺ) لم يكن يملك وسيلة التعلم وهي القراءة (٢) .

الشبهة الرابعة :

يقول المستشرق اللبناني : أن رسول الله (ﷺ) استقي معلومات الدين الإسلامي من مصادر وثنية وغيرها ويري أن الدين الإسلامي مجرد تركيبة مختلطة . **ولقد بني رأيه هذا** حينما قرأ **الآية** الكريمة : ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ

---

١ - العنكبوت : ٤٨ .

٢ - الاسلام والمستشرقون د / عبد الجليل شلبي ص (٣٣) .

مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ﴾ (١) فقد فهم هذا المستشرق أن رسول الله (ﷺ) أمر أن يسأل أهل الكتاب وإذن فهو قد سألهم ، وإذن فرسالته مستوحاة منهم ، هذا ما درج عليه هذا المستشرق وأمثاله وقد ظهر عدم فقه اللغة العربية في أمور :

١ – منها أن الخطاب يوجه إلي الرسول (ﷺ) والمراد به المسلمون وهو أسلوب من أساليب اللغة العربية في قوله تعالي : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ولا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ (٢) فالنبي محمد (ﷺ) متق لله ، ولم يطع الكافرين ولا المنافقين ، ولكن الخطاب موجه إلي أمته .

٢ – ومنها أن السؤال لا يعني الاستفهام ، وإنما يعني التأمل والبحث ، ومن ذلك قوله تعالي : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ (٣) كيف إذن يتأتي لرسول الله (ﷺ) أن يسأل الرسل الذين سبقوه ، كيف ذلك علما بأن رسول الله (ﷺ) بينه وبين آخر واحد منهم نحو ستة قرون تقريبا .

والخطاب في هذه الآية الكريمة المراد منه أنه موجه إلي الأمة وليس لرسول الله (ﷺ) ، والمراد أو المعني ابحثوا رسالات الأنبياء جميعا فستجدونها ... لعبادة الله وحده ولا تسمح بعبادة آلهة من دونه (٤) .

---

١ – يونس : ٩٤ .

٢ – الأحزاب : ١ .

٣ – الزخرف : ٤٥ .

٤ – المرجع السابق ص (٣١) .

٣ - ومنها الجملة مشروطة بوجود الشك " فإن كنت في شك " ورسول الله (ﷺ) لم يكن في شك أبداً مما أنزله الله إليه ، إذن فما بني عليه هؤلاء نتائج خطيرة في طعن الإسلام أمر لا أساس له . ومرده ضعفهم في اللغة العربية وحقدهم على رسول الله (ﷺ) والمسلمين .

الشبهة الخامسة :

يدعي الفريد جيوم أن تكذيب العرب دعوة محمد (ﷺ) يعني بطلانها .

يقول هذا المستشرق : إن المثل لا كرامة لنبي في وطنه لا ينطبق على أحد مثل ما ينطبق على محمد (ﷺ) ويتخذ من تكذيب قريش له دليلا واضحا على بطلان دعوته ، وهو كلام خطأ في استدلاله واستنتاجه .

أولاً : لقد كذب بنوا إسرائيل موسى تكذيباً عملياً ، وهو قائدهم ومخلصهم من نير فرعون ، نهاهم عن عبادة العجل فعبدوه حين تغيب عنهم ، وقال لهم اعبدوا الله رب هذا الكون فقالوا أرنا إياه ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (١) وأمرهم أن يتركوا العمل يوم السبت فتركوا العبادة وذهبوا للصيد

ثانياً : لقي عيسى من تكذيب قومه اليهود ما جعله يتركهم ويوجه الدعوة لغيرهم . ثم بلغ من تكذيبهم ومعارضتهم له أن قدموه للمحاكمة وطلبوا صلبه . أفيدل ذلك أيضا على أن المسيح كان من الكاذبين ؟

على أن الذين حاربوا السيد المسيح لم يكونوا أميين ولا من السذج البسطاء ، ولكن كانوا الصفوة من علماء بني إسرائيل ، كانت الرياسة الدينية بيد (حنانيا) و (قيافا) من الصدوقيين ، وناصبه العداء بجانبها رؤساء

الشيوخ والكتبة والفريسيين والآسيين وعندما قال بيلاطس أنه بار وغسل يديه علامة على التبرؤ من دمه ، أصروا هم على صلبه وحين طلب أن يعفه قالوا سامح براباس واصلب المسيح وقد كذب هؤلاء قبل ذلك زكريا (عليه السلام) وقتلوه ، وكذبوا يحيي وتمنوا الخلاص منه ، فلما قتل ظلما سكتوا وما كان هيرود لينجو من فعلته لولا رضا أعلام اليهود عما فعل ، فكان هذا مما أسكت العامة فلم يؤمن جيوم بالمسيح بعد كل هذا ويكذب محمدا (ﷺ) ولماذا يري أن محمدا (ﷺ) هو الذي لم يكن له كرامة في وطنه ، وكما قال ورقة بن نوفل لم يأت أحد بمثل ما أتي به محمد إلا عودي ، وهل يقوم مصلح عظيم بقلب نظام الحياة في قومه وتغيير نظمها وقوانينها ثم لا يعاديه هؤلاء الذين غيّر حياتهم ومكانتهم الاجتماعية ؟

ثم إن محمداً (ﷺ) لم يحارب من قومه العرب بل حورب من قومه القرشيين فكان موقفه أشبه بموقف المسيح الذي حاربه بنوا إسرائيل وآمن به عداهم .

ومحمد (ﷺ) كان رغم كراهة قريش له ذا كرامة فيهم وتقدير واحترام لما عرف به من سامي الأخلاق وشريف الخصال ، وكيف يكون غير كريم من يعرف باسم الأمين . وكيف يكون غير كريم من يختار من بين القوم للفصل في مشكلات الأمور .

لهذا يبدو وجيوم غير موفق فى افتراضه كما هو غير موفق فى استنتاجه.

الشبهة السادسة : الإسلام انتشر بالسيف :

وهذه مسألة أخري يثيرها كثير من المتحاملين على الإسلام واستعراض للدعوة الإسلامية من بدايتها يهدي إلي الفصل في هذا الاتهام الخطير .

ظل النبي (ﷺ) بمكة ثلاثة عشر عاما يشرح لقومه فكرة التوحيد ووجوب الإيمان بأنه واحد وكيف وقف له صناديد قريش بالمرصاد ، يحولون بين الناس وبين اتباعه ، ولقد لقي الضعاف الذين اتبعوه من المهانة والذلة والتعذيب ما لا يتحمله إلا الذين ملأ الإيمان واليقين قلوبهم ، وكان العرب ياتون إلى مكة من الاماكن البعيدة ليقابلوا محمدا (ﷺ) فتتلقاهم قريش لتصدهم عن مقابلته وفهم شيء عن الرسالة التى جاء بها من عند الله عز وجل ، ولقد هاجر هؤلاء الأتباع مرتين إلي الحبشة فراراً من العذاب الذي يصبه عليهم القرشيون . ثم هاجر محمد (ﷺ) نفسه إلى المدينة فكان الذين أسلموا يفرون بليل ليلحقوا به ويتركون ديارهم ومالهم ، وكانت قريش تساوم من تدركه منهم كما فعلت مع صهيب الرومي،ولقد ترك صهيب لقريش داره وماله ليسمحوا له بالهجرة ، وفيه نزل قول الله تعالي : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ ﴾ (١)

وأصبح المسلمون بالمدينة فقراء لا يملكون مالا ولا دارا . وهذا ما اضطرهم إلي مصادرة قافلة قريش العائدة من سوريا يوم بدر .

وحين أفلتت القافلة من أيدي المسلمين لم يكن ثم مبرر لنشوب الحرب ، لكن قريشا أصرت على حرب المسلمين لتقضى عليهم فباءت بالهزيمة والخسران المبين . ثم كانت غزوة أحد ثأرا من القرشيين لهزيمتهم يوم بدر .

ثم نجد بعد ذلك خيانة وغدرا للمسلمين من جانب أعدائهم ، كالذي حدث يوم الرجيع ويوم بئر معونة ، وفي كلا اليومين ، وفد على رسول الله (ﷺ) جماعة تظاهروا بالإسلام وطلبوا من الرسول (ﷺ) أن يرسل معهم من يعلمهم الإسلام ، فلما كانوا بالطريق غدروا بهم فقتلوا من قتلوا ، وباعوا بمكة بعضا

---

١ - البقرة : ٢٠٧ .

منهم وكانت قريش تتحرش بالمسلمين وتحرض عليهم القبائل كما حدث من أبى سفيان وقبائل العرب في غزوة الأحزاب . ولكن المسلمين اهتدوا إلي حفر خندق حول المدينة اتقاء شر أعدائهم ونجوا منهم واليهود الذين حالفوا المسلمين يخونونهم ويعاونون أعداءهم عليهم وقد تآمر اليهود من بنى النضير على قتل الرسول (ﷺ) نفسه . كل هذا والمسلمون صابرون . يودون الراحة من الحرب فإذا الحرب تلاحقهم بين حين وحين ، وشعار المسلمين دائما هو :

﴿ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (١)

فهل انتشر الإسلام بالسيف أيها المستشرق ؟ الجواب كلا ولكنه الحقد والحسد الذي يملأ قلوب هؤلاء تجاه الإسلام والمسلمين .

وحين دخل المسلمون مكة وهم ذوو شوكة ولهم قوة وكثرة لم يقتلوا أعداءهم أو ينتقموا منهم بل سامحهم النبي (ﷺ) وعفا عنهم بعد كل الذي فعلوه معه في مكة وكان من الممكن أن يقوم بقتلهم وتشريدهم كما شردوا المسلمين وعذبوهم طوال هذه الفترة التى امتدت ثلاثة عشر عاما ولكنه (ﷺ) قال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء .

وما كادت العرب فى أنحاء الجزيرة تسمع أن محمدا (ﷺ) انتصر على خصومه وفتح مكة حتى هرعت وفودهم الى النبى (ﷺ) تعلن اسلامها حتى سمى العام التاسع للهجرة عام الوفود . لم تبق قبيلة فى الجزيرة الا قدم منها وفد يعلن اسلامه . وهذا يدل على انهم كانوا من قبل يريدون الدخول فى الإسلام وقريش تصدهم عنه ولمن شاء أن يوازن بين هذا وبين المذابح العنيفة التى قام بها أباطرة الرومان بدءا من الإمبراطور قسطنطين ليجبروا شعوبهم على الدخول في المسيحية بعد أن قبلتها الدولة دينا رسميا لها . أما اليهودية

---

١ - المائدة : ٨ .

فتاريخها حافل بالمذابح والحروب العنيفة ، لا لتهود الناس ، بل لتجليهم عن أراضيهم وتستولى على ممتلكاتهم فهم يرون أنفسهم شعب الله المختار ﴿ قَالُواْ لَيسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ (١) . وبهذا استباحوا دماء الشعوب الأخري ، واعتبروهم اتباعا لهم . أما الإسلام فهو دين الناس عامة . والناس كلهم فيه سواء . وبهذا نجد الإسلام قد سلم من وصمة التعصب كما سلم من وصمة الإكراه .

أيها المستشرق : إن الإسلام قاتل الفرس والرومان نعم ما في ذلك شك ولكن السوال الذي يطرح نفسه هو : هل قاتل هاتين الدولتين ليدخل الناس في الإسلام أو ليجبر أحدا على اعتناق دعوته الجواب :لا،لأن قانون الإسلام الوثيق الذي لا يتغير إطلاقا هو:﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (٢)

إذن الإسلام قاتل هؤلاء ودخل معهم في حروب ليس من أجل إكراه أحد على الدخول فيه . ولكن من أجل منع الفساد في الأرض وإقرار العدالة بين الناس والقضاء على ظلم الحكام واستعباد طوائف البشر ، تلك الأمور كانت منتشرة بين دولتي الفرس والروم وما وضحناه يبين لنا كيف انتشرت الدعوة الإسلامية وسارت من مكان إلي مكان معتمدة على الإقناع والتلطف والقدرة الحسنة والمثل الصالح ولم تقرن بها قوة تساندها بالبطش والجبروت وتكره الناس على الدخول فيها بالعنف والإرهاب لا . إنما هي بساطة العقيدة ، وسماحة الدعوة الإسلامية ورقة مبادئها .

ويتبين من هذا كله أن الإسلام دين سمح كريم لم يكن السيف أداة لانتشار الدعوة الإسلامية . ولقد غاب عن هذا المستشرق وأتباعه أن الإسلام

---

١ - آل عمران : ٧٥ .

٢ - البقرة : ٢٥٦ .

دين يمتاز في جوهره بأنه يدعو إلي عقيدة ومبدأ والمبادئ والعقائد لا تنموا بالعنف ولا تنتشر بالإكراه بل بالإقناع والإقناع وفي القرآن الكريم كتاب الدعوة [illegible] ما يدل على ذلك قال تعالى : ﴿ ادعُ إلى سبيلِ ربِّكَ بالحكمة وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١)

الشبهة السابعة : تعدد الزوجات :

يشن الغربيون المتعصبون من رجال الدين والاستشراق والاستعمار حملة قاسية على الإسلام والمسلمين بسبب تعدد الزوجات ، ويتخذون منها دليلا على اضطهاد الإسلام للمرأة واستغلال المسلمين لها في إرضاء شهواتهم ونزواتهم

وبالنظر إلي موضوع التعدد نجد أن الإسلام لم يكن أول من شرع تعدد الزوجات . بل كان موجودا في الأمم القديمة كلها تقريبا :

عند الأثينيين، والصينيين،والهنود ، والبابليين والأشوريين ، والمصريين ولم يكن له عند أكثر هذه الأمم حدّ محدود .

وقد سمحت شريعة (ليكي) الصينية بتعدد الزوجات إلى مائة وثلاثين إمرأة والديانة اليهودية كانت تبيح التعدد بدون حدّ ، وأنبياء التوراة جميعا بلا استثناء كانت لهم زوجات كثيرات ، وقد جاء في التوراة أن نبي الله سليمان (عليه السلام) كان له سبعمائة امرأة من الحرائر وثلاثمائة من الإماء .

ولم يرد في المسيحية نصّ صريح يمنع التعدد ، وإنما فيه على سبيل الموعظة ان الله خلق لكل رجل زوجة فقد جاء في بعض رسائل بولس ما يفيد

---

(١) [illegible] ١٢٥ [illegible] الإسلام والمستشرقون د/ عبد الجليل شلبي

أن التعدد جائز فقد قال : يلزم أن يكون الأسقف زوجاً لزوجة واحدة) (١) ففي إلزام الأسقف وحده بذلك دليل على جوازه لغيره .

وقد ثبت تاريخيا أن من بين المسيحيين الأقدمين من كانوا يتزوجون اكثر من واحدة ، وفي آباء الكنيسة الأقدمين من كان لهم كثير من الزوجات .

قال (وستر ماك) : إن تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بقي إلي القرن السابع عشر،وكان يتكرر كثيرا في الحالات التى لا تحصيها الكنيسة والدولة (٢)

والشعوب الغربية المسيحية وجدت نفسها تجاه زيادة عدد النساء على الرجال عندها وبخاصة بعد الحربين العالميتين (إزاء مشكلة اجتماعية خطيرة لا تزال تتخبط في إيجاد الحل المناسب لها ، وقد كان من بين الحلول التى برزت ، إباحة تعدد الزوجات وفي عام ١٩٤٩ تقدم اهالي (بون) عاصمة ألمانيا الاتحادية بطلب إلي السلطات المختصة يطلبون فيه أن ينص في الدستور الألماني على إباحة تعدد الزوجات (٣) .

إن المفكرين الغربيين الأحرار أثنوا على تعدد الزوجات ، وبخاصة عند المسلمين يقول الفيلسوف الألماني الشهير : شو بنهور في رسالته : كلمة عن النساء : إن قوانين الزواج في أوربا فاسدة المبني بمساواتها المرأة بالرجل . فقد جعلتنا نقتصر على زوجة واحدة فأفقدتنا نصف حقوقنا ، وضاعفت علينا واجباتنا ، على أنها ما دامت أباحت للمرأة حقوقا مثل الرجال كان من اللازم أن تمنحها أيضاً عقلاً مثل عقله .

١ - رسالة بولس الأولي إلي تيموساوس .
٢ - حقائق الإسلام للعقاد ص (١٧٧) .
٣ - الأحكام الشخصية د / محمد يوسف موسى ص (١٢٩) .

ولا تقدم امرأة من الأمم التى تجيز تعدد الزوجات زوجاً يتكفل بشئونها والمتزوجات عندنا قليل ، وغيرهن لا يحصين عددا ، وتراهن بغير كفيل بين بكر من الطبقات العليا قد شاخت وهي قائمة متحسرة ، ومخلوقات ضعيفة من السفلي ، يتجشمن الصحاب ، ويتحملن مشاق الأعمال ، وربما ابتذلن فيعشن تعيسات متلبسات بالخزي والعار ففي مدينة لندن وحدها ثمانون ألف بنت عمومية سفك دم شرفهن على مذبحة الزواج ضحية الاقتصار على زوجة واحدة ، ونتيجة تعنت السيدة الأوربية وما تدعيه لنفسها من الأباطيل . أما آن لنا ان نعد بعد ذلك تعدد الزوجات حقيقة لنوع النساء بأسره ؟

اذا رجعنا الى أصول الأشياء لا نجد ثمة شيئا يمنع الرجل من التزوج بثانية إذا اصيبت امراته بمرض مزمن تتالم منه ، أو كانت عقيما أو على توالى السنين أصبحت عجوزا ، ولم تنجح (المورمون) ([1]) في مقاصدها إلا بإبطال هذه الطريقة القطيعة : طريقة الاقتصار على زوجة واحدة ([2]) .

فالإسلام ليس أول من أتي بتعدد الزوجات ، ولكنه أول دين نظم شئون الزواج ، وحدد تعدد الزوجات بقيود شديدة ، وشروط قاسية فقال عز وجل : ﴿ فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ ([3]) .

وقال جل في علاه : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ ([4]) .

---

١ – فرقة من البروتستانت تتيح تعدد الزوجات وتمارسه فعلا ولها كنائسها المنتشرة فى أوربا وأمريكا .

٢ – الإسلام روح المدنية للغلاييني ص (٣٢٤) .

٣ – النساء : ٣ .

٤ – النساء : ١٢٩ .

فالإسلام أباح تعدد الزوجات ، عند وجود مبررا التعدد بشرط القدرة الصحية والمالية ، والعدالة المطلقة بين الزوجات ، فمن خاف الإنسان الظلم وعدم العدالة وجب عليه أن يكتفي بزوج واحدة .

ويؤخذ من قوله تعالي : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ أن العدالة بين الزوجات من النساء غير ممكنة ، وليست في استطاعة الإنسان ، ولو حرص على أن يكون عادلاً ، ثم نهاه عن أن يميل كل الميل إلي واحدة دون أخري .

فالإسلام أباح أن يتزوج الرجل اثنين أو ثلاثاً أو أربع زوجات إذا وجدت مبررات للتعدد ، كأن تكون الزوجة عاقراً لا تلد أو مريضة مرضاً معديا ، أو مزمناً لا يرجي علاجه أو شفاؤه ، ولكنه طالب بالعدل في المعاملة ، والمساواة التامة في الميل والمحبة والمعاملة ، والاكتفاء بواحدة إن خاف الرجل ألا يعدل ، ثم بين ان العدالة بين الزوجات بعيدة المنال ، ولو حرص الرجل على تحقيقها ، فكأن الإسلام أباح أن يتزوج الرجل زوجاً واحدة ، بعد أن كان التعدد مباحا بلا حصر قبل الإسلام .

وقد دلّ الإحصاء في جميع أنحاء العالم على أن عدد النساء أكثر من الرجال ، فخوفاً من العار والفساد أباح للرجل تعدد الزوجات بشرط العدالة المطلقة ، والقدرة على النفقة ، وهذا التعدد يؤدي إلي زيادة عدد السكان في الأمة فتقوي ، وتستطيع الدفاع عن نفسها ، ويخشي العدو بأسها وقوتها .

وإن من ينظر إلي الأمم الغربية اليوم يجد أنها تشكو قلة النسل وانتشار الأمراض السرية ، وكثرة الأولاد غير الشرعيين من أبناء الزني ، وتزيد نصبتهم في : باريس ، وميونخ ، وفينا ، وبروكسل ، على خمسين في المائة ، فالتعدد فيها واقع بالفعل ، ولكنه بطريقة غير شرعية ، ولكن التعدد في الإسلام

قد أبيح بقيود شديدة ، ونظم تنظيما دقيقا أدي إلي العفة والاستقامة ، والطهارة والمحافظة على الشرف والعرض والأخلاق (١) .

وقد عبّرت عن الآثار المدمرة لمنع التعدد في الغرب سيدة إنجليزية عام ١٩٠١ م فقالت : لقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء وقل الباحثون عن أسباب ذلك ، وإذا كنت امرأة أنظر إلي هاتيك البنات وقلبي يتقطع شفقة عليهن وحزنا وماذا عسي يفيدهن حزني وبثي وتفجعي وإن شارك فيه الناس جميعا لا فائدة إلا في العمل بما يمنع هذه الحالة الرجسة ، لله درّ العالم الفاضل (تومس) فإنه رأى الداء ووصف له الدواء الكامل الشافي وهو الإباحة للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة وبواسطة هذا يزول البلاء لا محالة وتصبح بناتنا ربات بيوت . فالبلاء كل البلاء في إجبار الرجل الأوربي على الاكتفاء بامرأة واحدة ، فهذا التحديد هو الذي جعل بناتنا مشردات وقذف بهن إلي التماس أعمال الرجال ، ولابد من تفاقم الشر إذا لم يبح للرجل التزوج بأكثر من واحدة وبإباحة تعدد الزوجات تصبح كل امرأة ربة بيت وأم أولاد وشرعيين (٢) .

كذلك قال العالم الإنجليزي (مستر جواد) :

إن النظام البريطاني في الجامد الذي يمنع تعدد الزوجات نظام غير مرضي فقد أضرّ بنحو مليوني امرأة ضررا بالغا حيث صيرهن عوانس وأدي بشبابهن إلي الذبول وحرمهن من الأولاد وبالتالي ألجاهن إلى نبذ الفضيلة واتباع الرذيلة (٣) .

---

١ - مكانة المرأة في الإسلام محمد عطية الإبراشي ص (٧٦ ، ٧٨) بتصرف .

٢ - مجلة المنار للسيد رشيد رضا المجلد الرابع ص (٤٨٥) .

٣ - جريدة القبس العدد ١٧٠٥ عام ١٩٧٧ تحت عنوان : الغرب يطالب بتعدد الزوجات .

ويقول عضو مجلس النواب الفرنسي : إن في فرنسا الآن مليون وخمسمائة ألف فتاة لن يجدن لهن أزواجاً على افتراض أن كل شاب فرنسي يتزوج فتاة واحدة ، وإني أقول بصراحة ما أنا واثق بصحته وهو أن المرأة لا تتمتع بصحة جيدة ما لم تصبح أما وفي اعتقادي أن القانون الذي يحكم مثل تلك الفئة الكبيرة بأن تعيش على نقيض ناموس الطبيعة إنما هو قانون وحشى ، بل مناف لكل عدالة (١) .

ويقول الفيلسوف الكاتب : جوسفاف لوبون في كتابه حضارة العرب : إن تعدد الزوجات يجنب المجتمع ويلات هذه الأمة من أخطار الخليلات ويتخلص القوم من الأولاد الذين لا أب لهم أى اللقطاء ، ثم يثني على مبدأ نظام تعدد الزوجات الشرقي فيقول : إنه نظام طيب يرفع المستوي الأخلاقي في الأمم التى تقوم به ويزيد الأسرة ارتباطاً ويمنح المرأة احتراماً وسعادة لا تراها في أوربا كلها (٢) .

ويقول السناتور _ جرين) عضو لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي : إن الضمير الأمريكي يجب أن يتحرك ، وأن معاهدة لتصحيح الموقف يجب أن تعقد أما الموقف فهو خاص بسبعين ألف ابن حرام ، ولدوا بسبب الجنود الأمريكان فلما حاولت إحداهن أن ترفع قضية نفقة حكم القضاء البريطاني ضدها ، وقال القاضي في حكمه : إن العبرة تقضي بضرورة أن تحرص هؤلاء الشابات في علاقتهن مع الجنود الأمريكان حرصا أكثر من ذلك وبذلك سقطت نفقة سبعين ألف فتاة وامرأة (٣) .

---

١ - المصدر السابق .

٢ - النظم القانونية الأفريقية محمود سلام زناتي ص (١٠٦) ط ١٩٦٦ م .

٣ - المرأة في الإسلام كمال أحمد عون ص (٨٧) .

ومن هنا أليس الأفضل والأكرم للمرأة أن تكون علاقتها بالرجل علاقة مشروعة تحت سمع القانون وبصره ، وفي رعاية المجتمع وتكريمه ؟

أليس من حق هؤلاء الأولاد غير الشرعيين أن تكون ولادتهم عن طريق شرعي فيعيشوا في المجتمع مرفوعي الرأس ؟ موفوري الكرامة ؟ .

أليس الإصرار على منع التعدد قانونا مع المطالبة بالاعتراف بنتائج التعدد غير القانوني إهانة للمرأة ، وإساءة للأولاد ، وتشجيعا على الإثم والفجور وفساد الأخلاق باسم التحرر ؟

نعم كل هذا مطلوب ولكن الغربيين وعلى رأسهم المستشرقين لا يفقهون

ولقد سئلت إحدي نساء المورمون عن رأيها في تعدد الزوجات فقالت : أفضل أن أكون المرأة العاشرة لرجل سام بمداركه على أن أكون الزوجة الوحيدة لرجل متوسط (١) .

التعدد في الإسلام وعند الغربيين :

إن نظام التعدد في الاسلام نظام أخلاقي وإنساني معا ، أما إنه أخلاقي فلأنه لا يسمح للرجل أن يتصل بأي امرأة شاء ، وفي أي وقت شاء ، إنه لا يجوز للرجل أن يتصل بأكثر من ثلاث نساء زيادة علي زوجته . ولا يجوز له أن يتصل بواحدة منهن سرا ، بل لابد من إجراء العقد وإعلانه ولو بين نفر محدود ، ولا بد أن يعلم أولياء المرأة بهذا الاتصال المشروع ويوافقوا عليه ، أو لا يبدو عليه اعتراضا ، ولابد من تسجيله في محكمة مخصصة لعقود الزواج ، ويستحب أن يولم الرجل عليه ، وأن يدعو لذلك أصدقاءه ، وأن يضرب له الدفوف مبالغة في الفرح والإكرام .

---

١ – الاسلام والحضارة العربية محمد كرد على ص (٩١) ج ١ .

وأما أنه إنساني فلأنه يخفف الرجل به من أعباء المجتمع بإيواء امرأة لا زوج لها ونقلها إلي مصاف الزوجات المصونات المحصنات ، ولأنه يدفع ثمن اتصاله الجنسي مهدا وأثاثا ونفقات تعادل فائدته الاجتماعية من بناء خلية اجتماعية للامة نسلا عاملا ، ولأنه لا يخلي بين المرأة التى اتصل بها وبين متاعب الحمل وأعبائه ، بل يتحمل قسطا من ذلك بنفقة عليها أثناء حملها وولادتها ، ولأنه يعترف بالأولاد الذين أنجبهم من هذا الاتصال الجنسي ويقدمهم للمجتمع ثمرة من ثمرات الحب الشريف الكريم ، يعتز هو بهم ، وتعتز أمته بهم

أما التعدد عند الغربيين فإنه لا يقع باسم الزوجات ولكنه يقع باسم الصديقات والخليلات ، إنه ليس مقتصراً على أربعة فحسب ، بل هو إلي ما لا نهاية له من العدد ، إنه لا يقع علناً تفرح به الآسرة ، ولكن سراً لا يعرف به أحد ، إنه لا يلزم صاحبه بأية مسئولية مالية نحو النساء اللاتي يتصل بهن ، بل حسبه أن يلوث شرفهن ، ثم يتركهن للخزى والعار والفاقة ، وتحمل آلام الحمل والولادة غير المشروعة ، إنه لا يلزم صاحبه بالاعتراف بما نتج عن هذا الاتصال من أولاد ، بل يعتبرون غير شرعيين ، يحملون على جباههم خزى السفاح ما عاشوا ، لا يملكون أن يرفعوا بذلك رأساً ، إنه تعدد خال من كل تصرف أخلاقي أو يقظة وجدانية ، أو شعور إنساني ، انه تعدد تبعث عليه الشهوة والأنانية . ويفر من تحمل كل مسئولية . فأي النظامين ألصق بالأخلاق . وأكبح للشهوة ، وأكرم للمرأة ، وأدلّ على الرقي ، وأبرّ بالإنسانية ؟ .

ومن هنا فلماذا كل هذه الضجة ضد الإسلام ونظامه من ناحية الغربيين ألا يشعرون في قرارة أنفسهم بأنهم ليسوا على حق في هذه الإثارة بعد أن

تبين لهم الحق ، ولكن كيف ذلك مع قوم اتصفوا بالعصبية والغرور والتعصب والحقد للإسلام (١) .

الشبهة الثامنة :

يقول هنري ماسيه في كتابه : (عن الإسلام) إن القرآن كان قليل الرأفة بالنساء (٢) . فهل هذا الافتراء صحيح ؟ أم انه كذب وبهتان وحقد وحسد على الإسلام ورسوله (ﷺ) والقرآن الكريم .

وبالنظر إلي الشريعة الإسلامية نجد أنها أنصفت المرأة . وأعطتها حقوقها كاملة غير منقوصة ، بعدما ظلمتها الجاهليات كلها ، فشريعة الإسلام حررتها من قيودها ، وكرمتها وأعلت من مكانتها باعتبارها إنسانا وبنتا وزوجه وأما وعضوا نافعا في الأسرة والمجتمع .

كرمتها إنسانا : منذ أعلن الإسلام أنها مكلفة كالرجل تماما ، وأنها مثابة ومعاقبة مثله في الطاعة والمعصية ، في الخير والشر ، وأنها أحد شقي الإنسانية . فلا بقاء للنوع بغيرها وفي هذا يقول الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٣) .

ويقول سبحانه وتعالي : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾ (٤) .

---

١ - المرأة بين الفقه والقانون د / مصطفي السباعي ص (٩٣ ، ٩٤) .

٢ - ص : ١٧٣ .

٣ - الحجرات : ١٣ .

٤ - آل عمران : ١٩٥ .

ويقول جل في علاه : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١) .

ويقول الرسول (ﷺ) : " إنما النساء شقائق الرجال " (٢)

وكرمتها بنتاً : فأنكرت أشد الإنكار وأدها خشية الإملاق قال عز وجل : ﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ (٤) . أو خوف العار الذي يلحق به من جراء ولادتها .

قال عز وجل : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٥) .

---

١ - الأحزاب : ٣٥ .

٢ - رواه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه .

٣ - الإسراء : ٣١ .

٤ - الأنعام : ١٥١ .

٥ - النحل : ٥٨ ، ٥٩ .

ولو لم يكن من فضل للشريعة الإسلامية إلا تحريم هذه العادة السيئة لكفاها فخراً ، كما أوجبت الشريعة الإسلامية حسن تأديبها وتعليمها ورعايتها والإنفاق عليها حتى تتزوج ، كما فرضت على الأب ألا يزوجها إلا برضاها وإذنها ، وإذا كانت بكرا تستحي من إظهار الإذن والرضا بالقول فجعل إذنها صماتها (١) .

وكرمتها زوجة : فجعلت لها مثل ما للرجل من الحقوق وعليها ما عليه من الواجبات ، قال تعالي : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ (٢) .

اما درجة القوامة والمسئولية عن الأسرة ، فجعلتها الشريعة الإسلامية للرجل ، حيث انه أكثر تبصيرا بالعواقب من المرأة ، كما انه الغارم في بناء الأسرة ، فيظل حريصا على بقائها ، كما أوجبت لها النفقة وتمام الكفاية والمعاملة بالحسني ، قال عز وجل : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (٣) وهذا أمر للرجال بإحسان معاملة النساء ، حتى في حالة الكراهية والطلاق : ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٤) .

وكرمتها أماً : فجعلت الجنة تحت أقدامها ، كما قال رسول الله (ﷺ) : " الجنة تحت أقدام الأمهات " (٥) .

---

١ - أضواء على النظم الإسلامية للمؤلف ص (١٧١ ، ١٧٢) .

٢ - البقرة : ٢٢٨ .

٣ - النساء : ١٩ .

٤ - النساء : ١٩ .

٥ - أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ص (١٠٣) .

وأمرت بحسن صحبتها ومعاشرتها إكراماً لأمومتها ، وجزاء لما عانت في سبيل أولادها كما قال عز وجل : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا ﴾ (١) .

وكرمتها كذلك باعتبارها عضوا مدنيا نافعا في الأسرة والمجتمع ، فأنكرت اعتبارها عند موت زوجها شيئاً تورث كما يورث المتاع والدواب قال عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا ﴾ (٢) .

وقررت أهليتها للتملك والبيع والشراء وسائر العقود فهي تملك كما يملك الرجل تماماً بتمام قال تعالي : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ (٣) . وأصبح لها بفضل الشريعة الإسلامية حظ في الإرث الذي كان من قبل مقصوراً على الرجال قال تبارك وتعالي : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصيِبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ (٤) كما جعلت الشريعة الإسلامية لها حقا بل عليها واجبا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فليس ذلك من اختصاص الرجل في المجتمع المسلم قال جل في علاه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥) .

---

١ - الأحقاف : ١٥ .

٢ - النساء : ١٩ .

٣ - النساء : ٣٢ .

٤ - النساء : ٧ .

٥ - التوبة : ٧١ .

ففي هذه الآية الكريمة إثبات ولاية المؤمنين والمؤمنات بعضهم لبعض ، والولاية عبارة عن تعاونهم وتناصرهم لما فيه خيرهم ، كما أن الآية أثبتت للمرأة حق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالأعمال الصالحة ، وهذا برهان واضح في إعطاء المرأة حقها من النشاط الاجتماعي .

ونعلم جميعاً قصة المرأة التى عارضت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو فوق المنبر يخطب في تحديد المهور ، فرجع عمر إلي قولها ، قائلا : أصابت المرأة وأخطأ عمر .

كما جعلت الشريعة الإسلامية طلب العلم فريضة على المرأة كما على الرجل سواء بسواء . قال الرسول (ﷺ) : "طلب العلم فريضة على كل مسلم" (١) . ومن هنا رأينا منهن العالمات والأديبات والشاعرات والحافظات المسندات في علم الحديث . يرحل إليهن الحفاظ والمحدثون ويأخذون منهن بغير إثم ولا حرج . كما سجل ذلك تاريخ علم الحديث كما أفسحت الشريعة لها مجالا لمشاركة الرجال في ميادين الجهاد، فيما يلائم طبيعتها مثل الإسعاف والتمريض والخدمات الطبية . وعند الضرورة يمكنها أن تحمل السلاح وتقاتل . كما فعل ذلك كثير من نساء الصحابة رضي الله عنهن في غزوات الرسول (ﷺ) .

كما يلاحظ أن الله عز وجل خاطب رسول الله (ﷺ) بقوله تعالي : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ ﴾ (٢) . فهذه دعوة من القرآن الكريم الذي يصفه (هنري ماسيه) بأنه قليل الرأفة بالنساء – إلي صيانة المرأة عن التبذل والتكلف والتهتك . حماية لها من أذي النظرات الآثمة واللمسات الظالمة ، لأن

---

١ - رواه ابن ماجة في سننه .

٢ - الأحزاب : ٥٩ .

المرأة المتهتكة تغري الرجل الفاجر بالتعرض لها والطمع فيها ، ولذلك جاء في القرآن الكريم أيضاً توجيه آخر عظيم : ﴿ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلا مَّعْرُوفًا ﴾ (١) أي لا ترققن الكلام ترقيقاً حتى لا يطمع فيكن الفاسق ونقول لهنري ماسيه : الفضل ما شهدت به الأعداء ، فهذه امرأة هولندية تسمي (ستان وايتنس) تقول : إني أعتنقت الإسلام لأنه أعطاني حاجتي من الروح والعقل معاً ، ووجدت فيه الطمأنينة التى بحثت عنها كثيراً . إن الإسلام قد منح المرأة مركزاً مرموقاً بينما هي في الأديان الأخرى أمة لا حق لها (٢) .

وامرأة أخرى تسمي (إفي بيزانت) تقول في كتابها : حياة محمد وتعاليمه : إن المرأة في ظل الإسلام أكثر حيرة منه في ظل المذاهب الأخرى ، فالإسلام يحمي حقوق المرأة اكثر من المسيحية التي تحظر تعدد الزوجات وتعاليم القرآن بالنسبة للمرأة أكثر عدالة وأضمن لحريتها . فبينما لم تنل المرأة في إنجلترا حق الملكية إلا منذ عشرين سنة ، فإن الإسلام قد أثبت لها حق التملك منذ اللحظة الأولي ، ومن الافتراء أن يقال: إن الإسلام يعتبر النساء مجردات من الروح (٣)

ويوصي الرسول (ﷺ) فيقول : " اتقوا الله في النساء ، لا يفرك مؤمن مؤمنة . من كره منها خلقا رضي الآخر " (٤) .

---

١ - الأحزاب : ٣٢ .

٢ - مفتريات على الإسلام أحمد محمد جمال ص (٦٩) .

٣ - أضواء على النظم الإسلامية للمؤلف ص (١٧٦) .

٤ - رواه الإمام مسلم في صحيحه

الشبهة التاسعة : الطعن في عالمية الدعوة :

يقول موير في كتابه الخلافة : إن فكرة عالمية الرسالة جاءت فيما بعد ، وهذه الفكرة على الرغم من كثرة الآيات والأحاديث التى تؤيدها لم تخطر ببال محمد (ﷺ) نفسه ، وعلى فرض أنه فكر فيها ، فقد كانت فكرته غامضة ، إذ أن عالمه الذي يفكر فيها إنما هو بلاد العرب ، كما أن هذا الدين الجديد لم يهيأ إلا لها كما أن محمداً (ﷺ) لم يوجه دعوته منذ بعث إلي أن مات إلا للعرب دون غيرهم ، وهكذا نري أن عالمية الإسلام غرست بين تعاليم الإسلام ، ولكنها إذا كانت قد اختمرت ونمت بعد ذلك ، فإنما يرجع هذا إلي الظروف والأحوال أكثر منه إلي الخطط والمناهج (١) .

هذا ما ادعاه موير على الإسلام ودعوته ، وأنه دعوة خاصة جاء للعرب ، ولم يتعداهم إلي غيرهم من الناس ، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على تعصبه لدينه وحقده وحسده على الإسلام ودعوته وهذا قلب للحقائق وتزييف للتاريخ . وإذا كان الإسلام دعوة خاصة بالعرب دون غيرهم كما يدعي هذا الحاقد ، فلما أرسل الرسول (ﷺ) الكتب والرسل إلي الملوك والرؤساء يدعوهم إلي الإسلام والدخول في دعوته ، إن التاريخ يؤيد ما نقول ، حيث أرسل الرسول (ﷺ) كتابا إلي هرقل عظيم الروم يدعوه فيه إلي الإسلام هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلي هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدي ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ، ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ

---

١ - دراسات في الدعوة والدعاة للشيخ محمد الغزالي ص (١٢٠) .

تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

فإن ادعي هذا الحاقد أن الدعوة موجهة لعظيم الروم وهي دعوة فردية نقول له : إن الدعوة للملك دعوة للشعب كله بوصفه ممثلا للشعب الذي يحكمه ويرعاه ، ودولة الروم كانت لها مستعمرات كثيرة ومتعددة ، ولذلك قال الرسول (ﷺ) " أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين " مرة بإسلامك ومرة بإسلام قومك ، وان أبيت الإسلام وأعرضت عنه فإن عليك إثم الرعية والأتباع لأنهم اتبعوك ، فدعوة الملك تعتبر دعوة للإمبراطورية كلها .

كذلك بعث الرسول (ﷺ) عبد الله بن حذافة السهمي إلي كسري عظيم فارس ومعه كتاب فيه " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلي كسري عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدي ، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلي الناس كافة لينذر من كان حياً " أسلم تسلم . فإن أبيت فإنما عليك إثم المجوس (٢) .

كذلك أرسل النبي (ﷺ) حاطب بن أبي بلتعة برسالة إلي المقوقس عظيم القبط هذا نصها : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلي المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدي ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم القبط ، ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا

---

١ - صحيح الإمام مسلم ج ٢ ص (٩١) والآية ٦٤ من سورة آل عمران .

٢ - تاريخ الأمم الإسلامية ج ١ ص (١٤٦) .

وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

كما بعث النبي (ﷺ) عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه إلي النجاشي ملك الحبشة برسالة هذا نصها : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلي النجاشي ملك الحبشة ، سلم أنت فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك ، القدوس ، السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ، ألقاها إلي مريم البتول الطيبة العصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه ونفخه ، كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإن أدعوك إلي الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله ، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً ونفراً معه من المسلمين فإن جاءك فأقرهم ، ودع التجبر ، فإني أدعوك وجنودك إلي الله ، وقد بلغت ونصحت فاقبل نصحي ، والسلام على من اتبع الهدي (٢) .

وأيضا أرسل النبى (ﷺ) عمرو بن العاص برسالة إلى جيفر وعبد ابني الجلندي يدعوهما فيها إلي الإسلام هذا نصها : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلي جيفر وعبد ابني الجلندي سلام على من اتبع الهدي ، أما بعد فإني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما ، فإني رسول الله إلي الناس كافة ، لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين . فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام ملككما زائل عنكما وخيل تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما (٣) .

---

٢ - السيرة الحلبية ج ٢ ص (٣٧١) .

٢ - السيرة الحلبية ج ٢ ص (٣٦٩ - ٣٧٠) .

٣ - زاد المعاد لابن القيم ج ٣ ص (٦٢) .

من الرسائل السابقة يظهر لنا بوضوح ان الإسلام ودعوته دعوة عالمية جاءت للبشرية جمعاء لم تختص بقوم دون قوم أو بيئة دون بيئة ، بل كانت عامة للإنسانية كلها مشرقها إلي مغربها ، من شمالها إلي جنوبها ، فكل من سمع بها فعليه أن يدخل في دين الله تعالي ويردّ السير توماس أرنولد على هذا الافتراء قائلا تحت عنوان (الإسلام دين عالمي) قائلا : لم تكن رسالة الإسلام مقصورة على بلاد العرب ، بل إن للعالم أجمع نصيبا فيها ، ولما لم يكن هناك غير إله واحد ، كذلك لا يكون هناك غير دين واحد ، يدعي إليه الناس كافة ، ولكي تكون هذه الدعوة عامة ، ولكي تحدث أثرها المنشود في جميع الناس وفي جميع الشعوب ، نراها تتخذ صورة عملية في الكتب التى يروي أن محمدا (ﷺ) بعث بها في السنة السادسة من الهجرة إلي ملوك ذلك العصر [1] وقد وضحناها قبل قليل .

إن الإسلام هو دين الله الكل ، دين الإنسانية كلها ، أبيضها وأسودها فبينما يحكي القرآن الكريم عن الرسالات السابقة أنها كانت لقوم كل نبي خاصة ، نجدهُ بالنسبة للإسلام ينص في صراحة قاطعة أنه دين الله للناس جميعاً . قال عز وجل في شأن الرسالات السابقة على الإسلام ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﴾ [2] ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً ﴾ [3] ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ [4] ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ﴾ [5] ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ [6] ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن

---

١ - مع الله مرجع سابق للشيخ محمد الغزالي ص (١٢٣).

٢ - الأعراف : ٥٩ .

٣ - الأعراف : ٦٥ .

٤ - الأعراف : ٧٣ .

٥ - الأعراف : ٨٠ .

٦ - الأعراف : ٨٥ .

بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾ (١) وقال تعالي في شأن عيسى عليه السلام : ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (٢) وفي شأن سيدنا محمد ﷺ قال عز وجل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٣) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) ﴿ وَمَا هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٥) ﴿ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٦) وهكذا نجد أن عموم الرسالة جاء ذكره في القرآن الكريم في المكي والمدني على السواء ويقول الرسول (ﷺ) : " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، وأحلت لي الغنائم ولم تحلّ لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلي قومه خاصة وبعثت إلي الناس عامة " (٧) .

وإذا كان الإسلام دعوة إلي الكافة وإلي العالم أجمع، ورسوله محمد (ﷺ) أرسله الله عز وجل إلي الناس أجمعين ، فإنه لا نبي بعده فهو خاتم النبيين ورسالته اختتمت بها رسالات السماء قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِجَالِكُم وَلَكِن رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (٨) وعلى ذلك فالإسلام هو دين جميع الشعوب والأجيال ، دين الجيل الذي بعث فيه الرسول (ﷺ) ، ودين

---

١ - الأعراف : ١٠٣ .

٢ - آل عمران : ٤٩ .

٣ - الأنبياء: ١٠٧ .

٤ - سبأ: ٢٨ .

٥ - القلم : ٥٢ .

٦ - التكوير : ٢٧ .

٧ - تفسير ابن كثير ج ٢ ص (٢٥٥) .

٨ - الأحزاب : ٤٠ .

الأجيال من بعده حتى يوم الدين ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، لأنه دين الله تعالي . ولن يقبل الله عز وجل من البشر دينا غيره قال جل في علاه : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١) .

وأيضا من الآيات القرآنية التى نزلت تدل على عموم الرسالة الإسلامية قوله تعالى:﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾(٢)

ومن الأحاديث الدالة على عموم الإسلام وعالميته ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله (ﷺ) انه قال : " والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار " (٣) .

وفي الصحيح أيضا أن رسول الله ﷺ قال:"بعثت إلي الأسود والأحمر قال مجاهد:يعنى الجن والإنس وقال غيره : يعني العرب والعجم والكل صحيح (٤) .

إن الدعوة الإسلامية منذ اللحظة الأولي لجميع العالمين ، إنس وجن ، أبيض وأسود ، أحمر وأصفر ، حر وعبد ، قاص ودان ، غني وفقير ، حاكم ومحكوم ، وإذا كانت هذه الرسالة غير محدودة بعصر ولا جيل ، فهي كذلك

---

١ - الأحزاب : ٤٠ .

٢ - الفرقان : ١ .

٣ صحيح مسلم ج ١ ص (٧٥) .

٤ - تفسير ابن كثير ج ٣ ص (٥٣٩) .

غير محدودة بمكان ولا بأمة ، ولا بشعب ، ولا بطبقة ، إنها الرسالة الشاملة ، التى تخاطب كل الأمم ، وكل الأجناس ، وكل الشعوب ، وكل الطبقات " (١) .

وصدق الله عز وجل إذ يقول : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٢) .

ونقول للمستشرقين والمعارضين : إذا كانت الدعوة الإسلامية خاصة بالعرب دون غيرهم ، فلماذا دخل في الإسلام : بلال الحبشي ، وصهيب وسلمان الفارسي ؟ إن الأول من الحبشة ، والثاني من الروم ، والثالث من فارس ، ولو كانت الدعوة خاصة كما ادعي هذا الحاقد وغيره ممن تابعه ، لما دخل هؤلاء في دين الإسلام ، أما وقد أسلموا ودخلوا في الدين الإسلامي فهذا دليل واضح وحجة دافعة على عموم دعوة هذا الدين ، وأن ادعاءهم على خصوصية الدعوة دعوة ليس لها دليل من الصحة ، وأن النصوص والآثار التي ذكرناها كلها تؤيد عموم الدعوة وأنها جاءت للعالمين ، ممن عاصر الدعوة ومن يأتي بعد ذلك إلي يوم القيامة .

الشبهة العاشرة : الحكمة من تعدد زوجات الرسول (ﷺ) :

لم يسلم الرسول (ﷺ) من سهام المستشرقين والمغرضين والمعادين للاسلام ورسالته ولذلك وجهوا سمومهم بالطعن بسبب تعدد زوجاته عليه الصلاة والسلام . وهذه عادة المستشرقين من اليهود والنصارى . الذين يفترون الكذب والبهتان وادعوا أن التعدد إنما كان من أجل الشهوة واللذة والمتعة النفسية فما صحة هذا القول ؟

---

١ - الخصائص العامة للاسلام د / يوسف القرضاوي ص (١٠١) .

٢ - الصف : ٩ .

الرد على هذه الفرية :

إن الرسول (ﷺ) لم يكن فيما فعله من تعدد الزوجات بدعًا من الرسل ، فذانك داود وسليمان عليهما السلام قد تزوجا كثيرا من النساء وهما ذانك الرسولان اللذان لا يسمع عاقلا إنكار نبوتهما أو احتقار شريعتهما وما أتيا به من الصحف السماوية وقد جاء في التوراة أن نبي الله سليمان عليه السلام كان له سبعمائة امرأة من الحرائر وثلاثمائة من الإماء ([1]) .

والمعروف أن التعدد كان مباحا ، وقد سمحت شريعة (ليكي) الصينية بتعدد الزوجات إلي مائة وثلاثين امرأة والديانة اليهودية كانت تبيح التعدد بدون حد ، وأنبياء التوراة جميعا بلا استثناء كانت لهم زوجات كثيرات فلماذا يثيرون التشكيك في نبي الإسلام (ﷺ) وزواجه من أمهات المؤمنين .

أخرج الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " قال سليمان بن داود لأطوفنّ الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارسا يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه إن شاء الله فلم يقل ولم تحمل شيئا إلا واحدا ساقطا إحدي شقيه ، فقال النبي (ﷺ) لو قالها لجاهدوا في سبيل الله " .

إن تعدد زوجات الرسول (ﷺ) ليس كما يدعي هؤلاء الحاقدون ، إنما هو رحمة من الله عز وجل ، ولقد اتفق اكثر المسلمين على أن للنبي (ﷺ) من الخصائص ما ليس لأمته وذكروا لذلك أسباب وجيهة منها :

---

١ - هداية المرشدين ص (٣٢٠) للشيخ على محفوظ وأضواء على النظم الإسلامية للمؤلف .

- أن التعدد في حق الرسول (ﷺ) إلى إحدى عشرة زوجة ليس متعة كما يدعي هؤلاء الحاقدون من المستشرقين ، إنما كان القصد منه هو تأليف القلوب وجمع القبائل على الإسلام ولقد تحقق ذلك فقد تغلب على بعض قبائل العرب المعاندة بالمصاهرة وأسلم الكثير منهم وحسن إسلامهم وأصبحوا قوة بجانب المسلمين .

- الدعوة الإسلامية تطلب القوة والمساعدة من أصحاب النفوذ والشأن بين القوم وخاصة في قبائل العرب ، وبهذه الحكمة صاهر الرسول (ﷺ) من قريش وبعض قبائل العرب لتكون أكبر الأثر في تأليف القلوب نحو الإسلام .

- لو كان التعدد حبا لمتعة أو شهوة كما يدعي المستشرقون لما حرم الله عز وجل على رسوله (ﷺ) أن يطلق منهن أو يتزوج عليهن قال تعالى : ﴿ لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء مِن بَعْدُ وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ (١) .

- إن الرسول (ﷺ) لم يتزوج بغير السيدة خديجة قبل الإسلام وقد قضى معها شبابه حيث مكث معها رضي الله عنها خمسا وعشرين سنة فأين الهوى واللذة والمتعة والشهوة .

- كذلك فإن من تزوجهن الرسول (ﷺ) لم يكن أبكارا إلا السيد عائشة رضي الله عنها .

- كذلك فإن أكثر الزوجات قد وهبن أنفسهن للرسول (ﷺ) وهن من الأرامل اللواتي تزوجن بعد أن تركهن أزواجهن من غير ناصر ولا معين لهن فكان (ﷺ) هو الزوج المخلص المعين بعد الله عز وجل .

---

١ - الأحزاب : ٥٢ .

ولو نظرنا إلي زوجات الرسول (ﷺ) نجد أن الأولي :

السيدة خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها :

تزوجها الرسول (ﷺ) قبل البعثة وهو ابن خمس وعشريين سنة وكان سنها في ذلك الوقت أربعين سنة ، وكان صداقها عشرين بكرة من الإبل ولم يتزوج النبي (ﷺ)عليها حتى توفيت رضي الله عنها .

وكانت رضي الله عنها متزوجة قبل الرسول (ﷺ) برجل اسمه هند وولدت له ولداً اسمه هالة فكان ربيب رسول الله (ﷺ) ، وقد قضي النبي (ﷺ) شبيبته وطائفة من كهولته ولا زوج له إلا خديجة ، ماتت رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنوات بعد أن مكثت معه خمساً وعشرين سنة ولدت له جميع أولاده ما عدا إبراهيم .

فلم يتزوج النبي (ﷺ) قبل بعثته من شاء وهو في أول عنوان شبابه وقد كان العرب يكثرون من الزوجات ، حتى أن منهم من كان تحته العشر والعشرون امرأة في وقت واحد ، فلو كان للهوي والشهوة واللذة سلطان على قلب الرسول (ﷺ) لاتخذ من الزوجات من شاء خصوصاً من الأبكار وهو في أول شبابه واستكمال قواه ، لا شرع يحول بينه وبين بغيته ولا عادة تمنعه من قضاء مآربه وتمتعه بلذة الحياة ولا سيما وقد كان مرغوباً فيه بين الناس لما اشتهر به من مكارم الأخلاق وحميد الخصال والجمال الذي فاق به يوسف بن يعقوب عليه السلام (١) .

---

٢ – هداية المرشدين للشيخ علي محفوظ ص (٣٢١) .

وقد اختارته رضي الله عنه زوجاً لها لأنه الصادق الأمين فيما اشتهر به بين قومه وعاش معها إلي يوم وفاتها على أحسن حال من السيرة الطاهرة والسمعة النقية ثم وفَّي لها بعد موتها فلم يفكر في الزواج .

سودة بنت زمعة :

بعد أن ماتت خديجة رضي الله عنها تزوج النبي (ﷺ) سودة بنت زمعة رضي الله عنها العامرية القرشية بعد أن جاوزت الخامسة والخمسين ، وقد كانت من السابقين إلي الإيمان وهاجرت مع زوجها السكران بن عمرو الانصاري إلي الحبشة في المرة الثانية ، مات عنها زوجها عقب رجوعه من الهجرة ، وكان من أنصار الرسول (ﷺ) ، وكان قويا في عقيدته مخلصا في حبه للرسول عليه الصلاة والسلام فترك زوجته من غير ناصر ولا عائل يتولاها وخافت إذا عادت إلي قومها أن يقتلوها أو يعذبوها حتى تعود إلي الكفر . فلما علم الرسول (ﷺ) بأمر سودة وبحالها أرسل عليه الصلاة والسلام من يخطبها . ليكون لها ناصرا وعائلا وحافظا فما أجمل ما فعله الرسول (ﷺ) من الرحمة بها وتعويضها خيرا مما ضاع منها ، بل هو عين الحكمة ومنتهي الشفقة والحنان ، فكان تزوج المصطفي عليه الصلاة والسلام بها حماية لها من أن تصل إليها يد الأذي ، كما كان ذلك اكبر سلوان لها على فقد زوجها . ولولا ذلك لارتدت على أعقابها خاسرة لتوالي المحن وكثرة الفتن التى كانت تحيط بها . ولو كان الأمر للشهوة واللذة كما يدعي الحاقدون لما تزوجها الرسول (ﷺ) وهي في حالة الكبر ، وبهذا الزواج المبارك أسلم من قوم سودة بنت زمعة كثير ودخلوا في دين الله أفواجا (١) .

---

١ - المرأة ومكانتها في الإسلام ص (١٤٦ ، ١٤٧) عبد العزيز الحصان .

عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما :

وهي الصديقة بنت الصديق أبي بكر رضي الله عنهما تزوجها النبي (ﷺ) ليجعل بينه وبين قريش رابطة قوية وذلك عندما مات أبو طالب عم الرسولﷺ لشهر من موت خديجة رضي الله عنها وبموت أبي طالب فقد النبي (ﷺ) رجلا كان يناضل عنه ويصد عنه هجمات الأعداء ما استطاع ، فبعد موت أبي طالب أخذ الأمر يشتد على النبي (ﷺ) فعقد على السيدة عائشة رضي الله عنها ليقوي هذه الرابطة بينه وبين قريش وكان سنها يومئذ بين السادسة والسابعة من عمرها فقد كان والدها أبو بكر رضي الله عنه معظما في قريش ، واسع المال . عزيز الجانب ومن هنا أسرع الرسول (ﷺ) بالعقد عليها مع أنها قاصر ، وأنه لم يدخل بها إلا وهي بنت تسع سنين ، وذلك بالمدينة المنورة في السنة الثانية عشرة من الهجرة وكانت بكراً ولم يتزوج النبي (ﷺ) بكراً غيرها ، فلم تكن بالعقد عليها محلاً لقضاء شيء من المآرب الشهوية كما يدعي المستشرقون حتى يميل إليها نظر النبي (ﷺ) أو غيره ، ولكنه نظر الحكمة والسداد الذي أيد الله عز وجل به رسوله الأكرم وحبيبه الأمين (ﷺ) ([1]) .

حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما :

هي حفصة بنت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما كانت تحت زوجها الحسن بن حذافة السهمي وهو من اصحاب رسول الله (ﷺ) ، ومن أشد أنصاره قاتل في سبيل الله حتى استشهد في غزوة بدر الكبرى وكانت حفصة مواسية للجرحي في الميدان وقد أكرمها رسول الله (ﷺ) فتزوجها وكان عمره عليه الصلاة والسلام حين تزوجها الخامسة والخمسين وكان عمرها واحدا وعشرين ولم تكن رضي الله عنها ذات جمال ، ولكن الرسول (ﷺ) أراد

---

١ - هداية المرشدين ص (٣٢٢)

أن يجعل بينه وبين قريش رابطة قوية ، فكان ذلك الزواج مرضاة للشهيد وزوجته ووالدها أجمعين ([1]) .

أم حبيبة رضي الله عنها :

ومن هذا القبيل ولهذا الاعتبار أيضا تزوج الرسول (ﷺ) بأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب الأموي وتسمي (هند أو رملة) وهي التى نبذت دين أمها هند بنت عتبة وأبيها أبي سفيان فحل قريش زعيم القوم وكبير العشيرة أبي معاوية . هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلي أرض الحبشة الهجرة الثانية فولدت له حبيبة ، فتنصر زوجها هناك وثبتت هي على الإسلام ، ثم مات زوجها هناك أيضا ، فكتب (ﷺ) إلي النجاشي ليزوجه إياها فأبلغها النجاشي ذلك فسرّ خاطرها سرورا لا يعرف مقداره إلا الذي يعلم السر وأخفي ، فأكرمها ولطف بها ، والذي تولي عقد النكاح عثمان بن عفان رضي الله عنه وجهزها النجاشي من عنده وأرسلها مع شرحبيل بن حسنة ، والكل يعرف من خلال قراءته للتاريخ والسيرة مقدار العداوة بين بني أمية وبين الرسول (ﷺ) والمسلمين وعلي رأسهم جميعا أبو سفيان والد أم حبيبة رضي الله عنها ، فقد تفنن أبو سفيان في أنواع الأذى الشديد وإلحاقة بالرسول (ﷺ) والمسلمين فكان هذا الزواج مباركا لبنى امية فلانت قلوبهم القاسية للاسلام وبعد مدة من الزمن أسلم كثير منهم وعلى رأسهم أبو سفيان بن حرب وهند بنت عتبة . فما أجملها من هداية ، وما أكرمها من حكمة .

ثم نقول للمستشرقين الحاقدين على الإسلام وبني الإسلام ما قولكم في هذا الزواج أهو للذة والشهوة أم انه رحمة وشفقة وهداية .

---

١ - المرجع السابق ص (٣٢٢) .

جويرية رضي الله عنها :

هى جويرية بنت الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق واسمها (برة) كانت من سبايا بني المصطلق فتزوجها النبي (ﷺ) بعد ان أعتقها ، ليقتدى به المسلمين فأعتقوا من كان تحت أيديهم من نساء بني المصطلق إكراما لمصاهرة الرسول (ﷺ) لهم . فأسلم بتوا المصطلق جميعا فكانت جويرية رضي الله عنها أيمن امرأة على قومها .

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قال : " أصاب رسول (ﷺ) نساء بني المصطلق فأخرج الخمس منه ثم قسمه بين الناس فأعطى الفرس سهمين والرجل سهما ، فوقعت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس . فجاءت إلي رسول الله (ﷺ) فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه ، وقد أصابني من الأمر ما قد علمت وقد كاتبني ثابت على تسع اواق فأعني على فكاكي فقال : أو خير من ذلك ؟ فقالت : نعم يا رسول الله . فقال رسول الله : قد فعلت وخرج الخبر إلي الناس فقالوا أصهار رسول الله يسترقون ؟ فأعتقوا ما كان في أيديهم من سبي بني المصطلق ، فبلغ عتقها مائة بيت بتزوجه عليه الصلاة والسلام إياها " (١) وتوفيت في عام خمسين عن عمر يناهز ستة وخمسين عاما رضي الله عنها وكانت من أعبد أمهات المؤمنين .

فهل في هذا الزواج أيضا شهوة ولذة ومتعة أراد الرسول (ﷺ)أن يحققها أم أنه الحقد والحسد والتشويش .

---

١ - الحديث : متفق عليه وانظر : هداية المرشدين ص (٣٢٤) .

صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها :

ولنفس الاعتبار السابق تزوج الرسول (ﷺ) صفية بنت حيي بن أخطب سيد بني النضير ، ومن أشرف بيوت اليهود ، وصفية من سبط هارون بن عمران عليه السلام ، والدها _ حيي) زعيم بني النضير وهي قبيلة معروفة عند العرب وهم من يهود خيبر وقعت أسيرة وقتل أبوها وأخوها وزوجها فأسلمت على يد الرسول (ﷺ) . فعن إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال : لما دخلت صفية على النبي (ﷺ) قال لها : لم يزل أبوك من أشد اليهود لي عداوة حتى قتله الله ، فقالت : يا رسول الله إن الله يقول في كتابه العزيز : ﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ فقال لها رسول الله (ﷺ) : اختاري فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي وإن اخترت اليهودية فعسي أن أعتقك فتلحقي بقومك ، فقالت : يا رسول الله لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني ، حيث صرت إلي رحلك ومالي في اليهودية أربٌ ومالي والد ولا أخ ، وخيرتني الكفر والإسلام فالله ورسوله أحب إليّ من العتق وأن أرْجع إلي قومي قال : فأمسكها رسول الله لنفسه" (١).وقد رضيته زوجا مع أنه كان لها أن ترجع إلي أهلها بعد العتق

توفيت سنة خمسين في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنها .

أم سلمة المخزومية : هند بنت أبي أمية رضي الله عنها :

وهي زوج أبي سلمة عبد الله بن الأسد بن عمة النبي (ﷺ) وهي (برة) بنت عبد المطلب وكان زوجها أخاه من الرضاع مات عنها أبو سلمة ومعها أربع بنات : بُرة وسلمة وعمرة ودُرّة ، رافقت زوجها إلي الحبشة فرارا بدينها ، وفي غزوة أحد أصيب زوجها بجرح عميق وبعد شهور توفي ، فأواها النبي (ﷺ) وتزوجها بعد أن اعتذرت إليه وقالت : إني امرأة مسنة وإني أم أيتام

---

١ - الحديث رواه غير واحد .

وانى شديدة الغيرة ، فأرسل الرسول (ﷺ) إليها رسولاً يقول لها أما الأيتام اضمهم إليَ وأدعو الله تعالي أن يذهب عن قلبك الغيرة ، ولم يعبأ بالسِّن ، بل كانت تلك المزهدات والعقبات من أقوي الدواعي للإسراع في طلبها وعطفا عليها ورحمة ببناتها وصلة لرحمها ووفاء بحق أخيه من الرضاع ، وإيواء لصغاره من بعده ، وهذا هو عين الحكمة ونهاية الكرم من الرسول (ﷺ) ، فكان الأب الرحيم لهؤلاء الأيتام ولم يشعروا بفقد أبيهم ، فهل هذا العمل من الرسول (ﷺ) فيه شهوة ولذة ومتعة ومع من أم لأيتام وأرملة مات زوجها ؟

زينب بنت خزيمة (أم المساكين) رضي الله عنه :

كانت زينب بنت خزيمة رضي الله عنها تحت زوجها عبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب وهو الذي بارز عتبة بن ربيعة في غزوة بدر الكبرى حتى قتله وجرح عبيدة حتى بشره الرسول (ﷺ) ببشري عظيمة بقوله : " أشهد انك شهيد " حتى مات رضي الله عنه ، وقد كانت حين استشهاد زوجها تقوم بواجبها في إسعاف الجرحي . وتضميد جراحهم ، ولم يشغلها استشهاد زوجها عن القيام بواجبها حتى كتب الله عز وجل النصر للمؤمنين في أول معكرة خاضوها مع المشركين ، ولما علم الرسول (ﷺ) بصبرها وثباتها وجهادها ، ولم يعد هناك من يعولها ويرعاها خطبها لنفسه وآواها وجبر خاطرها بعد أن انقطع عنها الناصر والمعين في الدنيا ، وكانت رضي الله عنها قد بلغت الستين من عمرها حينما تزوجها الرسول (ﷺ) ولم تعمر عند النبي عليه الصلاة والسلام سوي عامين ، ثم توفاها الله إليه راضية مرضية ([1]) .

فما رأى المستشرقين الحاقدين في هذا الزواج الشريف وغايته النبيلة أهو شهوة أم لذة أم متعة ؟ هل يجدون فيه شيئا من ذلك .

---

[1] شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول (ﷺ) . محمد علي الصابوني ص (٤٤) ١٩٨٠ م . السيرة النبوية ابن هشام ج ٤ ص (٢١٦) . تاريخ الطبري ج ٣ ص (١٧٧)

الجواب كلا . بل هو النبل والرحمة والإحسان من رسول الرحمة والإنسانية الذي بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين .

ونقول لهؤلاء الأفاكين الحاقدين اتقوا الله فيما تكتبون وأدوا العلم لذات العلم لأنه أمانة وابتعدوا عن الخيانة التى أدت بكم الى الخبث واللؤم والدس والكيد لا لشيء إلا الحقد والحسد .

زينب بنت جحش رضي الله عنها :

السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها ابنة عمة الرسول ﷺ "أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم" زوجها ﷺ من مولاه زيد بن حارثة . فنفرت منه . وعز على زيد أن يروضها على طاعته ، وكان النبي ﷺ يوصيه بمصابرتها والإمساك عليها وتقوى الله في شأنها ، ولكنها كانت كارهة للبقاء معه فطلقها زيد وتزوجها الرسول ﷺ لحكمة لا تعلوها حكمة في زواج أحد من أزواجه ﷺ وهى إبطال بدعة التبنى ، ولكن أعداء الإسلام الحاقدين عليه وعلى رسول الله ﷺ جعلوا من تزوجه قصة حشوها بأكاذيبهم للنيل من نبوته ﷺ ومن دين الإسلام وهذه عادة أعداء الإسلام من مستشرقين وحاقدين فقد زعموا أن النبى ﷺ مر ببيت زيد وهو غائب ، فرأى زينب فأحبها ، ووقعت في قلبه فقال : سبحان مقلب القلوب فسمعت زينب ذلك فلما جاء زوجها أخبرته بما سمعت من الرسول ﷺ فعلم أنها وقعت في نفسه ، فأتي الرسول يريد طلاقها ، فقال له : أمسك عليك زوجك وفى قلبه غير ذلك فطلقها زيد من أجل أن يتزوجها الرسول ﷺ (١) .

وهذا الزعم باطل لأن الرسول (ﷺ) كان معها في كل وقت وموضع لأنها ابنة عمته وأقرب الناس إليه ، ولم يكن جينئذ حجاب فكيف ينشأ معها ويلحظها فى كل ساعة . ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج وهبته نفسها . والله عز

---

١ - المفسرون والمستشرقون في زواج النبي (ﷺ) بزينب بنت جحش د / زاهر عواض الألمعي ١٩٧٦ الحلبي القاهرة ، الإسلام دين الفطرة والحرية عبد العزيز جاويش .

وجل أعلم رسول (ﷺ) بأن زيداً سيطلق زينباً وأنه سيتزوجها من بعده ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام خشي من المنافقين واليهود والذين يسعون بالفاحشة ويقولون بأن محمداً تزوج امرأة ابنه فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد (ﷺ) : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حرجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا ﴾ (١)

مما سبق يتضح لنا أن الرسول ﷺتزوجها بأمر من الله ونسخاً لعادة التبني التى كانت منتشرة بين قبائل العرب وجبراً لخاطرها فإنه هو الذي زوجها من زيد وكانت ابنة عمته ولو أرادها زوجة له قبل أن يزوجها لزيد لفعل وحاشا وكلا لرسول الله ﷺ أن يفعل هذه الأشياء وهو رسول مرسل مبلغ رسالة ربه وهو الأمين الذي يقول الله عز وجل فيه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢)

لقد زوج الله رسوله من فوق سبع سموات وهو أمر رباني القصد فيه هدم التبني السائد بين عرب الجزيرة .

توفيت عام عشرين من الهجرة وهي أول من ماتت بعده من أزواجه

---

١ - الأحزاب : ٣٧ .

٢ - القلم : ٤ .

أهداف الاستشراق

لا شك أن أهداف الاستشراق قد بدت واضحة جلية ، وهي التشكيك فى الإسلام ورسالته وعقيدته وشريعته وفي شخصية الرسول (ﷺ) وأصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين ، فضلا عن تبني فكرة أن القرآن من صنع النبي محمد (ﷺ) ولا صلة له بالوحي حتى تتزعزع العقيدة في نفوس أبنائها وبالتالي يتحقق لهم المراد وهو إعاقة المد الإسلامي من جانب ، وضعف إيمان المسلمين ليسهل السيطرة عليهم واستعمارهم وإعطاء الفرصة للنصارى أن يتمسكوا بدينهم من جانب آخر فلا يخطر ببال أحدهم أن يعمل عقله في عقيدته أو تناقض كتبها ولا يخفي خطر ذلك على الدعوة الإسلامية التى يعد الاستشراق أحد معاولها العامة ([1]) . ومن هنا كانت أهداف المستشرقين :

١ - الحيلولة بين الشعوب النصرانية وبين الإسلام ، فقد عمل المستشرقون على تشويه صورة الإسلام وحجب محاسنه لإقناع قومهم بعدم صلاح هذا الدين لهم كنظام حياة ، ولعل هذا هو أخطر الجوانب التى قام لأجلها الاستشراق والتبشير وذلك في أعقاب الحروب الصليبية ، وعودة المحاربين إلى أوربا ، يحملون صورة مشرقة لمعاملات المسلمين لهم وسماحة الإسلام . وقد عمد رجال الكنيسة إلي إخراس الألسنة المنصفة ، وحاولوا ترجمة القرآن لتزييف مفاهيمة وانتقاصها ، وقد استغل الاستشراق كراهية الأوربيين للإسلام بعد التوسع العثماني في أوربا وما صحبه من تعصب وحروب استمرت عدة قرون ، فعمل المستشرقون على تعميق الكراهية والأحقاد في نفوس الأوربيين وتغذيتها بالشبهات والأباطيل بهدف حجب الإسلام عن أوربا والحيلولة دون نفاذه إليها .

---

[1] الوحدة الإسلامية والحركات المعادية لها د / يوسف محمد يوسف. منهج الإسلام في تحقيق الوحدة الإسلامية د / إحمد حسن غنيم .

٢ - تأييد الغزو الاستعماري لبلاد المسلمين والعمل لتحطيم المقاومة الإسلامية ، بتأويل الجهاد وصرف أنظار المسلمين إلي الدعة والراحة والقعود عن الجهاد في سبيل الله ومدافعة الغزاة بالاشتغال بالعبادة والزهد وتسميتها بالجهاد الأكبر ، وتحطيم وحدة المسلمين وتمزيق الدول الإسلامية ، وعزل الشريعة الإسلامية عن التطبيق في المجتمع الإسلامي وإحلال الأنظمة القانونية والاقتصادية والسياسية والتربوية لتحل محل الإسلام بالقوة والبطش .

٣ - فصل المسلمين عن جذورهم الثابتة الأصيلة ، بتشويه تلك الأصول ، وعزلها عن مصادرها ، وهدم المقومات الأساسية للكيان الفردي والاجتماعي والنفسي والعقلي للمسلمين ، ومن شأن هذا أن يفتح الباب إلي الاستسلام أمام الاستعمار وثقافته وفكره،والتأثير في نفوس المسلمين وزحزحة عقائدهم بما يفتح للتبشير المسيحي طريقاً إلي تحويل بعض ضعاف العقيدة إلي ملاحدة واتباع .

والخلاصة فقد كان المستشرقون طلائع للمبشرين يمهدون السبيل أمامهم لتشكيك المسلمين في عقائدهم ، ويفتحون أمام دعاة النصرانية السبيل للطعن في الإسلام ونبيه محمد (ﷺ) بأنواع شتي من الشعوذة العلمية باسم البحث والاستنتاج التحليلي .

وتبدو خطورة الاستشراق في آثاره الخطيرة التى يفرضها المستشرقون على مناهج التعليم والثقافة والفكر في العالم الإسلامي وقد حرص المستشرقون على كسب الأنصار واستخدام الأتباع لترديد مفترياتهم على الإسلام ، وافتعال معارك حول عقائده وآدابه ومختلف أحكامه لتعميق المفاهيم التى يريدون فرضها وترسيخها في الأذهان ، وتوسيع دائرة الانتفاع بها .

أصناف المستشرقين

بالنسبة لمواقفهم من الإسلام

من خلال العرض لأهداف المستشرقين المتعددة يتضح لنا أنهم ليسوا فئة واحدة . بل هم فئات مختلفة تتراوح بين الاعتدال والتطرف ، والإنصاف والتعصب ، ومن هنا فإن معرفة هذين النوعين من المستشرقين أمر في غاية الأهمية حتى نعرف المعتدل منهم من المتطرف لنكون على بينة من أمرهم جميعا ويقظة تامة .

المستشرقون المعتدلون :

لا نستطيع أن ننكر أن طائفة من المستشرقين اتصفوا بالاعتدال والإنصاف على تفاوت فيما بينهم ، فمنهم من أخطأ وأصاب ومنهم من انتهي به البحث الحر النزية إلي الإيمان والإسلام ويعتبر من الفريق الأول .

رينان : الذي انتهي به بحثه عن المسيح عليه السلام إلي إثبات انه لم يكن إله ولا ابن إله ، وإنما هو إنسان يمتاز بالخلق السامي والروح الكريمة . وأن السير العربية للنبي محمد (ﷺ) كسيرة ابن هشام لها ميزة تاريخية أكبر من الأناجيل المتداولة بين النصارى .

كارلايل : الذي عد محمداً (ﷺ) في الأبطال وخصه بصفحات كثيرة من كتابه الأبطال يقول فيه : من العار أن يصغي أى إنسان متمدين من أبناء هذا الجيل إلي وهم القائلين : أن دين الإسلام كذب ، وأن محمداً لم يكن على حق ، فالرسالة التى دعا إليها هذا النبي ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً من الزمن لملايين كثيرة من الناس ، وما الرسالة التى أداها محمد (ﷺ) إلا الصدق والحق ، وما كلمته إلا صوت الحق صادق وصادر من العالم المجهول ، وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع، ذلك أمر الله ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

تولستوي : أكبر كتاب روسيا ، فإنه لما رأى الحملة الظالمة على الإسلام ورسونه كتب رأيه معبرا عن الإعجاب بالإسلام ، وتحدث عن المسيحية ، فأنكر على المسيحيين اعتقادهم بألوهية المسيح ، وخلص إلي أن بولس لم يفهم تعاليد المسيح بل طمسها ، والكنيسة زادت تعاليم المسيح في العقيدة غموضا ويقول : إن المسيحيين واليهود والمسلمين يعتقد جميعهم بالوحي الإلهي ، فالمسلمون يعتقدون نبوة موسى وعيسى ولكنهم يعتقدون كما اعتقد بأنه دخل التحريف والتشويه على كتب الديانتين ، وهم يعتقدون بأن محمداً خاتم الأنبياء . وأنه أوضح في القرآن الكريم تعاليم موسى وعيسى كما قالاها دون زيادة ولا نقص ، ثم ينتهي بالحديث عن رسول الله محمد (ﷺ) حديث الإكبار والتعظيم ، وكان مما قاله تولستوي : لا ريب أن هذا النبي من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة . ويكفيه فخراً أنه هدي أمة برمتها إلى نور الحق،وجعلها تجنح للسلام ، وتكف عن سفك الدماء ، وتقديم الضحايا . ويكفيه فخرا أنه فتح طريق الرقي والتقدم ، وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أوتي قوة وحكمة وعلما،ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال وقد كان جزاؤه على هذه الكلمة التى قالها أن حرمه البابا من الرحمة ([1]) .

ومن الذين هداهم الله للإسلام ما يلي :

اللورد هيدلي : يقول إنني أعتقد أن هناك آلافا من الرجال والنساء أيضا مسلمون قلبا ، ولكن خوف الانتقاد والرغبة في الابتعاد عن التعب الناشئ عن التغيير جعلهم يمتنعون عن إظهار معتقداتهم .

---

١ - التبشير والاستشراق : أحقاد وحملات للمستشار محمد عزت الطهطاوي ص (٥٩ - ٦٢) .

ولقد أسلم اللورد هيدلي لما أحسّ به من عقيدة سهلة خالية من التشويه ، وكانت زيارته للشرق قصة إذ يقول عنها : إنها ملأته احتراماً عظيماً للدين الاسلامي السلس ، الذي يجعل الإنسان يعبد الله حقيقة طول مدة حياته لا في أيام الآحاد فقط كما يفعل النصارى ، إنه ليس هناك في الإسلام إلا إله واحد نعبده ونتبعه ، وليس هناك قدوس آخر يشركه معه (١) .

إيتين دينيه : هو فرنسي نشأ من أبوين مسيحيين وتلقن عقائد المسيحية من تثليث وصلب وفداء وتعميد ، لكنه شعر بالقلق ففكر وتأمل في المسيحية ، وفي الكنيسة وفي البابا المعصوم ، وفي المسيح على ما يقولونه من أنه ابن الله وأنه هو الله وهو بشر ؟ ثم صلب ليطهر بني البشر من اللعنة ، كيف يجتمع كل ذلك وفي شخص واحد ، فتدور رأس إيتين دينيه أمام هذه التناقضات ، فلم ير بداً من هذا اليأس إلا بقراءة الأناجيل ويخرج من بحثه بأن الإنجيل أوحي إلي عيسى عليه السلام بلغته ولغة قومه لكن هذا الإنجيل ضاع واندثر ولم يبق له أثر ، وانتهي تفكيره بعد أن سافر إلي الجزائر وتنقل فيها وفي بلاد المغرب حيث عاش مع المسلمين وخالطهم وسمع منهم أن العقيدة الإسلامية لا تقف عقبة في سبيل التفكير ، وبرز له الإسلام كضوء وفكرة تفاعلت لها نفسه كما تفاعل لها عقله،ثم أشرق الإسلام في قلبه وتسمي باسم (ناصر الدين) (٢)

رينيه جينو : هو عالم من أعلام الفكر وفيلسوف من الحكماء ، أراد أن يعتصم بنص مقدس لا يأتيه الباطل ، فلم يجد بعد دراسة عميقة سوي القرآن الكريم . فهو الكتاب الوحيد الذي لم ينله التحريف ولا التبديل ، لأن الله تكفل

---

١ - المرجع السابق ص (٤٩) .

٢ - المرجع السابق ص (٦٢ . ٦٣) .

بحفظه ، وحفظه حقيقة مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) .

لذلك اعتصم هذا الفيلسوف بالقرآن وسار تحت لوائه فغمره الإيمان وغشيته رحمات منزل القرآن ، فاهتدي بهديه وأسلم وحسن إسلامه ونسمي بالشيخ عبد الواحد ، وألّف كتباً كثيرة للتعريف بالإسلام والدفاع عنه ، ورغم أن الكنيسة حرفت قراءة كتبه بوصفه من كبار المفكرين الذين تخشى خطرهم ، بل حرفت حتى الحديث عنه ، ومع ذلك فقد انتشرت كتبه في جميع أرجاء العالم وطبعت مرات عديدة وترجم الكثير منها إلي جميع اللغات الحية ، بل ترجمت بعضها إلي لغة الهند (٢) .

الدكتور جرينييه : فرنسي كان عضواً في مجلس النواب الفرنسي ، قصده الرحالة السيد محمود سالم في مدينة (بونتارليه) وسأله عن سبب إسلامه فقال له : إنّي تتبعت كل الآيات القرآنية التى لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية والتى درستها من صغري وأعلمها جيدا . فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة ، فأسلمت لأني تيقنت أن محمداً (ﷺ) اتي بالحق الصراح ، من قبل ألف سنة ، من قبل أن يكون له معلم او مدرس من البشر ، ولو أن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيدا كما قارنت أيضا لأسلم بلا شك إن كان عاقلا خاليا من الأغراض (٣) .

---

١ – الحجر : ٩ .

٢ – التبشير والاستشراق أحقاد وحملات ص (٦٦ ، ٦٧) .

٣ – المرجع السابق ص (٦٧) . أوربا والإسلام لفضيلة الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر .

من خلال العرض السابق يتبين لنا أن المعتدلين من المستشرقين كانوا فريقين :

فريق اتسم بالموضوعية والنزاهة العلمية ولكنه لم يدخل الإسلام في الظاهر . وربما كان مسلما بقلبه خوفا من الانتقاد كما صرح بهذا اللورد هيدني

وفريق أسلم عن رغبة وحب في هذا الدين وذلك بعد الفحص والبحث والتنقيب .

المتطرفون من المستشرقين : هناك عدد من المستشرقين انحرفوا عن جادة الصواب والحق ، وكانوا غير موضوعيين في بحثهم ، نذكر منهم ما يلي لنكون على حذر ويقظة لأعمالهم :

١ - أ . ج أربري : إنجليزي معروف بالتعصب ضد الإسلام والمسلمين ، ومن محرري دائرة المعارف الإسلامية ، وهو أستاذ بجامعة كمبروج ، ومن المؤسف أنه أستاذ لكثير من المصربين الذين تخرجوا في الدراسات الإسلامية واللغوية في إنجلترا ومن كتبه :

الإسلام اليوم صدر في عام ١٩٤٣ م - مقدمة لتاريخ التصوف صدر في عام ١٩٤٧ م - التصوف صدر في عام ١٩٥٠ م - ترجمة القرآن صدر في عام ١٩٥٠ م .

٢ - الفرجيوم : إنجليزي معاصر اشتهر بالتعصب ضد الإسلام . حاضر في إنجلترا وأمريكا ، وتغلب على كتاباته وآرائه الروح التبشيرية ، ومن كتبه الإسلام ومن المؤسف أنه تخرج عليه كثير ممن أرسلتهم الحكومة المصرية في بعثات رسمية للخارج لدراسة اللغات الشرقية .

٣ – بارون كارادي فو : فرنسي متعصب ضد الإسلام والمسلمين ، ساهم بنصيب بارز في تحرير دائرة المعارف الإسلامية .

٤ – هـ . أ . ر . جب : أكبر مستشرقي إنجلترا المعاصرين ، كان عضوا بالمجمع اللغوي في مصر وهو أستاذ الدراسات الإسلامية والعربية في جامعة هارفرد الامريكية ، من كبار محرري وناشري دائرة المعارف الإسلامية له كتابات كثيرة فيها عمق وخطورة ، وهذا هو سر خطورته ومن كتبه :

طريق الإسلام ألفه بالاشتراك مع آخرين ، وترجم من الإنجليزية إلي الغربية تحت العنوان المذكور .

الاتجاهات الحديثة في الإسلام صدر في عام ١٩٤٧ م وأعيد طبعه وترجم إلي العربية تحت العنوان المذكور .

المذهب المحمدي صدر في عام ١٩٤٧ م وأعيد طبعه .

الإسلام والمجتمع الغربي ، صادر في أجزاء ، وقد اشترك معه آخرون في التأليف ، وله مقالات أخرى متفرقة .

٥ – جولد تسيهر : مجري عرف بعدائه للإسلام ، وبخطورة كتاباته عنه ، ومن محرري دائرة المعارف الإسلامية،كتب عن القرآن والسنة والحديث ومن كتبه :تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي المترجم إلي العربية تحت العنوان السابق

٦ – جون ماينارد : أمريكي متعصب كان يساهم في تحرير مجلة جمعية الدراسات الشرقية الأمريكية ، وخاصة باب الكتب الجديدة التى لها صلة بالإسلام وبالشرق على العموم .

٧ – س . م . زويمر : مستشرق مبشر ، اشتهر بعدائه الشديد للإسلام ، مؤسس مجلة العالم الإسلامي الأمريكية التبشيرية ، ومؤلف كتاب الإسلام تحد لعقيدة صدر في سنة ١٩٠٨ م وناشر كتاب الإسلام وهو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني في سنة ١٩١١ م بلكنو في الهند ، وتقديراً لجهوده التبشيرية أنشأ الأمريكيون وقفاً باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المبشرين .

٨ – عزيز عطية سوريال : مصري مسيحي ، كان أستاذاً بجامعة الإسكندرية وهو يدرس بإحدى جامعات أمريكا ، شديد الحقد على الإسلام والمسلمين ، وكثير التحريف للتعاليم الإسلامية ، يستعين على الحقد والتحريف بكونه بعيداً عن مصر والمسلمين ، له بعض الكتب عن الحروب الصليبية .

٩ – غ . فون جرونباوم : من أصل ألماني يهودي ، مستورد إلى أمريكا للتدريس بجامعاتها ، وكان أستاذاً بجامعة شيكاغو ، من ألد أعداء الإسلام ، وفي جميع كتاباته تخبط واعتداء على القيم الإسلامية والمسلمين ، كثير الكتابة . والمستشرقون معجبون به ومن كتبه : –

١ – إسلام العصور الوسطى صادر في عام ١٩٤٦ م .

٢ – الأعياد المحمدية صادر في عام ١٩٥١ م .

٣ – محاولات في شرح الإسلام المعاصر صدر في عام ١٩٤٧ م .

٤ – دراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية صدر في عام ١٩٥٤ م .

٥ – الإسلام مجموعة من المقالات المتفرقة صادر في عام ١٩٥٧ م .

٦ – الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية صادر في عام ١٩٥٥ م .

١٠ - فليب حتي : لبناني مسيحي ، كان أستاذا بقسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون بأمريكا ثم رئيساً لهذا القسم ، وهو الآن بالمعاش من ألد أعداء الإسلام ، ويتظاهر بالدفاع عن القضايا العربية في أمريكا ، وهو مستشار غير رسمي لوزارة الخارجية الأمريكية في شئون الشرق الأوسط ، يحاول دائما أن ينتقص من دور الإسلام في بناء الثقافة الإنسانية ، ويكره أن ينسب للمسلمين أي فضل ، فقد كتب على سبيل المثال في دائرة المعارف الأمريكية طبع سنة ١٩٤٨ م تحت عنوان : الأدب العربي ص ١٢٩ يقول : ولم تبدأ أمارات الحياة الأدبية الجديدة بالظهور إلا في القسم الأخير من القرن التاسع عشر ، وكان الكثرة من قادة هذه الحركة الجديدة نصارى من لبنان ، تعلموا واستوحوا من جهود المبشرين الأمريكيين ، ومحاولات (حتى) انتقاص فضل الإسلام والمسلمين فقط قاصرة على العصر الحديث ، ولكنها تنطبق على جميع مراحل التاريخ الإسلامي كما هو موضح في كتبه نذكر منها : تاريخ العرب ظهر بالإنجليزية وأعيد طبعه عدة مرات وهو ملئ بالطعن في الإسلام والسخرية من نبيه (ﷺ) ، وكله حقد وسم وكراهية - تاريخ سوريا - أصل الدروز وديانتهم صدر في عام ١٩٢٨ م .

١١ - أ . ج . فينسينك : عدو لدود للإسلام ونبيه (ﷺ) ، وكان عضواً بالمجمع اللغوي المصري ، ثم أخرج منه على أثر أزمة أثارها الدكتور الطبيب حسين الهواري مؤلف كتاب (المستشرقون والإسلام) صدر في عام ١٩٣٦ م . وحدث ذلك بعد أن نشر فينسينك رأيه في القرآن والرسول مدعيا أن الرسول (ﷺ) ألف القرآن من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية التى سبقته ، هذا والمعروف لفينسينك كتاب تحت عنوان (عقيدة الإسلام) صدر في عام ١٩٣٢ م

١٢ - كنيت كراج : أمريكي شديد التعصب ضد الإسلام ، قام بالتدريس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة لفترة من الوقت وهو رئيس تحرير مجلة العالم

الإسلامي الأمريكية التبشيرية ، ورئيس قسم اللاهوت المسيحي في هارتفورد ومعهد (مبشرين) ومن كتبه : دعوة المئذنة ١٩٥٦ م .

١٣ – **لوي ما سينيون** : أكبر مستشرقي فرنسا المعاصرين ، ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شئون شمال أفريقية ، والراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر ، زار العالم الإسلامي أكثر من مرة ، وخدم بالجيش الفرنسي خمس سنوات في الحرب العالمية الأولي ، وكان عضواً بالمجمع اللغوي المصري ، والمجمع العلمي العربي في دمشق ، متخصص في الفلسفة والتصوف الإسلامي ، ومن كتبه : الحلاج الصوفي الشهيد في الإسلام . صدر في عام ١٩٢٢ م وله كتب وأبحاث أخرى عن الفلسفة والتصوف وهو من كبار محررى دائرة المعارف الإسلامية .

١٤ – **د . ب . داكدونالد** : أمريكي من اشد المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين ، يصدر في كتاباته عن روح تبشيرية متأصلة ، من كبار محرري دائرة المعارف الإسلامية ومن كتبه :

تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الإسلام عام ١٩٠٣ م .

الموقف الديني والحياة في الإسلام صدر في عام ١٩٠٨ م .

١٥ – **مايلزجرين** : سكرتير مجلة الشرق الأوسط .

١٦ – **مجيد قدوري** : مسيحي عراقي ، رئيس قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة جون هوبكنز في واشنطن ، ومدير معهد الشرق الأوسط للأبحاث والتربية متعصب حقود على الإسلام وابنائه ، ومن كتبه المشحونة بالطعن والأخطاء : الحرب والسلام في الإسلام صدر في عام ١٩٥٥ م وله مقالات أخري .

١٧ – د . س . مرجليوث : إنجليزي متعصب ضد الإسلام ، ومن محرري دائرة المعارف الإسلامية ، كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي بدمشق ومن كتبه :

التطورات المبكرة في الإسلام صدر في عام ١٩١٣ م .

محمد ومطلع الإسلام صدر في عام ١٩٠٥ م .

الجامعة الإسلامية صدر في عام ١٩١٢ م .

١٨ – ر . ل . نيكولسون : كان من أكبر مستشرقي إنجلترا المعاصرين ، ومن محرري دائرة المعارف تخصص في التصوف الإسلامي والفلسفة ، وكان عضواً بالمجمع اللغوي المصري ، وهو من المنكرين على الإسلام أنه دين روحي ، ويصفه بالمادية وعدم السمو الإنساني ومن كتبه : متصوفو الإسلام صدر في عام ١٩١٠ م – التاريخ الأدبي للعرب صدر في عام ١٩٣٠ م .

١٩ – هارفلي هول : رئيس تحرير مجلة الشرق الأوسط الأمريكية . وخطورته أنه يوجه سياسة مجلة من أهم المجلات المعنية بشئون الشرق الأوسط السياسية والثقافية في العصر الحديث .

٢٠ – هنري لامنس اليسوعي : فرنسي من محرري دائرة المعارف ، شديد التعصب ضد الإسلام والحقد عليه ، مفرط في عدائه وافتراءاته لدرجة أقلقت بعض المستشرقين أنفسهم ومن كتبه : الإسلام – الطائف .

٢١ – يوسف شاخت : ألماني متعصب ضد الإسلام والمسلمين ، له كتب كثيرة عن الفقه الإسلامي وأصوله ، من محرري دائرة المعارف الإسلامية ، ودائرة معارف العلوم الاجتماعية ، وأشهر كتبه : أصول الفقه الإسلامي .

خطر الاستشراق على الدعوة الإسلامية

لقد لعب الاستشراق دوراً خطيراً في مقاومة الدعوة الإسلامية ومحاولة هدم بنائها الشامخ المتين بالتشكيك فيها في مجال العقيدة والشريعة ، وأيضا بالتشكيك في القرآن الكريم وشخصية الرسول (ﷺ) ، وما يتبع ذلك من قضايا تتصل عن قرب أو بعد بهذا الموضوع .

وإن كان هناك البعض القليل من المستشرقين قد أنصف الإسلام ، فإن [illegible] حجراً أمام سيل جارف منظم التخطيط مدعم بالسلاح والمال والخبث والمكر المسموم ضد الإسلام والمسلمين ، وما عسي أن يصنع حجراً أو والأمر كذلك . ونتصور مدي خطر الاستشراق على الدعوة الإسلامية ، ولا سيما إذا علمنا أن المؤلفات الاستشراقية بلغت (٦٠) ستين ألف مؤلف في شتي الميادين الإسلامية وأن نسبة ضئيلة جدا جدا من هذا الكم لا يتجاوز تقريباً الواحد في الالف [illegible] الإسلام ، وسبحان من يغير ولا يتغير وما ذلك على الله بعزيز .

[illegible] عمد المستشرقون إلي تشوية الثقافة الإسلامية والعربية ، وتشويه [illegible] بحقد من البحث العلمي تارة ، وتشويه الصحيح منه [illegible] الهدامة الخارجة عن منطق الحق كالقرامطة وغيرهم تارة اخري .

يقول الأستاذ أنور الجندي : جرت محاولات الاستشراق حول تزييف تفسير التاريخ الإسلامي وإخضاعه لمناهج وافدة تفسره مادياً أو اقتصادياً أو تخرجه عن منهجه الأصيل من دراسته والغاية المثلي من التعامل معه ([1]) .

- انظر مقدمة العلوم والمناهج المجلد الخامس ص ١٩ دار الأنصار.

ولما كان التاريخ عاملا هاماً من عوامل بناء الأمم وتربية الأفراد فقد حرص الاستشراق على إفساد هذه الغاية وذلك ببعث الجوانب المضطربة والروايات الخلافية وصور التناقض والخصومة وكلها صور لا قيمة لها في بحر التاريخ الإسلامي العريض المليء بصور البطولة والحيوية والقوة والذي كان قادرا على العطاء .الدائم للاجيال المتجددة .

وهكذا تبدو صورة الإسلام في كتابات المستشرقين مليئة بالسموم والاقتباسات العقلية والتاريخية وإن نظرة إلي كتابات (بروكلمان) في كتابه "تاريخ الشعوب الإسلامية" لتوحي بهذا الهدف فهو يدين كل الحركات الإسلامية الصحيحة ، ويعلي من شأن الزنج والقرامطة والباطنية .

أما روزنتال فإنه يصور التاريخ الإسلامي على أنه سلسلة متصلة من الحكام الطغاة وأن التاريخ الحضاري للإسلام كان تكراراً مسجلاً للأفكار ، وأن التاريخ الديني كان بقايا متحجرة متجمدة تناقلتها الأجيال جيلاً بعد جيل .

وهناك الغمز بصلاح الدين الأيوبي والتكلم عن شجاعة الصليبيين والقول بأن المصريين لم يعرفوا الاستقلال وأن تاريخهم يشهد بأنهم كانوا خاضعين للرومان والفرس والعرب فلماذا لا يخضعون للإنجليز ، وكذلك اتهامهم المسلمين بحرق مكتبة الإسكندرية ، ويحاول المستشرقون أن يصوروا الإسلام وقد قام بالسيف وأن المسلمين المجاهدين كانوا يطمعون من وراء الحزوب إلي الغنائم وأن العرب بدو غلاظ (١) .

---

١ - المرجع السابق ج ٥ ص (١٩٥) أنور الجندي .

واجب المسلمين نحو الاستشراق والمستشرقين :

إن الأمة الإسلامية مطلوب منها أن تقف موقفاً عظيماً ، وأن تعرف الواجب المنوط بها ، وأن تدرك الدور المكلفة به تجاه التبشير والاستشراق ، لأنه غزو فكري وهو مستمر دون توقف ، كما أن مؤسساته لا تتوقف عن العمل وشنّ حملات التغريب الواسعة ضد المسلمين حتى يبعدوهم عن دينهم . والغريب في الأمر بل الأشد خطرا أن هذه المؤسسات لا تهدأ ولا تستريح ولا تطمئن حتى تري الأمة الإسلامية كلها تحمل نظم الغرب وثقافته وتأخذ بطراز معيشته وأسلوبه في الحياة .

فكان لزاماً على الأمة الإسلامية أن تقف موقفاً حاسما نحو هذا الغزو . حيث أن الله عز وجل حملها رسالة الإسلام وجعلها خير أمة أخرجت للناس فقال تبارك وتعالي :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١) .

ومن هنا لابد أن ندرك أن المخرج الوحيد من هذه الحياة – حياة الذل والشتات والمهانة والسبيل الوحيد والطريق السليم للإنقاذ هو الرجوع والعودة الى الإسلام وفهمه فهما حقيقيا نقياً صافياً من الشك والرياء ، وهذا لا يكون إلا بالتصديق الجازم لعقيدته وشريعته ، وأن نحمل رسالة الإسلام كما حملها الرسول (ﷺ) . وخلفاؤه الراشدون رضى الله عنهم أجمعين من بعده . فبهذا الحمل الصادق الأمين للرسالة وهدم النظم والقوانين الغربية والتمسك بالإسلام دينا تنهض الأمة الإسلامية والعربية ونصبح خير الأمم على الإطلاق ما دامت

---

١ – آل عمران ١١٠ .

متمسكة بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله (ﷺ) وهما المصدران الرئيس لهذا الدين العظيم ، ولا سبيل ولا خلاص إلا بذلك قال جل في علاه :

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ .... الآية ﴾ (١) .

وقال (ﷺ) : " تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي " (٢) .

ففي كتاب الله تعالي وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام الفلاح والصلاح والتقدم والازدهار لمن استمسك بهما وطبقهما في حياته واتخذهما منهج حياة وسار في ركابهما ففيهما العزة والنهضة والثقافة والحضارة والمدنية والتقدم بإذن الله تعالي .

والواجب على المسلمين أيضاً في مشارق الأرض ومغاربها إزاء هذا الغزو الغربي المتمثل في التبشير والاستشراق أن يدركوا خطره الذي فتك بحياتهم وآثاره السيئة على الأمة الإسلامية ، التى أبعدتهم عن منابع حضارتهم وثقافتهم ، وأن يعملوا جاهدين متكاتفين على إعادة مجدهم الفكري وعزهم الثقافي والسياسي ، بتطبيق الإسلام منهجا وسلوكا ونظام حياة بالطريقة التى رسمها القرآن الكريم كتاب رب العالمين ونفذها الرسول (ﷺ) .

---

١ - الإسراء : ٩ .

٢ - رواه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم كتاب رب العالمين

١ – أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي د / علي جريشة – دار الاعتصام .

٢ – أهداف التغريب في العالم الإسلامي – الأستاذ / أنور الجندي – الأمانة العامة للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف .

٣ – الإسلام في مواجهة التغريب – الأستاذ / أنور الجندي " مخططات الاستشراق والتبشير "

٤ – الإذاعات التنصيرية الموجهة إلي العالم الإسلامي والعربي د / كرم شلبي مكتبة التراث الإسلامي ١٩٩١ م .

٥ – الإسلام والمستشرقون د / عبد الجليل شلبى مطبوعات الشعب .

٦ – الإسلام في مواجهة التحديات د / محمد رأفت سعيد – دار الوفاء للطباعة ١٩٨٧ .

٧ – أوربا والاسلام د / عبد الحليم محمود شيخ الازهر الأسبق ١٩٧٣.

٨ – الإسلام والمستشرقون للشيخ / ابو الحسن الندوي .

٩ – الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم د / مصطفي السباعي المكتب الإسلامي بيروت .

١٠ – الإسلام روح المدنية – للغلاييني .

١١ - الأحكام الشخصية - د / محمد يوسف موسي .

١٢ الإسلام والحضارة العربية - محمد كرد علي - دار الكتب المصرية ١٩٣٦ .

أجنحة المكر الثلاثة - د / محمد عبد الرحمن حبنلة .

١٣ - الإسلام انصف المرأة - د / عبد الغني الراجحي المجلس الأعلي للشئون الإسلامية .

١٤ - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - د / محمود زقزوق - دار المنار ١٩٨٩ .

١٥ - أضواء على النظم الإسلامية - د / عبد القادر سيد عبد الرؤف - دار الطباعة المحمدية ١٩٩٩١ ط أولي .

١٦ - الإسلام للمستشرق الفرنسي هنري ماسيه . بيروت لبنان ترجمة بهيج شعبان .

١٧ - الإسلام على مفترق الطرق - محمد أسد ترجمة د / عمر فروج - بيروت لبنان .

١٨ - أضواء على الاستشراق د / محمد عبد الفتاح عليان - دار البحوث العلمية ١٩٨٠م .

١٩ - أخطار التبشير في ديار الإسلام - محمد عبد الرحمن عوض - دار الأنصار - القاهرة .

٢٠ - الإسلام يتصدي لأباطيل المستشرقين والملحدين م / سامي شهاب المؤسسة العربية القاهرة .

٢١ - افتراءات المستشرقين على الإسلام - د / عبد العظيم المطعني مكتبة وهبة - القاهرة .

٢٢ - التبشير والاستعمار - د / عمر فروخ - د / مصطفي خالدي بيروت لبنان .

٢٣ - التبشير والاستشراق - أحقاد - للمستشار / محمد عزت الطهطاوي

وحملات على النبي محمد صلي الله عليه وسلم وبلاد الإسلام - مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٧ .

٢٤ - التبشير في العالم الإسلامي - د / محمد زين العابدين الطشو رسالة دكتواد - كلية أصول الدين القاهرة .

٢٥ - التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامي . الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة جلين إيري بأمريكا عام ١٩٧٨م .

٢٦ - ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة - د / عبد الحليم عويس دار الصحوة للنشر والتوزيع .

الثقافة الاسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة - د / عبد القادر سيد عبد الرؤف - دار الطباعة المحمدية ١٩٨٧ م .

٢٧ - الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر - د خالد محمد نعيم .

٢٨ - الحركات المناوئة للدعوة الإسلامية في العصر الحاضر ووسائل معالجتها - نادي درويش محمد / رسالة ماجستير كلية أصول الدين القاهرة .

٢٩ - حقائق عن التبشير - عماد شرف - المختار الاسلامى - القاهرة.

٣٠ - حقائق وأطماع التبشير فى أفريقيا المسلمة - د / عماد الدين خليل المختار الإسلامي ١٩٧٩ م .

٣١ - الحركة التبشيرية في إندونيسيا د / عبد الرحيم أرشد - رسالة دكتوراه - كلية أصول الدين القاهرة ١٩٨٦ .

٣٢ - الحركة الفكرية ضد الإسلام وأهدافها ومقاومتها - د / بركات عبد الفتاح دويدار - دار التراث العربي ١٩٨٠ م .

٣٣ - الحياة الاجتماعية فى مصر في عهد إسماعيل - صالح رمضان منشأة المعارف إسكنرية .

٣٤ - صحيح البخاري - للإمام البخاري .

٣٥ - صحيح مسلم - للإمام مسلم .

٣٦ - صيحة تحذير من دعاة التنصير - الشيخ محمد الغزالي - دار الصحوة ١٤١٢ هـ .

٣٧ - صورة استشراقية - د / عبد الجليل شلبي مجمع البحوث الإسلامية

٣٨ - الغزو التبشيري النصراني في الكويت - أحمد النجدي الذوسري بدون .

٣٩ – الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام – د / عبد الستار فتح الله سعيد – دار الوفاء ١٩٨٨ م .

٤٠ – الغزو الفكري مصادره وأهدافه وموقف الإسلام منه – د / جبر محمد حسن جبر – رسالة دكتوراه كلية أصول الدين القاهرة .

٤١ – غارة تبشيرية جديدة على إندونيسيا – أبو هلال الإندونيسى – دار الشروق – جدة .

٤٢ – الغارة على العالم الإسلامي – نقله إلي العربية محب الدين الخطيب المطبعة السلفية .

٤٣ – الغزو الفكري أهدافه ووسائله – د / عبد الصبور مرزوق مؤسسة مكة للطباعة والإعلام .

٤٤ – الغزو الفكري وأثره على المجتمع الإسلامي المعاصر – د / على عبد الحليم محمود – دار البحوث العلمية الكويت ١٩٧٩ .

٤٥ – الغزو الفكري والماركسية – محمد جلال كشك مطبعة وهبة .

٤٦ – الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي – د / محمد البهي مطبعة وهبة .

٤٧ – الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية – الأستاذ / أنور الجندي بدون .

٤٨ – الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه – د / محمود عبد الحكيم عثمان .

٤٩ – قضايا العصر في ضوء الإسلام – الأستاذ أنور الجندي .

٥٠ – قوي الشر المتحالفة الاستشراق – التبشير والاستعمار موقفها من الإسلام والمسلمين – محمد محمد الدها ن – دار الوفاء ١٩٨٨ .

قذائف الحق – الشيخ محمد الغزالي المكتبة العصرية .

٥١ – قادة الغرب يقولون – دمروا الإسلام أبيدوا أهلة

سموم المستشرقين – الأستاذ / أنور الجندي .

٥٢ – السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي – د / مصطفي السباعي .

٥٣ – السدة النبوية – لابن هشام تحقيق طه عبد الرؤف سعد .

٥٤ – شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول صلي الله عليه وسلم – محمد علي الصابوني ١٩٨٠ م .

٥٥ – المستشرقون – نجيب العفيفي دار المعارف ١٩٦٤ م .

٥٦ – المستشرقون والتاريخ الإسلامي – د / علي حسني الخربوطلي الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٥٧ – المستشرقون والإسلام – مهندس زكريا هاشم المجلس الأعلي للشئون الإسلامية ١٩٦٥ م .

٥٨ – المستشرقون والإسلام د / حسين الهواري دار الفنار ١٩٣٦ م .

٥٩ – مستقبل الثقافة في مصر – د / طه حسين ١٩٤٤ م دار المعارف مصر .

٦٠ – المرأة ومكانتها في الإسلام – عبد العزيز الحصان .

٦١ – المرأة بين الفقه والقانون – د / مصطفى السباعي – حلب .

٦٢ – المرأة في الإسلام – كمال أحمد عون .

٦٣ – المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام – د / محمد البهي وزارة الأوقاف .

٦٤ – المبشرون والمستشرقون في العالم العربي والإسلامي – إبراهيم خليل أحمد مكتبة الوعي العربي .

٦٥ – .مخططات التبشير والاستشراق – الأستاذ / أنور الجندي .

٦٦ – مفتريات على الإسلام – الأستاذ أحمد محمد جمال رابطة العالم الإسلامي – السعودية ١٩٨٥ م .

٦٧ – مع الله دراسات في الدعوة والدعاة – الشيخ محمد الغزالي – دار الكتب الإسلامية .

٦٨ – منهج الإسلام في تحقيق الوحدة الإسلامية – أحمد حسن غنيم رسالة ماجستير .

٦٩ – مجلة المنار – للسيد محمد رشيد رضا .

٧٠ – كفاية الطالبين لرد شبهات المبشرين – الأستاذ / محمد عبد السميع الحفناوي مطبعة أبي الهول ١٩١٢ م .

فهرس الكتاب